

سلسلة دروس سياسية من التجربة الناصرية
من أجل رؤية مستقبلية للسياسة المصرية
الكتاب الأول
آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة
من النشأة الأولى للضباط الأحرار حتى نجاح الثورة
محمد يونس هاشم
دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

أخر أيام فاروق وأول أيام الثورة

من النشأة الأولى للضباط الأحرار حتى نجاح الثورة

سلسلة دروس سياسية من التجربة الناصرية
من أجل رؤية مستقبلية للسياسة المصرية

الكتاب الأول

أخر أيام فاروق وأول أيام الثورة

من النشأة الأولى للضباط الأحرار حتى نجاح الثورة

محمد يونس هاشم



آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة

الدكتور/ محمد يونس هاشم

الكتـــــاب: آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة

المـــؤلـــف: الدكتور/ محمد يونس هاشم

تاريخ النشر: ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٢٠١٢/٢٨٩٠

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 978-977-463-116-9

الناشـــــر:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والمطابع:

١٢ شارع نوبار لاظوغلي (القاهرة)

تليفون: ٠٠٢٠٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس: ٠٠٢٠٢٧٩٥٤٣٢٤

التوزيــــع:

٣ شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠٢٥٩١٧٩٥٩

www.darghareeb.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة العامة

لسلسلة دروس سياسية من التجربة الناصرية

إن من أكبر الجرائم التي ارتكبها حسني مبارك في حق مصر وشعبها هو عدم الإفراج عن وثائق ثورة ٢٣ يوليو ، وكان السادات قد شكل لجنة " إعادة كتابة تاريخ مصر " في يناير ١٩٧٦ ووضع تحت أيديها جميع وثائق ثورة ٢٣ يوليو وشهادات من بقي حيّاً من صناعها وشهودها ، وعهد برئاستها إلى نائبه حسني مبارك، ولكن حسني مبارك بعد ثلاث جلسات فقط ترك رئاسة اللجنة وعهد بها إلى الدكتور صبحي عبد الحكيم، أستاذ الجغرافيا، ورئيس مجلس الشورى لاحقاً .

وعندما انتهت اللجنة من أعمالها وقبل إعلان نتائج ما توصلت إليه اغتيل الرئيس السادات وتولى حسني مبارك الرئاسة بعده لِيَدْفِن عمل هذه اللجنة ، ويئد جميع الحقائق التي توصلت إليها ، بل أوقف الحملة التي استهدفت تصحيح ما شاب تاريخ ثورة ٢٣ يوليو من تزييف وتضليل في الإعلام المصري .

لقد قاومت كثيراً – رغم اهتمامي القديم – الكتابة عن التجربة الناصرية في الحكم وكنت أتعلل بكثرة الكتب التي تناولت هذه المرحلة مادحة أو قادحة ، كما كان تركيزي منصبّاً على مشاكل الأمة الآنية والمُلحَّة ، ولكن اكتشفت أن كثيراً من مشكلات الأمة العربية عامة والسياسية خاصة ذات صلة وثيقة بالتجربة الناصرية.

وكما توقع الأستاذ هيكل " فإن عبد الناصر بعيداً أخطر من عبد الناصر قريباً لأنه في غيابه قد تتحول الناصرية من شخص إلى فكرة ومن فكرة إلى تنظيم".

أما أمين هويدي فيقول : " إن عبد الناصر وهو ميت أقوى منه وهو حي؛ إذ مازال هناك إحساس بأنه بيننا يطل على كل ناحية من نواحي حياتنا وكأنه يسمع ويرى ." (١)

ويقول سامي شرف : " ومما لا شك فيه أن جمال عبد الناصر الآن ولسوف يظل الشخصية الأولى على المسرح السياسي المصري والعربي وفي العالم الثالث، ولسوف يظل أيضاً لفترة زمنية أخرى قائداً للجماهير وحاملاً للضوء الكاشف لمسيرة هذه الأمة العربية بدليل أنه منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى الآن، أي لقرابة الخمسين عاماً، منها ثلاثون مضت على لقاء ربه وهو باقٍ في ملحمة نضالية مَصْدَراً لإلهام أمَّته. " (٢)

وحركات المقاومة العربية المسلحة : حماس ، وحزب الله ، والحلف الإيراني السوري مِنْ ورائهما تجعل من المبادئ والشعارات التي شاعت عن عبد الناصر أساساً لحركاتها (٣) يظهر هذا في شعاراتهم التي يرفعونها ، أو في ممارساتهم التي يؤدونها ، مثل شعار اللاءات الثلاثة (لا صلح ، ولا اعتراف ، ولا مفاوضات) مع إسرائيل. وشعار الاعتراف بإسرائيل خيانة ، وإقامة أية علاقة بأمريكا عِمالة، وشعار أن أي تسوية سلمية مع إسرائيل استسلام وانهزامية ، وشعار أن ما أخذ

---

(١) أمين هويدي " أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧ " دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت . ص ٧ .

(٢) سامي شرف " سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر " مقدمة الكتاب .

(٣) رغم أنها أحزاب دينية ، والناصرية كانت حركة علمانية فليس للدين فيها علاقة بالمجتمع وقوانينه ونظام حياته ، وإنما هو طقوس تعبدية في المسجد أو في الكنيسة فحسب .

بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، وأن كل المعاهدات التي وقعها الحكام العرب مع إسرائيل مجحفة يجب نقضها والخروج عليها.

لقد استقر في ذهن هذه الحركات ، وكثير من عامة الناس أن التجربة الناصرية حققت للأمة العربية كل ما تتمنى دون أن تكبدهم مؤنة التفكير والعمل ، فإذا كانت إسرائيل هي عدوهم الأكبر في العالم ، فإن عبد الناصر كاد أن يرميها في البحر هي ومَن وراءها ، ورفض أية تسوية سلمية معها.

وإذا كانت أمريكا هي العدو اللدود للعرب فإن عبد الناصر هو الذي أذلَّ كبرياءها وحطم آمالها ، وقضى على هيمنتها .

وإذا كان العرب آفتهم الكبرى الفرقة والاختلاف فإن عبد الناصر هو الذي استطاع أن يجعل العرب أمة واحدة وقومية واحدة تحت زعامته.

كل هذه الآراء التي شاعت بين الناس جعلت من جمال عبد الناصر رمزاً للمقاومة العربية ضد الهيمنة الأمريكية، وطغيان إسرائيل حليفتها الاستراتيجية، لذا نجد صورة عبد الناصر مع كل عدوان أمريكي أو إسرائيلي على البلاد العربية تُرفع، والحناجر باسمه تهتف : لو كان عبد الناصر حيّاً ما كانت أمريكا لتحتل أفغانستان أو العراق ، وما كان لإسرائيل أن تُبِيد الفلسطينيين ، وتجتاح لبنان وغزة، وتهدد إيران وسورية ، وما كان، وما كان ...

كما أن أي مُقاوِم لإسرائيل يشبه بعبد الناصر، وأي عدو للإمبريالية يقرن به وهناك حزبان ناصريان ،على الأقل ،في مصر: الحزب الناصري ، وحزب الكرامة، بالإضافة لحزب التجمع الذي يعتز بالتجربة الناصرية . كما أن بعض مرشحي الرئاسة ناصريون وبعضهم ذوو ميول ناصرية .

والحقيقة أن المفهوم الشائع عن علاقة عبد الناصر بالغرب – خاصة أمريكا وإسرائيل – ليس فقط مخالفاً للحقيقة والتاريخ وإساءة للتجربة الناصرية بإظهار عبد الناصر في شكل الطاغية الغاشم أو هتلر النازي – كما يصفه أعداؤه من الغرب – إنما أيضاً فيه إساءة لفهم حقيقة الصراع العربيِّ / الغربيِّ مما يؤثر سلباً على حسن اختيار السياسة الرشيدة التي يجب أن يتبعها العرب ليحققوا بها أهدافهم بعد سلسلة طويلة من التخبط الفكري ، والتمزق النفسي، والتخلف الحضاري ، والهزائم العسكرية.

ولو أن التجربة الناصرية بصفة خاصة وتاريخ الصراع العربيِّ / الغربيِّ بصفة عامة قد دُرِست دراسةً سياسيةً موضوعية ما تكررت أخطاء الماضي وما ظهرت تلك الزعامات العربية التي تسببت فيما نحن فيه من ذلٍّ وهوان ، وفرقة وانقسام .

ومنهج البحث في هذه السلسة يعتمد على إيراد حقائق الأحداث كما نصت عليها الوثائق الرسمية ، والأخبار الصحيحة التي رواها شهود العيان ، والأخبار التي نُشِرت في الكتب والصحف والمجلات عملاً بقول الفيلسوف الروماني " سينيكا ": " لا تقل لي شيئاً ولكن دعني أرى ".

وبعد عرض شريط الأحداث الحقيقية التي تُمَكِّن القارئ من معرفة حقيقة ما حدث أجتهد في تطبيق مبادئ علم السياسة وأسسه ، وإدارة الأزمات وقوانينها على تلك الأحداث ، ثم أذكر أراء الساسة والمفكرين والكتَّاب التي تدعم هذه الآراء ، وأخيراً أقوم بالتعليق على الأحداث واستخلاص العبرة التي آمل أن تفيدنا في فهم الحاضر، وتعيننا على اتخاذ القرار الصحيح في المستقبل.

وأخيرا أُذَكِّر القارئ العزيز أن الأمم التي تقدمت ناقشت تاريخها مناقشة علمية ، وبأكبر قدر من الحيادية ، وجنبت تأثير العواطف الهوجاء والشارات

الشخصية ، والمصالح الذاتية في الحكم على الأحداث والأشخاص ، حتى تأخذ من ماضيها لحاضرها ومستقبلها ، ومن أخطائها ما يجنبها الوقوع فيها ثانية.

كما أنهم لم ينظروا إلى زعمائهم نظرة تقديس وتأليه بل نظروا إليهم نظرة تمحيص وتقييم، فحكامهم بشر يخطئون ويصيبون عكس نظرة الشرقيين الذين يتفانون في زعمائهم أحياء ويقدسونهم أموات.

وواجب الإنسان أن يزن كل شيء بميزان الحق لا بميزان الخَلْق ، فلا يُعْرَف الحقُ بالرجال ولكن يُعْرَف الرجالُ بالحق مهما كانت أسماء الرجال وشهرتهم ، ولا جناح على المرء أن يضع فكره وعقله في ميزان النقد السليم البنَّاء فكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك ويصحح عمله أو يخطَّأ إلا أنبياء الله ورسله .

يقول فاروق جويدة : " ينبغي أن نتعامل مع تاريخ ثورة يوليو على أساس أنه تاريخ مصر وليس تاريخ عبد الناصر أو السادات أو محمد نجيب أو سعد زغلول أو النحاس . إن تنقية الكتابة التاريخية من الأهواء والأغراض والمصالح هي نقطة البداية ؛ لأن المؤرخ راهب يجب أن يتخلص من كل غبار النزوات والشطط والرؤى الضيقة، ويهب نفسه لقيمة اسمها الحقيقة وهي أساس الكتابة التاريخية."[١]

ومقياس شخصية الوطني المخلص لا تتضح تمام الوضوح إلا إذا حدد المعيار السليم لقوة ضبط النفس في تطبيق المبادئ والأهداف والُمثل والحرص على تحقيق مصلحة الأمة ، وليس الانتصار لشخص على حساب مصلحة الوطن ، وأن التقيد بالُمُثل يعني ضمان عدم تأثر المبادئ والأهداف بشخصيات الزعماء، أو بالهوى، أو بالمصلحة الشخصية.

---

(١) فاروق جويدة " من يكتب تاريخ ثورة يوليو " دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ٧٥ .

وعبد الناصر نفسه رفض أول عهده بالحكم الهتافَ باسمه ودعا للتمسك بالمبادئ والمثل العليا.

يقول عبد الناصر في خطابه يوم حادث المنشية : " لا يريد جمال مطلقاً أن تهتفوا باسمه، إننا نريد أن نعمل لنبنى هذا الوطن بناءً حراً سليماً أبيّاً، ولم يبنَ هذا الوطن في الماضي بالهتاف، وإن الهتاف لجمال لن يبني هذا الوطن، ولكنّا يا إخواني سنتقدم ونعمل.. سنعمل للمبادئ.. وسنعمل للمبادئ، وسنعمل للمثل العليا؛ بهذا سنبنى هذا الوطن . فلن تكون حياة مصر معلقة بحياة جمال عبد الناصر، ولكنها معلقة بكم أنتم وبشجاعتكم وبكفاحكم، فكافحوا، وإذا مات جمال عبد الناصر فليكن كل منكم جمال عبد الناصر.. فليكن كل منكم جمال عبد الناصر متمسكاً بالمبادئ ومتمسكاً بالمثل العليا. "[1]

وفي ذكرى وفاة حسن البنا في فبراير عام ١٩٥٤ قال عبد الناصر: " نعم أذكر في هذا الوقت، وفى هذا المكان كيف كان حسن البنا يلتقي مع الجميع ليعمل الجميع في سبيل المبادئ العالية، والأهداف السامية، لا في سبيل الأشخاص ولا الأفراد ولا الدنيا.. وأشهد الله أنى أعمل – إن كنت أعمل - لتنفيذ هذه المبادئ، وأفنى فيها، وأجاهد في سبيلها ." [2]

إن العقل المستنير يرفض الوصاية عليه ، ولا يسلّم بشيء تسليماً أعمى إنما هو مستعدٌ دائماً للتأمل ، ومتحفزٌ أبداً لاتخاذ القرار الأخلاقي الحر ، وآمل في هذا السلسلة من الكتب تيسير كثير من الحقائق التاريخية التي حُجبت بسبب

---

(1) من خطاب جمال عبد الناصر يوم حادث المنشية ١٩٥٤/١٠/٢٦ .

(2) من كلمة جمال عبد الناصر في الاحتفال بالذكرى الخامسة لحسن البنا ١٢ / ٢ / ١٩٥٤ .

عمليات غسيل المخ التي مورست على الشعب المصري لسنوات طـوال والـتي قامت بها آلة الإعلام الجبارة فيكفي أن يتكلم الزعيم السياسي مرة واحدة وسـط مظاهرة نظمت تنظيماً إيجابياً لكي تبدأ عملية التكرار والنشر السريع حتى تـصل إلى آذان مئات الملايين من الناس عدة مرات في اليوم الواحد ، وحتى تفرض عليهم عدة مرات في وسائل الإعلام ، فلا يفلت من أثر الدعاية أي جانب يعتد به.

ولهذا السبب فإن الحُكَّام كانوا يحتكرون وسائل الإعلام احتكاراً خاصاً لهم فلا تخرج كلمة من مذياع ، ولا ترى صورة في تلفاز ، ولا تقرأ كلمة في كتـاب ، أو جريدة أو مجلة ، ولا ينظم أي اجتماع دون مراقبة شديدة وتمحيص دقيق ترفع منها ما لا يتفق مع سياستها ، وتضع فيها بالإيحاء أو بالأمر ما ترى فيـه مـصلحة سياستها ، فيصبح عقل المواطن كالعجينة في يد الحكومة تشكله كيـف شـاءت. ويلاحظ أن السلبية تظهر بجلاء في الشعوب المحكومة بالإيحاء فقط.

إن الضعيف الجبان دائماً يحلم بزعيم قوي شجاع يستر وراءه ضعفه ، ويجبر به كسره ، وفي أوقات الهزائم والمحن يلتف الناس خلف كل ثائر بطـلاً كـان أو ناعقاً ، ويستحضرون صور زعمائهم الذين قالوا " لا " في وجه أعدائهم ، وبـدلاً من أن ينتصروا للمبادئ ينتصرون للأشخاص الذين عبثوا بها !!

هذه هي عبادة الأشخاص التي تسود المجتمعات المتخلفة ، فهي تؤمن ببعض الزعماء إيماناً مطلقاً ، وتجعل من شعاراتهم قرآناً صالحاً لكل زمان ومكان !

ولا يكفي لبلوغ الأهداف مجرد طموح زعيم وإرادته بل لابد مـن تأييـد حقيقيٍّ ومستمر تقوم به الأمة عن حب وطواعية ولهذا وجب أن يقوم تنسيق جيد وتوازن سليم بين الإرادة الشعبية وبين تطلعات الزعيم وبدون هذا التوفيق وهـذا التوازن يتعذر على الزعيم أن يمضي في طريقه قُدُماً ، فواجب الزعيم أن يلـتمس

دائماً مواطن القوة ويتعرف بيقين ما يملكه من إمكانيات ووسائل لتحقيق الأهداف إذ لا يكفي مجرد التطلع إلى السلطة ، ولا يغني كذلك الوصول إليها بل لابد أن تتوافر الوسائل والإمكانيات التي تضمن تحقيق الأهداف.

والهدف في ذاته لا يكفي ولن يكون له الفاعلية المنشودة ما لم تتوافر له الوسائل الملائمة وإلا تعرض الزعيم إلى الخرافات ومزالق يؤدي إليها الخيال والتوقعات التي لا تستند إلى أساس سليم ، وهذا من شأنه يؤدي إلى القضاء على الزعيم وعلى أمجاده. [1]

والشعوب المتحضرة استطاعت أن تستبدل بعبادة الأشخاص تقديس المبادئ، والكفر بالزعماء الذين أهدروها.

وأيقنَتْ أن لكل زمان رجاله ، ولكل مرحلة قراراتها فما كان مطلوباً في وقت النضال من أجل الحرية – ربما – صار مرفوضاً في المراحل التالية التي تتطلب مراجعة النفس ، وإعادة تقييم الماضي بشخوصه وأحداثه.

والشعوب العربية وقد استردت حرياتها بعد الربيع العربي تستطيع أن تفرق بين الزعيم المتجرد المخلص وبين الزعيم الذي يخفي وراء المبادئ شهوة السلطان والطموح الذي لا حد له في السيطرة والتملك .

إن الشعوب العربية بعد أن ثارت في وجه حكامها الطغاة تريد حكاماً تقاوم الاتجاه الغريزي للاستبداد لكي تناصر مصلحة أممها ، وتصارع الشهوات الخاصة لتخضعها لمصلحة شعوبها ، وتكافح الانحراف عن هذا النهج ، وتعمل على القضاء على محاباة الحاكم للمصالح الشخصية ، وتصارع استغلال السلطة للمصلحة الشخصية على حساب ثروة الوطن ومستقبله. [2]

---

(1) محمد على الغتيت " العبقرية والزعامة السياسية " دار الشعب الطبعة الثانية ص ٢٩٩.

(2) نفسه ص ١٩٣.

ولقد حرصت في هذه السلسلة غاية الحرص على الانتصار للمبادئ لا للأشخاص ومما ساعدني على ذلك أمران:

أولهما : أمر شخصي وهو أني لم أومن بزعيم إيماناً مطلقاً فكل ابن آدم خطّاء، ولم أقع تحت تأثير حب أو كره أحدهم فالحمد لله لم ينلني منهم - بصفة شخصية - تكريماً ولا تعذيباً مثل الكثير ممن أرخوا لهؤلاء الزعماء وقد اصطلوا بنارهم أو نعموا بقربهم.

وثانيهما : أمر منهجي فقد عملت في هذه السلسلة على فصل المعلومة عن الرأي ، أو الخبر عن التحليل ،بلغة الصحافة،حتى يتمكن كل شخص أن يفكر بنفسه لا أن يفكر له الآخرون ، ويتخلى عن حالة الجمود العقلي التي يقبل فيها آراء لمجرد أنها كانت مقبولة وشائعة ، كما يتخلى عن التسليم المطلق بكل فكرة حتى وإن كانت صادرة من شخص يثق فيه فربما أخلص في الاجتهاد وأخطأ في الرأي.

كما يجب أن يتحلى بفضيلة التدبر والتفكر فيما يقرأ ، يقول عليّ رضي الله عنه: " إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فقه فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها " [1]

" إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "
صدق الله العظيم

***

(1) ذكره القرطبي في تفسير قوله تعالى { إنما يخشى الله من عباده العلماء }.

مقدمة الكتاب

إن انتشار الفساد ، والتوزيع الجائر لثروات البلاد ، ووقوع البلاد تحت الاحتلال الأجنبي ، واستبداد الحاكم وفساده ، وحرمان الشعب من اختيار من يمثله ويقوم على مصالحه يؤدي ذلك حتماً إلى ظهور تنظيمات سرية وانقلابات مسلحة ، وانتشار الفوضى.

ونظام الأحزاب المصرية منذ نشأته سعى إلى استغلال الشعب في الصراع من أجل الحكم ، في الوقت الذي كان ينبغي على كافة الأحزاب نشر الوعي السياسي بين الناس لا الدعوة لتأييد حزب ما بالحق وبالباطل ومعاداة الأحزاب الأخرى بالحق وبالباطل دون مراعاة مصلحة البلاد وأمنها ، مما نتج عنه بلبلة في الأفكار وأدى إلى ظهور جماعات لا تؤمن بالحياة البرلمانية ولا بالأحزاب الدستورية، إنما تتبنى أفكاراً أيديولوجية تؤمن بها وترى أنها هي السبيل الوحيد الصالح للبلاد والعباد من هذه الجماعات : جماعة الإخوان المسلمين ، وجماعة مصر الفتاة ، وجماعة " حدتو " الشيوعية.

ولم يكن ضباط الجيش بعيدين عما يجري في مصر بل كانوا ،كغيرهم من الموطنين المخلصين ، مشغولون بالحالة التي وصلت إليها البلاد ، وطريق الخلاص من تردي الأوضاع.

وبدأ طوفان من الأسئلة يغزو رءوس هؤلاء الضباط الوطنيين صغار السن ، كيف أساعد في إصلاح هذا الفساد ؟ وأي طريق أسلك لأصل لتحقيق أهدافي ؟ هل أنضم لحزب من الأحزاب ؟ أم ألجأ إلى تنظم من التنظيمات السرية ؟

لقد استنفدت الأحزاب الموجودة كل مقوماتها ، ولم يعد يرجى منها إصلاح لذا بدأ هؤلاء الضباط في الانضمام إلى هذه التنظيمات السرية لعلهم يجدون عندها الإجابة عن تلك الأسئلة.

وفي حين وجد الضباط في تلك الجماعات التنظيم الذي تفتقر إليه قوتهم وجدت هذه الجماعات في هؤلاء الضباط القوة التي تعوز تنظيمهم ، ومن هنا جاء انضمام الضباط إلى هذه التنظيمات سرية التي زاد نشاطها مع تردي أحوال البلاد.

كانت جماعة الإخوان المسلمين أكبر التنظيمات التي جذبت الضباط الثائرين على فساد الأحوال أو انجذب إليها هؤلاء الضباط لما للدين ورجاله من مكانة في قلوب المصريين يفزعون إليه في وقت الشدائد ولما كانت تتمتع به الجماعة من قوة تنظيمها وقوة تأثير مرشدها ، وهذا لا يمنع من انضمام بعض الضباط إلى تنظيمات شيوعية مثل يوسف صديق ، وأحمد حمروش ، وفي بعض الأحيان كان الضابط يجمع بين انضمامه للتنظيم السري لجماعة الإخوان المسلمين وعضويته في تنظيم شيوعي كما هو الحال مع خالد محيي الدين.

ومرت بجماعة الإخوان المسلمين والتنظيم محنة الحلّ والاعتقالات التي طالت أغلب رجالها وقادتها وأوقفت حركة أقسامها المختلفة، ومنها بالطبع الحركة داخل الجيش.

وبعد عودة الضباط من ميدان الجهاد في فلسطين حرص عبد الناصر على أن يقطع صلته بالتنظيم السري القديم ويبدأ تنظيماً جديداً من عناصر التنظيم السري للإخوان المسلمين في القوات المسلحة ومن عناصر أخرى من الضباط الذين قاسموه محنة الفالوجا.

وهذا التنظيم هو الذي تمكن من القيام بثورة ٢٣ يوليو والإطاحة بالملك فاروق ونظامه الفاسد .

كيف تم ذلك ؟

هذا هو موضع الكتاب الأول من سلسلة كتب "دروس سياسية من التجربة الناصرية " الذي يتناول قصة الضباط الأحرار من النشأة الأولى حتى نجاح الثورة وإن شاء الله تعالى سيصدر تباعاً فصولاً أخرى من قصة ثورة ٢٣ يوليو .

محمد يونس هاشم

٢٠١١/٥/٦

***

دفتر الأحوال المصرية قبل الثورة

إن نشوء حالة ثورية في وطن من الأوطان هو ظرف لا يصنعه طرف واحد أو تنظيم معين مهما كانت كفاءته ، وإنما نشوء الحالة الثورية يجيء نتيجة أوضاع اجتماعية ، واقتصادية تتراكم فوق بعضها ، ثم تطرأ حادثة ، أو أحداث تقنع الكل أن الأمر الواقع قد تردى إلى حد لا يرضى إصلاحه ، وأنه وصل بما لا يقبل الشك إلى طريق مسدود.

وهكذا فإن الحالة الثورية في وطن لا يخلقها من العدم فرد بذاته أو جماعة بعينها بالقصد أو بالتدبير لأنها تاريخيًا وعمليًا أكبر وأعمق من أي قصد أو تدبير وكل ما هناك أن هذه الحالة تصبح احتمالاً مفتوحاً لأي طرف أو تنظيم يستطيع تحليل عناصرها ، وتشخيص عوارضها ، والتصدي لقيادتها في اللحظات الحاسمة.[1]

دعائم نظام الحكم قبل الثورة:

كان نظام الحكم في مصر منذ توقيع معاهدة الجلاء سنة ١٩٣٦ يستند إلى ثلاث دعائم:

١- السفارة البريطانية مُمَثّلة في المندوب السامي البريطاني.

٢- القصر مُمثّلاً في الملك فاروق وحاشيته.

(١) محمد حسنين هيكل " ملفات السويس " دار الشروق ص ١٦٩.

٣-الرأي العام المصري مُمثَّلاً في حزب الوفد.

وفساد الحكم في مصر قبل الثورة يرجع للإنجليز الذين لا يهمهم استقرار الحكم في مصر وللملك الذي كان يفرض أحزاب الأقلية الضعيفة حتى تعمل على تنفيذ رغباته ويقيل وزارة الأغلبية التي كان الشعب يختارها وتعمل على تقدم المجتمع ورفاهيته ، وفي الفترات التي حكمت فيها وزارة الأغلبية (وزارة الوفد) وهي سبع سنوات على فترات متقطعة قامت خلالها بأعمال عظيمة خدمة لمصر والمصريين كحرية إبداء الرأي ، وحرية الصحافة ، وحرية تكوين الأحزاب والجمعيات ، ومساواة جميع المصريين أمام القانون ، وحرمة الملكية ، وفصل السلطات الثلاث : التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية ، فالسلطة التشريعية يتولاها البرلمان الذي يضم ممثلي الشعب المنتخبين ، والسلطة التنفيذية تتولاها الوزارة ، والوزارة ليست مسئولة أمام الملك إنما أمام البرلمان.

وظلت الحياة السياسية في مصر على النحو التالي استعانة الملك فاروق بحكومات الأقلية التي لم تحقق إنجازاً حقيقيّاً ملموساً لمصر ، وإقصاء حكومة الأغلبية التي كان يمثلها في ذلك الوقت حزب الوفد ؛ لذا استمر نضال الشعب المصري من أجل حياة دستورية حقيقية تعمل على إجلاء الإنجليز عن مصر ، وإجبار الملك على احترام الدستور ، والكف عن نزواته التي فاحت رائحتها النتنة في كل مكان.

ونتيجة لحالة الفوضى التي عمت البلاد ، والضغط الشعبي المتزايد ، وما حدث في حرب فلسطين من فساد وخيانة كل هذا أدى إلى ظهور جماعات لا تؤمن بالحياة البرلمانية ولا بالأحزاب ، إنما تتبنى أفكاراً أيديولوجية تؤمن بها وترى أنها هي السبيل الوحيد الصالح للبلاد والعباد من هذه الجماعات : جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة مصر الفتاة ، وجماعة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني "حدتو " الشيوعية .[1]

---

(١) " حدتو " كانت أكثر الحركات الشيوعية ارتباطاً بالواقع وانتشاراً بين التجمعات الجماهيرية وكانت لها صحيفة (أم درمان) العلنية وكانت الأفكار اليسارية التي حرصت هذه الحركة على نشرها في صفوف العمال والطلبة

وهذه الجماعات كانت ترى أن الفساد يضرب أطنابه في كل أجهزة الحكم حيث يتحكم في البلاد ملك مستهتر منغمس في الفسق والفجور تحوطه حاشية لاهمَّ لها إلا إشباع شهواتهم ، وملء بطونهم بالمال الحرام على حساب الشعب البائس الفقير. والشعب المصري مطحون منهوب تحت الاحتلال البريطاني ، والعرش والمستغلين من الأجانب وأعوان الاستعمار من الخونة المصريين ، وأن إنقاذ شعب مصر من الاحتلال البريطاني والحكم الملكي الفاسد لن يتأتى إلا بثورة مسلحة يتولاها ويدبر لها المخلصون من الشباب في الجيش والشعب.

حتى إن حزب الوفد في وزارته الأخيرة لم يعد حزب الوفد الحزب الشعبي الذي يسعى إلى والوقوف مع غالبية الشعب وتلبية مطالبه ، والوقوف في وجه الملك أو الإنجليز إذا حاولوا هضم حقوقه والاعتداء على ثوابته : الدستور والجلاء، إنما تحول الوفد الحزب الشعبي إلى حزب من الأغنياء وللأغنياء .

أحوال الشعب المصري قبل الثورة:

كتب " رالف ستيفنسون " السفير البريطاني في مصر في تقريره إلى وزير خارجيته (١٠٤ / ١٠١٨) يقول:

" من المدهش أنه لم يعد هناك مصدر قوة للوفد إلا فساده المطلق .. لأن ذلك الفساد في الحزب أصبح العنصر الوحيد الذي يجمع كل المستفيدين بمواقعهم فيه ويقرر موقف كل واحد منهم ويدعوهم جميعا مهما كان ما بينهم إلى المحافظة على البقاء في الحكم بصرف النظر عن الثمن .. إن فساد حزب الوفد وصل إلى مستوى غير مسبوق في أي حزب مصري ؛ فقد تخلى الحزب عن دوره كممثل

والمثقفين تتحدث عن السياسة الخارجية والداخلية لمصر ، وكانت تهاجم الأحلاف زعامة أمريكا ، وتؤيد الاتحاد السوفيتي والديمقراطيات الشرقية .

لتحالف شعبي عريض يعتمد أساساً على الطبقة المتوسطة ، وبدلاً من ذلك أصبح حزباً من الأغنياء جداً وللأغنياء جداً.

والحزب نفسه يعتمد في تمويل نشاطه على عبود باشا لكن كل من في الحزب يمد يده في كل ناحية ليحصل على أكثر ما يستطيع أن يطوله ويزيد من غناه." (1)

وإن كان في تقرير السفير البريطاني مبالغة وتعميم ، بسبب عداء الإنجليز القديم للوفد ، إلا أنه يعبر عن عدم قدرة حزب الوفد على إحداث التغيير المطلوب: كبح جماح الملك الفاسد ، وإجلاء الاحتلال الإنجليزي الغاشم ، وإصلاح الحالة الاقتصادية والاجتماعية في مصر اللتين كانتا في أسوأ حالتهما.

إن مساحة الأرض الزراعية في مصر قبل الثورة كانت في حدود خمسة ملايين فدان ، تتوزع ملكيتها على النحو التالي:

١– مليون فدان للخاصة الملكية والأوقاف الملكية الخاضعة لإشرافها.

٢– مليون فدان للأسرة المالكة والأوقاف الخيرية الخاضعة لإشراف تفاتيشها الكبيرة.

٣– مليون فدان للأجانب : شركات ، وأفراد.

٤– مليون فدان للأسر المصرية الكبيرة التي تملكت مساحات شاسعة من الأرض الزراعية.

٥– مليون فدان لكل الفلاحين يعملون بأنفسهم وبأولادهم وزوجاتهم على رُقَع متفرقة من الأرض الزراعية.

---

(1) نقلا عن محمد حسنين هيكل " سقوط نظام " دار الشروق ط٢ ص ٣٧٠ ، ٣٧١.

وكان هذا التوزيع لملكية الأرض الزراعية تركيباً طبقياً مقسوماً بالتساوي ما بين سيطرة الاستبداد أو سيطرة الفقر ! " [١]

يقول اللواء جمال حماد عن سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في مصر قبل الثورة : " كان سوء ملكية الأراضي الزراعية قد شكل ظاهرة الإقطاع الخطيرة في مصر قبل الثورة ، وأدى إلى خلل واضح في توزيع الأرض الزراعية ففي الوقت الذي كان يملك فيه ١٢ ألف فرد فقط ثلث الأراضي الزراعية في مصر نجد أن حوالي ثلاثة ملايين فرد يملكون ثلثي هذه الأراضي الزراعية ، كما أن ٢٧ مالكاً من الأسرة المالكة وحدهم كانوا يمتلكون ١٤٣ ألف فدان ، وأصبحت الأغلبية من الفلاحين من المعدمين واضطروا إلى العمل كمستأجرين صغار أو عمال زراعيين يعانون الفقر والحاجة لم يكن للعمال حقوق تحميهم من استبداد وتحكم أصحاب الأعمال فلا قانون للمعاشات ولا تأمينات اجتماعية أو تعويضات محددة في حالة الإصابة ولذلك كان كبار الرأسماليين يبتزون عرق العمال ويستغلون جهدهم دون وجود أي قوانين لحمايتهم ". [٢]

وبلغ سيل الفساد الزبى وفشل كل من الملك فاروق ممثل الشرعية ، وحزب الوفد ممثل الأغلبية في معالجته ، ولماذا يعالجونه وهم أكبر المستفيدين منه . مما استوجب التغيير فحال البلاد لم يعد السكوت عنه ممكناً.

يقول حسنين هيكل : " الذي جرى في مصر ذلك الوقت – أواخر ١٩٥٠ ومنتصف ١٩٥١ – كان له معنى واحد مجمله أن الطرفين الرئيسين في معادلة السلطة

---

(١) محمد حسنين هيكل " سقوط نظام " مرجع سابق ص ٣٤٩.
(٢) اللواء جمال حماد " ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ " روز اليوسف ص ٢٣٦.

داخل مصر منذ ثورة ١٩١٩ وحتى تلك اللحظة – وهما القصر رمز الشرعية والوفد ممثل الأغلبية – كلاهما ضيَّع دوره المحوري في توجيه الشأن المصري.

والواقع أنه عندما استسلم الوفد دون قيد أو شرط للملك فاروق كي يظل في السلطة ، وحين استسلم الملك فاروق دون قيد ولا شرط لأهوائه مطمئناً إلى أن حزب الأغلبية مربوط بطاعته ، كانت النتيجة انكشافاً سياسيّاً ؛ لأن المؤسستين المصريتين في ثلاثية السلطة انكفأت كل منهما وتراجعت وهو ما صنع فراغاً موحشاً في قلب الحياة السياسية المصرية . وبما أن قوانين الطبيعة تعتبر الفراغ في الحياة حالة مستحيلة فقد حدث في السياسة المصرية أن الهوامش بكل ما فيها تحل محل المتن الذي فك تماسكه وضاع معناه وذلك ما جرى على الساحة المصرية ذلك الصيف سنة ١٩٥١.

وكان المحيط والأطراف والهوامش حول قلب السياسة المصرية – حيث كان القصر والوفد من قبل – مناخاً مشحوناً بعناصر متناقضة فيها بقايا من جماعة الإخوان المسلمين الغاضبة مما حل بها في السنوات الأخيرة ، وفيها فِرَق من الشيوعيين ضمت أخلاطاً من المصريين والأجانب .. إلى جانب جماعات رافضة لكل شيء .. " (١)

درس في نشأة التنظيمات السرية:

إن انتشار الفساد ، والتوزيع الجائر لثروات البلاد ، ووقوع البلاد تحت الاحتلال الأجنبي ، واستبداد الحاكم وفساده ، وحرمان الشعب من اختيار من

(١) محمد حسنين هيكل " سقوط نظام " مرجع سابق ص ٢٣٧ ، ٢٣٨.

يمثله ويقوم على مصالحه يؤدي ذلك حتماً إلى ظهور تنظيمات سرية وانقلابات مسلحة ، وانتشار الفوضى.

ونظام الأحزاب المصرية منذ نشأته سعى إلى استغلال الشعب في الصراع من أجل الحكم ، في الوقت الذي كان ينبغي على كافة الأحزاب نشر الوعي السياسي بين الناس لا الدعوة لتأييد حزب ما بالحق وبالباطل ومعاداة الأحزاب الأخرى بالحق وبالباطل دون مراعاة مصلحة البلاد وأمنها ، مما نتج عنه بلبلة في الأفكار وأدى إلى ظهور جماعات لا تؤمن بالحياة البرلمانية ولا بالأحزاب الدستورية، إنما تتبنى أفكاراً أيديولوجية تؤمن بها وترى أنها هي السبيل الوحيد الصالح للبلاد والعباد من هذه الجماعات : جماعة الإخوان المسلمين ، وجماعة مصر الفتاة ، وجماعة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني " حدتو " الشيوعية .

***

ضباط الجيش المصري وتردي الأحوال في مصر

لم يكن ضباط الجيش بعيدين عما يجري في مصر بل كانوا ،كغيرهم من الموطنين المخلصين ، مشغولين بالحالة التي وصلت إليها البلاد ، وطريق الخلاص من تردي الأوضاع.

يقول جمال منصور الذي ابتدع اسم " الضباط الأحرار " وكتب أول منشور موقَّع به : " كنا نعيش فترة عصيبة من الزمان عاشها كل شباب مصر . كان البلد يغلي بكل التيارات المتصارعة ، وكان إطار السلطة السياسية الحاكمة – الإنجليز ، والقصر ، والأحزاب السياسية – والنظام الاجتماعي يتمزقان بعنف فوق صخرة الأمواج الصاخبة غير قادرين على الحل ولا الخروج من الدوامة ولا مواجهة المستقبل ، الأمر الذي كان لا مفر معه من الانهيار . ومازلت أذكر حينما كنا نهرع في صباح الاثنين إلى بائع الصحف لكي نحصل على نسخة من مجلة " روز اليوسف " لنقرأ الصفحات الأولى من المجلة وبها مقالة إحسان عبد القدوس الناقدة للأوضاع في البلاد بكل جرأة وشجاعة .. ثم ظهرت جريدة الاشتراكي التي كان أحمد حسين يكتب فيها مقالاً بالصور وعلى اتساع الصفحتين وفي قلب الجريدة كنا نجد صوراً متعددة تعبر عن البؤس والعري والحرمان ، صوراً للطبقة العريضة من شعب مصر وأبنائه وأطفاله ، صوراً ناطقة بجوع البطون وجفاف الحلوق وأحاطت كل هذه الصور بكلمتين في عبارة واحدة " رعاياك يا مولاي ".

لقد عشنا تلك الفترة التي شاهدت قمة الفساد لملك البلاد . الملك الذي حكم بالسلطة المطلقة فكانت المفسدة المطلقة ، والأحزاب التي كانت تتناحر فيما

بينها رغبة في الحكم وسلطانه وكراسيه . وأحسسنا بغياب أبسط ملامح العدالة الاجتماعية ، والهوة السحيقة التي تفصل بين فئة محدودة تملك كل شيء وطبقة عريضة لا تملك أي شيء . فكان نصف في المائة من المصريين يملكون تسعين في المائة من الأرض الاجتماعية ، وكانت العائلة المالكة وحدها تملك ما يقرب من نصف مليون فدان " [١]

وبدأ طوفان من الأسئلة يغزو رءوس هؤلاء الضباط الوطنيين صغار السن ، كيف أساعد في إصلاح هذا الفساد ؟ وأي طريق أسلك لأصل إلى تحقيق أهدافي ؟ هل أنضم لحزب من الأحزاب ؟ أم ألجأ إلى تنظم من التنظيمات السرية ؟

لقد استنفدت الأحزاب الموجودة كل مقوماها ، ولم يعد يرجى منها إصلاح لذا بدأ هؤلاء الضباط في الانضمام إلى هذه التنظيمات لعلهم يجدون عندها الإجابة عن تلك الأسئلة.

وفي حين وجد الضباط في تلك الجماعات التنظيم الذي تفتقر إليه قوهم وجدت هذه الجماعات في هؤلاء الضباط القوة التي تنقص تنظيمهم ، ومن هنا جاء انضمام الضباط إلى هذه التنظيمات سرية التي زاد نشاطها مع تردي أحوال البلاد.

يقول عبد اللطيف البغدادي (عضو مجلس قيادة الثورة) : " كنا نحن ضباط الجيش عندما تناقش أحوال بلادنا، وما وصل إليه حالنا باحثين ومنقبين عن مخرج لنا مما نحن فيه لكسر تلك الحلقة الفولاذية، التي كانت مضروبة حول شعبنا، لا نجد أمامنا من سبيل ولا طريق لكسر تلك الحلقة إلا بتفجير ثورة قادرة على تغير هذا الهيكل كله من أساسه، تغييراً سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً: وقادراً قبل

---

(١) جمال منصور " في الثورة والدبلوماسية " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ١٢ ، ١٣ .

كل شيء على التصدي للاستعمار الذي كان لا يزال رابضاً على أرض وطننا والعمل على تصفيته وإنهائه. لأن استمرار وجوده يضيع أملنا المنشود في التغيير لأنه سيقف عقبة في طريقه وسيتصدى له ".

ولم يكن هناك ، في ذلك الوقت ، منظمات وقوى سياسية قائمة لديها نظرة ضباط الجيش الوطنيين إلى الأوضاع القائمة في البلاد، غير جماعة الإخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة ومنظمات أخرى، كالجناح اليساري من حزب الوفد والمنظمات الشيوعية المختلفة المتصارعة مع بعضها في ذلك الحين. ولم تكن تلك المنظمات تملك القوة ولا القدرة على القيام بهذه المهمة دون أن يساندها الجيش. أما باقي الأحزاب الأخرى السياسية في مصر فكانت على قمة السلطة فيها الباشاوات أصحاب الإقطاعيات الزراعية والأملاك الواسعة، وكانوا هم سعداء بما هم فيه من يسر في الحياة ولا يفكرون فيما وصل إليه حال مصر.

كان الجيش في عام ١٩٤٩ جريحاً ومطعوناً من أثر الهزيمة في حرب فلسطين. إضافة إلى ضعف تيار العمل السياسي في تنظيماته؛ فقد عجز تنظيم الحرس الحديدي عن إيجاد دوافع جديدة للاغتيال، خاصة أن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ كان قد ضعف أثره، بعد نجاح وزارة الوفد في الانتخابات نجاحاً كبيراً معبراً عن تأييد شعبي جارف، وهكذا توقفت حركة الحرس الحديدي. [1]

***

---

(١) خالد بن سلطان بن عبد العزيز موسوعة "مقاتل من الصحراء " على شبكة المعلومات الإلكترونية .البحث الخاص بثورة ٢٣ يوليو الفصل الثالث (الضباط الأحرار)

ضباط الجيش والتنظيم السري للإخوان المسلمين

كانت جماعة الإخوان المسلمين أكبر التنظيمات التي جذبت الضباط الثائرين على فساد الأحوال أو انجذب إليها هؤلاء الضباط لما للدين ورجاله من مكانة في قلوب المصريين يفزعون إليه في وقت الشدائد ولما كانت تتمتع به الجماعة من قوة تنظيمها وقوة تأثير مرشدها ، وهذا لا يمنع من انضمام بعض الضباط إلى تنظيمات شيوعية ، وفي بعض الأحيان كان الضابط يجمع بين انضمامه للتنظيم السري لجماعة الإخوان المسلمين وعضويته في تنظيم شيوعي كما هو الحال مع خالد محيي الدين .

إن صلة ضباط الجيش بالإخوان تعود إلى الحرب العالمية الثانية . ولكنها لم تظهر كتيار رئيسي في مجال الحركة السياسية بالجيش إلا بعد انتهاء الحرب . ولم تكن اتصالات الأخوان المسلمين مقتصرة على فرد أو أفراد محدودين ، وإنما كانت منتشرة مع أكبر عدد متاح لهم من الضباط. [١]

في سنة ١٩٤٣ بدء الإخوان المسلمون تنظيماً سرّياً لضباط الجيش برئاسة محمود لبيب (وكيل جماعة الإخوان المسلمين) وعن هذا التنظيم يقول حسين حمودة – أحد أعضاء ذلك التنظيم وأحد الضباط الأحرار بعد ذلك – : " كانت الخلية الرئيسة في تنظيم الإخوان المسلمين داخل القوات المسلحة مكونة من سبعة ضباط هم : عبد المنعم عبد الرءوف، وجمال عبد الناصر ، وكمال الدين حسين،وسعد توفيق ، وخالد محيي الدين ، وحسين حمودة، وصلاح خليفة ". [٢]

---

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يولية " الهيئة المصرية العامة للكتاب . الجزء الأول ص ١١٣ .

(٢) حسين حمودة " أسرار حركة الضباط الأحرار و الاخوان المسلمون " الزهراء للإعلام العربي ص ٣٣– ٣٤ .

وتروي لنا مذكرات عبد المنعم عبد الرءوف تكوين الخلية الأولى للضباط الإخوان المسلمين من سبعة هم : عبد المنعم عبد الرءوف ، وعبد الناصر ، وحسين حمودة ، وكمال الدين حسين ، وسعد توفيق شقيق زوجة حسين حمودة، وصلاح الدين خليفة ، وخالد محيي الدين . [1]

وظلت هذه الخلية تعمل سراً طيلة أربع سنوات وأربعة أشهر بدءاً من عام ١٩٤٤ حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ لضم أكبر عدد ممكن من الضباط إلى صفوف هذا التنظيم السري واتسع هذا التنظيم وتكونت خلايا جديدة فرعية منبثقة من الخلية الرئيسة فشكل كل فرد من أفراد الخلية الرئيسية خلية فرعية لا تزيد عن سبعة أفراد وكان محمود لبيب يحضر الاجتماع الأسبوعي للخلية الرئيسية ويحضر أيضاً الاجتماعات نصف الشهرية للخلايا الفرعية ، وصار محمود لبيب هو حلقة الاتصال بين الضباط المنضمين للتنظيم ليس في الجيش فقط بل وفي الطيران أيضاً. واتسع نطاق العمل السري ليشمل قطاع المدنيين من شباب الإخوان المسلمين" [2] وفي عام ١٩٤٦ حَلَفَ الضباط السبعة [3] اليمين وأُخِذَ عليهم العهد . يقول حسين حمودة : " قادنا صلاح خليفة واحداً بعد واحد لأخذ العهد وحلف اليمين في حجرة مظلمة تماماً يجلس بها رجل مغطى بملاءة فلم نعرف شخصيته وحين جاء دوري جلست أمام الرجل المخفي وكان سؤال هذا الشخص المتخفي الذي يأخذ العهد " هل أنت مستعد للتضحية بنفسك في سبيل الدعوة الإسلامية ، وإعلاء

---

(1) عبد المنعم عبد الرءوف "أرغمت فاروق على التنازل عن العرش"الزهراء للإعلام العربي ص٤٣.

(2) حسين حمودة " أسرار حركة الضباط الأحرار و الإخوان المسلمون " مرجع سابق ص ٣٣- ٣٤.

(3) الضباط السبعة هم حسب الأقدمية في كشف الجيش المصري وقت ذاك . ١- اليوزباشي عبد المنعم عبد الرءوف . ٢- اليوزباشي جمال عبد الناصر حسين. ٣- الملازم أول كمال الدين حسين ٤- الملازم أول سعد حسن توفيق . ٥- الملازم أول خالد محيي الدين. ٦- الملازم أول حسين محمد أحمد حمودة . ٧- الملازم أول صلاح الدين خليفة . نقلا عن حسين حمودة " أسرار حركة الضباط الأحرار" مرجع سابق ص ٣٣ .

كلمة الله ؟ فقلت : نعم . فقال: " امدد يدك لتبايعني علـــى كتـــاب الله وعلـــى المسدس سلاح العصر ".

فوضعت يدي على مصحف ومسدس وبايعته على فداء الدعوة الإســـلامية وعدم إفشاء أسرارها . وقال الرجل المتخفي : " إن من يفشي سرنا فليس له منـــا سوى جزاء واحد هو جزاء الخيانة وأظنك تعرف جيداً ذلك الجزاء ".

وبعد أن بايع كل منَّا عدنا إلى الحجرة ذات الضوء الخافت فوجدنا شخصاً عرَّفنا بنفسه وذكر اسمه (عبد الرحمن السندي) ، وقال إنه يرأس التنظيم السري الخاص بجماعة الإخوان المسلمين وهو تنظيم سري مسلح يضم شباباً مـــن الطلبـــة والعمال والفلاحين والحرفيين ممن باعوا أنفسهم لله واستعدوا للمـــوت في ســـبيل إعلاء كلمة الله .. وفي هذه الليلة تفاهمنا مع عبد الرحمن السندي علـــى أن نقـــوم بتدريب شباب الإخوان من أعضاء التنظيم السري على استعمال الأسلحة .. وبعد ذلك بدأنا مرحلة جادة في تدريب شباب الإخوان المسلمين ، وكانت التـــدريبات تتم في صحراء حلوان وجبل المقطم وفي محافظة الشرقية ومحافظة الإسماعيلية ، وقد اشترك جمال عبد الناصر معي في تدريب شباب الإخوان المسلمين عـــامي ١٩٤٦، ١٩٤٧ ، وكان التدريب يتم على الأسلحة الصغيرة مثل الطبنجـــات والبنـــادق والرشاشات القصيرة والقنابل اليدوية وأســـاليب النـــسف والتـــدمير بأصـــابع الجيلجنيت وأسلوب استخدام زجاجات المولوتوف ضد دبابات العدو . والتدريب كان يتم لرؤساء الخلايا وهم يدربون الأفراد التابعين لهم بدورهم.

وشهدت مدن مصر : القاهرة ، والإسكندرية ، ومدن قناة السويس خلال عامي ١٩٤٦، ١٩٤٧ حرب عصابات مسلحة ضد قوات الاحتلال البريطـــاني وكان القائمون بهذا الكفاح المسلح ضد المحتلين هم شباب التنظيم السري لجماعة

الإخوان المسلمين برئاسة عبد الرحمن السندي بعد أن أقام عبد المنعم عبد الرءوف، وجمال عبد الناصر ، وحسين حمودة وبقية الزملاء من الضباط بتدريب هؤلاء الشباب على استعمال الأسلحة بأسلوب حرب العصابات (اضرب واهرب).

اضطرت الحكومة البريطانية إزاء اشتداد حوادث الإرهاب المسلح ضد جنودها إلى إجلاء قواتها عن القاهرة والإسكندرية عام ١٩٤٧ . وكان الفضل في تحقيق فهذا الجلاء إلى شباب الإخوان المسلمين الذين شنوا حرب عصابات ضد الإنجليز وكان ذلك بتوجيه الضباط السبعة .[١]

كانت هذه رواية حسين حمودة وقد أكد ما جاء فيها كثير من الضباط الأحرار وكتّاب الإخوان المسلمين .

وأستميحك عذراً – عزيزي القارئ – في كثرة الاستشهاد حول انضمام أغلب لجنة قيادة الضباط الأحرار وعلى رأسهم جمال عبد الناصر إلى جماعة الإخوان المسلمين ؛ لأن بعض الناصريين يحاول التشكيك في هذه الصلة.

يقول خالد محيي الدين " كان عبد الناصر أول مرة أتعرف عليه عن طريق عبد المنعم عبد الرءوف ده كان سنة ٤٤ كده ، وبعدين جت سنة ٤٥ والحرب انتهت وكان فيه تفكير بعمل تنظيم ، وكان الجيش على علاقة بالإخوان المسلمين، واتعرَّف جمال عبد الناصر بأغلبهم ". [٢]

---

(١) حسين حمودة " أسرار حركة الضباط الأحرار" مرجع سابق ص ٣٥– ٣٨.

(٢) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو شهادة ١٢٢ من صانعيها ومعاصريها " مركز الأهرام للترجمة والنشر مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٢٠ . هذا الكتاب هو نص أحاديث مسجلة تلفزيونياً (صوت وصورة) أجراها الإعلامي طارق حبيب مع ١٢٢ شخصية ممن صَنعوا أحداث ثورة ٢٣ يوليو أو عاصروها وجميع الأقوال المذكورة في هذا الكتاب قد أدلى بها أصحابها ، وهي مسجلة عليهم وليس لطارق حبيب فضل فيها إلا طرح الأسئلة على الشخصيات وتسجيل ما صرحوا به .

كما ذكر خالد محيي الدين حِلْفَه اليمين هو وعبد الناصر وأخذ العهد عليهما على النحو الذي ذكره حسين حمودة.

يقول خالد محيي الدين عن حلفه لليمين " أدخلونا غرفة مظلمة ودخل معنا عبد الرحمن السند المهم بعد شوية حلفنا وجابوا لنا مصحف ومسدس .. وخرج ورايا جمال عبد الناصر كان يعني في غرفة ثانية [1] ويذكر خالد محيي الدين مبررات انضمامه للتنظيم السري للإخوان المسلمين قائلاً : " في ذلك الوقت كنا نرى أنه كان تنظيماً وطنيّاً .. الرئيس عبد الناصر انضم للإخوان المسلمين معانا لمدة طويلة اشتغلنا مع الإخوان المسلمين وتنظيماهم السرية وبعدين تركناهم ". [2]

ويحكي كمال الدين حسين قصته مع جماعة الإخوان فيقول : " وأنا طالب في الجامعة أحد أصدقائي أخذني زرنا جمعية الإخوان المسلمين في مقرها فوق لوكاندة البرلمان في العتبة الخضراء ، وبعدين كنت أروح للاجتماعات بتاعتهم كل حين وآخر إلى أن حصل ارتباط معاهم لّما عبد المنعم عبد الرءوف قال لي ما تيجي معنا إحنا فيه اجتماعات بنعملها . رحنا على فين على بيت جمال عبد الناصر وجدته مع واحد اسمه الصاغ محمود لبيب هو كان متصلاً بالإخوان برضه أو كان مندوب الإخوان وهو راجل من الجيش القديم ، وكنا نجتمع في الأسبوع مرة في بيت أحد مننا سراً طبعاً ، كانت اتجاهاتنا في الأول متدينة ، خالد محيي الدين معانا، ومش عارف إليه اللي قَلَبَه على الناحية الماركسية ". [3]

([1]) خالد محيي الدين برنامج " زيارة خاصة " قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ١٣ / ٣ / ٢٠٠٦.

([2]) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو شهادة ١٢٢ من صانعيها ومعاصريها "مرجع سابق ص ٢١.

([3]) نفسه ص٢١.

ويعترف السادات بصلة جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين بـالإخوان في كتابه" أسرار الثورة المصرية " الذي أقرَّ عبد الناصر بكل ما جاء فيه في مقدمته التي كتبها للكتاب وجاء فيها " لقد حلل المؤلف في كتابه الشخصيات والأحداث تحليلاً دقيقاً ، مما جعل الكتاب مرجعاً قيِّماً يعتد به . "[1]

يقول السادات في هذا الكتاب : " وبدأت في تلك الفترة صلات جديدة بين جماعة الإخوان ، صلات بين ضباط المجموعة ، وبين قيادة الجماعة . فقد عُقدت اجتماعات في بيت المرحوم حسن البنا ضمت جمال عبد الناصر ، وكان إذ ذاك في كلية أركان حرب ، وكمال الدين حسين ضابط المدفعية ، وبعض الضباط المنتمين للإخوان . "[2]

وأبو الفضل الجيزاوي (من الضباط الأحرار) يقول : " معظم ضباط الثورة تقريبا إن لم يكن ٨٠ % - ٩٠ % منهم دخلوا في الإخوان ، وعبد الناصر علاقته مع الإخوان على هذا الأساس كانت طيبة من قبل قيام الثورة ."

ويقول محسن عبد الخالق (من الضباط الأحرار،أستاذ اقتصاد وسفير سابق): " إن جمال عبد الناصر لم يكن من بين الحركات الوطنية في الجيش ، ولكنه حابس نفسه داخل الإخوان المسلمين، وداخل الجهاز السري . كان جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وخالد محيي الدين وعبد المنعم عبد الرءوف وحسين حمودة واثنين آخرين.

إذن جمال عبد الناصر قي ذلك الوقت كان مشواره مع الإخوان المسلمين لم يكن مشواره مع الحركات السرية أو الوطنية داخل الجيش ، وعندما تقابلنا في

---

(1) مقدمة الرئيس جمال عبد الناصر لكتاب " أسرار الثورة المصرية " دار الهلال ص ١١ .

(2) أنور السادات " أسرار الثورة المصرية " مرجع سابق ص ١٩٥

حرب فلسطين بدأ يسمع كلاماً جديداً ، بدأ يسمع إن إحنا بنعمل منـــشورات . بدأ يعرف إن فيه حركات وفيه تنظيمات وفيه خلايا بتتكون " [١]

ويضيف أحمد حمروش (من الضباط الأحرار ، ومن مؤرخي ثورة يوليـــو) : "معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا في الإخوان المسلمين ، عبد الناصر كان في الإخوان ، وعبد اللطيف البغدادي ، وخالد محيي الدين ، كل دول بدءوا حيـــاتهم في الإخوان ". [٢]

ويقول إبراهيم شكري (رئيس حزب العمل السابق) : " كان هناك تعاوناً بين تنظيم الضباط الأحرار وبين جماعة الإخوان المسلمين دون شك في ذلك". [٣]

ويقول توفيق عبده إسماعيل(من الضباط الأحرار ووزيـــر ســـابق) : " في الحقيقة دخل جمال عبد الناصر في مرحلة من المراحل مع الأخوان مـــع الإخـــوان المسلمين مع الصاغ محمود لبيب وكان ماسك الجوالة بقى له ٥ سنوات ودخـــل معاه مجموعة كبيرة من ضباط الجيش اللي ظهروا سنة ٥٢ على مسرح الأحـــداث بتاعة الضباط الأحرار واستمروا معاهم في المدرسة الـــسياسية بتاعـــة الإخـــوان المسلمين " [٤]

***

---

(١) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو شهادة ١٢٢ من صانعيها ومعاصريها " مرجع سابق ص ٢٢ .
(٢) نفسه ص ٢٢ .
(٣) نفسه ص ٢٢ .
(٤) نفسه ص ٢٢ .

حرب فلسطين والنشأة الأخرى للضباط الأحرار

على إثر صدور قرار هيئة الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين أعلنت بريطانيا أنها ستنهي انتدابها على تلك البلاد وحددت لانتهائه يوم ١٥ مايو ١٩٤٧ وكان مفهوماً ومعروفاً أن الإنجليز متفقون مع اليهود على أن يحلوا محلهم في فلسطين فقَبْل جلائهم عنها استوردوا السلاح والعتاد وأنشئوا معاقلهم وأعدوا قواهم تحت سمع الإنجليز وبصرهم ، وبمعاونتهم ومساعدتهم ، وقبل جلاء الإنجليز سلموا مدينة حيفا – ثغر فلسطين المهم – لليهود ، وقد اتفقت الدول العربية على أن تدخل فلسطين بجيوشها بمجرد خروج القوات الإنجليزية منها لكي يعيدوها إلى أهلها العرب ويخرجوا منها قوات اليهود على أن سياسة الدول العربية في هذه المسألة الخطيرة كانت خرقاء متخاذلة سايرت إلى حد كبير مقاصد السياسة البريطانية فقد كان واجباً عليها لو كانت جادة في إنقاذ فلسطين أن تمد المجاهدين فيها بالعتاد والسلاح والمال والمتطوعين قبل انتهاء الانتداب البريطاني وعلى الأخص منذ صدور قرار التقسيم من هيئة الأمم المتحدة ، وكان يكفي هذا المدد والعون لكي يحول دون تمكين اليهود من وضع أيدهم على البلاد فإن المجاهدين العرب قد قاوموا الانتداب البريطاني واليهود معا سنين عديدة من قبل فلو أنهم لقوا من الدول العربية العضد والعون دون إعلان الحرب لكان ذلك كافيا لمنع اليهود من إنشاء دولتهم ولكن الدول العربية مسايرة منها للسياسة البريطانية وإبقاء على صلاتها الودية بها لم تحرك ساكناً حتى انتهى الانتداب البريطاني ، ثم إن الجيوش التي أرسلتها البلاد العربية للحرب مع الأسف كان ينقصها العتاد

والسلاح والقيادة الصالحة ، وكان ينقصها أيضاً الحزم وخلوص النيـة والتعـاون الصادق بين الحكومات العربية نفسها فأدى هذا النقص والتخاذل إلى هزيمة هـذه الجيوش أمام شراذم اليهود المنظمة المستبسلة في الحرب والقتال .[١]

إن هذه الدول العربية هي التي أضاعت ٧٨,٥ % من أرض فلسطين، هل ممكن أن تتخيل – عزيزي القارئ – أن هذه الدول العربية مجتمعة كلها وَضَعَت في ميادين القتال :

أولاً : ما لا يزيد عن ثلاثين ألف جندي على كل الجبـهات، في حـين أن إسرائيل وضعت ١٠١ ألف جندي ومتطوع .

ثانياً : كان عند إسرائيل على أقل تقدير من ١٢٠ : ١٣٥ جنـرالاً كـانوا موجودين في الحرب العالمية الثانية في الجيش السوفيتي وفي الجيش الأمريكـي وفي الجيش الفرنسي وقد استُدْعُوا جميعاً لكي يقودوا المعركة .

ثالثاً : نحن – العرب – لم يكن لدينا فكرة عن الحرب ولم نكن داخلين لكي نحارب. نحن كنا داخلين بالاتفاق مع الدول المسيطرة، إنجلترا بالتحديد، أننا سوف نبقى في حدود قرار التقسيم . فدخلنا ملتزمين حدود التقـسيم لم نتجاوزهـا، لم يتجاوزها منا أحد .

رابعاً : لَمّا اكتشف اليهود ضعفنا بدءوا يتجاوزون الحـدود لدرجـة أنهـم اخترقوا الحدود المصرية وكادوا يطوِّقون الجيش المصري .[٢]

---

(١) عبد الرحمن الرافعي " في أعقاب الثورة المصرية " الجزء الثالث النهضة المصرية ص ٢٥٣.

(٢) محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " حلقة خاصة بمناسبة مرور ستين عاما على إنشاء دولة إسرائيل " فلسطين حق يأبى النسيان ج١ " أذيع البرنامج في تاريخ ١٥/٥/٢٠٠٨ على قناة الجزيرة الفضائية .

ويقول السادات عن هذه الحرب : " الذين سافروا إلى الحرب سافروا مجردين من أقوى سلاحين يسافر بهما المحارب : المعلومات الحقيقة أو شبه الحقيقية عن العدو، والاطمئنان إلى حسن استعداد الجيش نفسه.

والذين سافروا إلى حرب فلسطين ، لم يكونوا يعرفون شيئاً مطلقاً عن جيش اليهود ، ولم يكونوا يعرفونا شيئاً مطلقاً عن جيش مصر نفسه ، ومدى استعداده ، وحقيقة إمكانياته ! ولكنهم سافروا ، سافروا حماسة ، وسافروا ذوداً عن شرف الوطن الذي ادخرهم للذود عنه.

إن ما شعر به الجيش المصري في فلسطين منذ الأسابيع الأولى من حقائق تثبط أي همّة ، وتقصم أي ظهر . فهناك في أرض المعركة وضح تماماً أن كل ما يلزم لجيش يحارب لا وجود له في جيش مصر ، كل ما يلزم من سلاح أو عتاد أو ذخيرة أو مواصلات لا وجود لشيء يصلح للحرب أبداً .

وهناك في المعركة وضح تماماً أنها معركة تسير وفق نظام غريب لم يسبق له مثيل في تاريخ المعارك الناجحة والفاشلة في العالم بأسره ، فالجيش يحارب في فلسطين ولكنه يُقاد من القاهرة ، وهو يقاد من القاهرة وتصدر له الأوامر ، أوامر التحرك والهجوم دون النظر لا إلى أصول الحرب ، ولا إلى مقدرة الجيش نفسه ، أما قيادة الجيش ، القيادة التي لم يكن لها وجود أبداً فلو وجدت ، أو وجد نوع من القيادة الحقيقية لما أمكن أن يهزم جيش مصر أبداً رغم النقص الذي يعانيه في سلاحه وعتاده . "[١]

ويقول محمد نجيب عن الأسلحة التي حارب بها الجنود في حرب فلسطين : "كنا نحارب على قدر استطاعتنا رغم ضعف الأسلحة والمهمات التي تحت أيدينا . .

([١]) أنور السادات " أسرار الثورة المصرية " مرجع سابق ص ٢٠٥ – ٢٠٧ بتصرف .

وكانت الدبابات التي نركبها تقف عاجزة عن الحركة لعدم وجود قطع غيار لها ، حتى القنابل التي استوردناها من إيطاليا كانت سيئة الصنع لدرجة أنها كانت تنفجر في وجوه الجنود ، أما البنادق التي اشتريناها من أسبانيا فكان يرجع تاريخ صنعها إلى عام ١٩١٢ م وإذا كان لا بأس بها في التدريبات فإنها لا يمكن أن تقف أمام الأسلحة الأوتوماتيكية : التشيكية، والأمريكية ، والروسية الصنع التي كانت في أيد الأعداء .

وحدث في عام ١٩٤٩ انفجارات متكررة ، وغامضة دمرت مخازن الذخيرة في تلال المقطم بالقرب من القاهرة هذه الانفجارات أيدت شكوكنا أن الأسلحة التي حاربنا بها في فلسطين كانت فاسدة .

وعرفنا بعد ذلك أن الملك فاروق وحاشيته كانوا على رأس العصابة التي تاجرت في الأسلحة الفاسدة ، كانوا يشترون أنواعاً رديئة من أسواق السلاح بأرخص الأثمان ، ويحاسبون الحكومة على أسعار أعلى ويقبضون الفرق . لذلك فليس عجيباً أن ننهزم في فلسطين ، وأن يحدث لنا ما حدث هناك . " [١]

درس في سبب هزيمة العرب في فلسطين:

إن الذي ساعد على إقامة الدولة الصهيونية في فلسطين سوء السياسة العربية تجاه القضية الفلسطينية ، ففي حين استطاع اليهود بكفاءة نادرة استمالة الدول العظمى ومن يدور في فلكها للتصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح مطالبهم الظالمة مقابل عجز ممثلو العرب عن كسب أي تعاطف مع قضيتهم العادلة هذا على المستوى الدبلوماسي فإذا جئنا إلى ساحة القتال فإننا نجد أن

---

(١) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " المكتب المصري الحديث ط ٢ ص ٧٢.

العصابات اليهودية كانت على أتم استعداد للحرب عدة وعتاداً في مقابل أن الجيوش العربية كانت دون ذلك حتى على مستوى العدد فضلاً عن افتقارها لكل مقومات الانتصار فلا تخطيط محكم ولا تدريب منظم ولا قيادة واعية ، ولا سلاح حديث ، ولا نية صادقة للحكام للقتال إنما دخل الحكام العرب حرب فلسطين ليس بغرض منع إقامة دولة يهودية على الأرض العربية إنما لغرض الدعاية الشخصية ، واستعراض القوة ، وللمزايدة على القوى الوطنية وعلى الحكام العرب كل ذلك ليس من أجل القضية الفلسطينية بل من أجل تقوية مكانتها في بلادها بعدما فشلت في إجلاء الاحتلال ، كما فشلوا في إدارة شئون البلاد بتحسين أحوال الشعوب اقتصاديّاً واجتماعيّاً .

ولعل الملك فاروق كان يريد من وراء دخوله الحرب أن يكسب سياسيّاً خارج البلاد لكي يضفي على نظام حكمه بعض القوة في الداخل وأن يأتي اسمه في تاريخ فلسطين كمنقذ لها وساعيّاً لإعادة الحق لأصحاب الأرض .[1]

فقد كانت مصر من الناحية العسكرية حتى ذلك الوقت في موقف ضعيف للغاية ، إذ كانت البعثة العسكرية البريطانية هي التي تتحكم في تسليح الجيش وتدريبه ، وكان دخول المعركة أمرا أشبه بالغامرة . فقد أرادت بريطانيا وبعثتها العسكرية أن تبقي مصر وجيشها في حالة من الضعف . ورغم كل هذه الظروف قامت الحكومة المصرية برئاسة النقراشي باشا بإعلان دخول جيش مصر الحرب في فلسطين وذلك بقرار من الملك دون الرجوع إلى الوزارة أو إلى البرلمان .[2]

يقول محمد نجيب عن حالة الجيش المصري في العهد الملكي : " ظل الجيش المصري تحت قيادة الإنجليز لمدة جيلين حتى عام ١٩٣٦ ، ولم يرغب الإنجليز في

---

(١) جمال منصور " في الثورة والدبلوماسية " مرجع سابق ص ٣٣.

(٢) نفسه ص ٣٢.

إقامة جيش محارب قوي خوفاً من أن ينقلب عليهم في يوم من الأيام ويجبرهم على الرحيل . [1]

إذا كان حال الجيوش العربية بهذا الضعف ، والوحدة العربية بهذا التفكك ، والحكام العرب بهذا العداء والتخوين ، فلماذا أقدم حكام العرب على حرب فلسطين؟

والجواب ببساطة أو بمرارة أن حكام العرب كان غرضهم من دخول الحرب ليس دحر العصابات اليهودية وإعادة حقوق الشعب الفلسطيني له أنما كان التحاسد والتباغض بين بعضهم البعض هو الغاية المنشودة من هذه الحرب فقد كان " الملك فاروق يضمر الحسد من الملك عبد الله " [2] فلكل منهما أهداف من الحرب مخالفة للآخر ولقد سعى كل واحد منهما إلى تكوين تحالفات لإفشال خطة الآخر " فالأردن تؤيده العراق أراد التدخل عسكريا كي يؤمن أجزاء من فلسطين التي خُصِصَتْ للدولة العربية حسب خطة التقسيم في حين أن مصر تؤيدها السعودية أرادت أن تعوق خطة الأردن / العراق بإلغاء التقسيم . " [3] لذا جاء قرار الملك عبد الله " بإلغاء منظمة الجهاد المقدس الفلسطينية ، وجميع القوى والعصابات التابعة لها ، وإلغاء جيش الإنقاذ المؤلف من المتطوعين ، وطلب إلغاء الهيئة العربية العليا لفلسطين ، ووضعت خطة محكمة لإبعاد الفلسطينيين من ميدان الجهاد والسياسة ، وعن كل ما يتعلق ببلادهم ومستقبلهم وحياتهم . " [4] لقد جاءت هذه القرارات متسقة مع استراتيجية الملك عبد الله التي " بدت وكأنها تسير في توافق مع ديفيد بن جوريون فما كاد يستأنف القتال وتنهزم قواته في اللد

---

(1) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ط٢ ص ٧٣ .

(2) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " مرجع سابق ص ١٧ .

(3) نفسه ص ٢٨ .

(4) السيد محمد أمين الحسيني " حقائق عن قضية فلسطين " مرجع سابق ص ٢٤ ط ٢ .

والرملة – أو يسحبها عمداً – في مؤامرة بين جلوب والصهيونية ، حتى قرر الملك عبد الله إيقاف القتال بدون انتظار قرار مجلس الأمن "[١] تاركاً القوات المصرية تنهزم وتطرد مما استولت عليه من أراضٍ (النقب) .

ورغم ذلك فقد حارب الجيش المصري ببسالة في حدود الإمكانيات المتاحة له حينئذ ، وجاءت الهدنة الأولى ثم الثانية وانسحاب الجيش المصري من الأراضي التي سبق الاستيلاء عليها ، وعادت قوات الجيش المصري إلى القاهرة ، وتم إعداد موكب عسكري ضخم لا لشيء إلا ليعطي انطباعاً طيباً لدى الشعب ، ولكي يدخل في روعه أن نتيجة الحرب لم تكن هزيمة ولكنها عودة للأبطال واستعداداً للحل السياسي للمشكلة . وانتهت حرب ١٩٤٨ باتفاقية الهدنة المعروفة .

إن قرار إرسال الملك فاروق الجيش المصري ليحارب في فلسطين كان لإنقاذ عرشه الذي كان يجابه المشاكل الآتية :

١– القضية الوطنية معلقة بعد فشل المفاوضات وفشل اللجوء لمجلس الأمن والسياسة الاستعمارية تعمل على فصل السودان والجماهير لا تغفل لحظة عن مطالبها الجماعية .

٢– التهاب الموقف الداخلي بالمظاهرات وإضراب الطوائف والهيئات المهنية والعمالية في مطالبة جماعية بتحسين الأوضاع الاجتماعية ، وصلت إلى ذروتها بإضراب رجال البوليس .

٣– ضيق الشعب بحكم أحزاب الأقلية التي لا تمثل إرادته مطلقاً .

٤– استحكام الغلاء إلى حد جعل الحياة شديدة الصعوبة بالنسبة للأغلبية الساحقة من الناس .

---

(١) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " مرجع سابق ص ١٨ .

هذه هي الحالة التي كانت تسود مصر قبل حرب فلسطين مباشرة وهي مليئة بعوامل التفجر التي تهدد قواعد النظام الذي كان يستند إلى ملكية فاحت رائحة تصرفات رجالها إلى الحد الذي أضعف تماماً من مركز الملك ، وأحزاب الأقلية عاجزة عن مجابهة المستعمرين ، الأمر الذي كان يحمل بذور ثورة شعبية .

وهكذا وجدت حكومة النقراشي في دخول الحرب إنقاذاً لها مما عجزت عن مجابهته ، ووجد فيها الملك والاستعمار طوق نجاة يتعلقان به لإنقاذهما من غضب المجتمع المتزايد يوما بعد يوم . " [١]

التقى رفض العرب لمشروع التقسيم ونقص قدراتهم العسكرية مع المخطط الصهيوني التوسعي القائم على استخدام القوة ، وانتهى الأمر بإعلان ديفيد بن جريون قيام دولة إسرائيل مساء ١٤ مايو ١٩٤٨ واعترفت حكومة الولايات المتحدة بها بعد دقائق من إعلانها ووجه ترومان الدعوة لحاييم وايزمان رئيس دولة إسرائيل في اليوم التالي لتعيينه مباشرة ." [٢]

درس في الزعامات المزعومة والسياسات المدروسة:

لقد فشل العرب في إقناع الرأي العام العالمي بعدم تقسيم فلسطين في حين نجحت الصهيونية في كسبه ، وكان من الطبيعي أن يأتي تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح تقسيم فلسطين ، وليت العرب عرفوا قدرهم ، وأقروا بعجزهم ، وقدّروا قوة عدوهم واعترفوا بقرار الأمم المتحدة لهان الأمر وجنبوا أنفسهم ويلات حروب لا نصيب لهم فيها إلا الهزائم النكراء .

---

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٣٢.

(٢) نفسه ص ١٣٦.

ولكن الذي حدث على النقيض من هذا فالحكام العرب أرادوا أن يضيفوا إلى هزيمتهم السياسية هزيمة عسكرية أيضاً تأتي على الأراضي الفلسطينية الباقية!!

فبدلاً من دعم الدول العربية للفلسطينيين وقوات المتطوعين لمنع التقسيم ، أو الإقرار بالأمر الواقع الذي فرضه ضعفهم وقوة عدوهم وتواطؤ القوى العظمى ضدهم بقبولهم لقرار التقسيم بعدما فشلت كل الجهود الدبلوماسية في التوصل لأفضل منه بدلاً من هذا وذاك ، راح العرب – كما هي عادقم – يلجئون إلى الخطب الرنانة وإثارة الحماسة الدينية والإقدام على المغامرات غير المحسوبة بغية تصفية حسابات مع بعضهم البعض ، والتنافس على توسيع حدود ممالكهم على حساب دولة فلسطين مستترين وراء الدفاع عن المقدسات الدينية والأرض العربية مزايدين في القومية على أعدائهم من القوى السياسية الذين يرون أن الجهاد الحقيقي إنما يكون من أجل جلاء الاحتلال الأجنبي وإقامة الدستور وتطبيق الديمقراطية ، وتوجهوا إلى الجماهير العربية التي سبق أن ساموهم الخسف والعذاب، والفقر والجهل والمرض راح هؤلاء الحكام المستبدون يمالئون الجماهير العربية التي كانت تضج بالحماسة للقضية الفلسطينية وتجعلها في مقدمة اهتمامها وقرروا – دون انتظار موافقة حكوماقم – تحريك الجيوش إلى فلسطين للقضاء على اليهود في غضون أيام قلائل هكذا أوحى حكام العرب لشعوهم !

وليت أهم أعدوا للحرب عدقما بل أرادوها مظاهرة عسكرية ليس إلا فالجيوش العربية " كان تكوينها أصلاً معداً على أساس القيام بالعمليات البوليسية وبغرض إظهار المظهرية فقط "[1] لذا فلا عجب أن يهملوا جمع المعلومات عن قوة العدو الصهيوني ، ليس ذلك فحسب بل إن أعداد القوات التي أرسلوها للقتال لا

---

(١) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " مرجع سابق ص ١٦ .

تتناسب فقط وعدد العرب آنذاك (الذي كان يصل إلى سبعين مليون نسمة ، بالإضافة إلى أربعمائة مليون مسلم في مقابل ستمائة ألف يهودي) بل لا يتناسب مع عدد اليهود المشاركين في المعركة !!

كما نسي هؤلاء الحكام إخطار القيادات العسكرية المشاركة في الحرب إلا في آخر لحظة ، أما عن مقدرة القيادات العسكرية على خوض المعارك ، والتخطيط لها والتنسيق بين الجيوش ، وتدريب الجيوش على القتال وعلى الخطط الحربية فحدث ولا حرج .

وكان على الجيوش العربية قليلة العدد ضعيفة القيادة عديمة الخبرة والتدريب الحديث ضئيلة التسليح أن تدخل " في مواجهة إسرائيل بصلابتها . كانت الدول العربية تقف في جبهة مفككة يعوزها التنظيم وتفتقر إلى الوحدة ، رجال السياسة فيها عاجزون وركبتهم الأوهام ومتأكدون من تفوقهم لدرجة أنهم اعتقدوا أنه يكفي جمع المعلومات عن العدو في اللحظات الأخيرة قبل القتال ، ويفسر الباحثون هذا الجهل بالتناقض الحاد في الحساسيات والتقديرات التي تميز مشكلة فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي ، وقد انعكس ذلك على العرب حيث لم يتخذوا الأهبة ولم يجروا استعداداً ولم يضعوا أي خطة جادة لمتطلبات الحرب ولم يكن همهم الأول إنزال الهزيمة بالعدو والانتصار عليه وإنما مراقبة بعضهم البعض تربصاً وخيفة وحتى في أثناء العمليات العسكرية والاشتباكات المستمرة كان المصريون يخشون الملك عبد الله أكثر مما يخشون بن جوريون على حد ما يراه أحد الباحثين" [1] وفي الجلسة السرية التي عقدها النقراشي (رئيس

---

[1] نفسه ص ١٦ .

الوزراء المصري آنذاك) للرد على استجواب من فؤاد سراج الدين حول الحرب قال " إن نوري السعيد قد عرض عليه تكوين قيادة مشتركة ، ولكنه رفض لأنه "لا يستطيع أن يتحمل متاعبهم ، ولا يود أن يضع رقبته في أيديهم". [1]

إن مواقف المسئولين العرب آنئذ كانت بدون شك حمايةً لكرامتهم وضرورة لبقائهم السياسي ، فبعد أن أثاروا شعوبهم إلى درجة كبيرة من الحماس من أجل المشكلة الفلسطينية ولقّنوهم تصريحات متوقعة للانتصارات واخفوا عنهم التدهور في الموقف العسكري بقدر ما استطاعوا ، فإنهم لم يستطيعوا عقد سلام دون أن يضعوا أنفسهم في موقف حرج لأن السلام يعني – في هذه الحالة – إما تنازل عن معظم فلسطين لليهود بعد حرب حوربت لمنع هذا الظلم ، وإما أن السلام يعني اعتراف المسئولين العرب بالهزيمة وهو ما يمكن أن يعزى إلى سوء إدارة الحرب المزري من جانب الحكومات العربية . [2]

وقد كتب جلوب قائد القوات الأردنية في حرب فلسطين حول هذا الموضوع يقول " لست أعرف على مدى التاريخ عملاً في مثل هذا القدر من الحمق والتهور أتى به رجال تقع عليهم مسئولية الحكم .. لقد ضاع مستقبل شعب فلسطين ضحية لتعدد السياسات العربية وعدم وضوح هدف نهائي للعمل بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك حد أدنى للتنسيق بين هذه السياسات " [3]

وفي النهاية وطبقا لاتفاقيات الهدنة الدائمة حصلت إسرائيل على النصيب الأكبر وهو ما يصل إلى ٢٠,٩٣٢,٠٢٣ دونم في حين تبقى للعرب ما مساحته

---

(1) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٣٣.

(2) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " مرجع سابق ص ٢٩ .

(3) نفسه ص ١٧.

٦,١٠٥,٠٠٠ دونم منها ٥,٧٥٥,٠٠٠ دونم هي مساحة الضفة الغربية ، و٣٥٠,٠٠٠ دونم مساحة غزة ، وفي حين كان قرار التقسيم يعطي ٤٢,٨٨ % للعرب و ٥٦,٤٧ % لليهود ، أصبحت النسبة بعد الحرب واتفاق الهدنة ٢٢,٦ % للعرب ، و ٧٧,٤ % لليهود.

ولقد قُسِّم الجزء المتبقي من أرض فلسطين بين الملك فاروق ملك مصر ، والملك عبد الله ملك شرق الأردن ، فقد قام الملك عبد الله بضم الضفة الغربية الفلسطينية ، وإعلان المملكة الأردنية الهاشمية ، وكذلك قام الملك فاروق بوضع قطاع غزة تحت الإدارة المصرية.

كان ذلك خطأً تاريخيّاً قاتلاً ، لم ينتبه إليه العرب ، ذلك لأنه كان الواجب العربي يحتِّم - إذا خلصت النوايا - أن تقام دولة فلسطين على ما تبقى من الأراضي الفلسطينية (الضفة الغربية ، وقطاع غزة) منذ إعلان الهدنة عام ١٩٤٩، ولا ينتظرون حتى تضيع كل الأراضي الفلسطينية في يونيو ١٩٦٧ ثم ينادون بحكم ذاتي للشعب الفلسطيني على أراضيه المحتلة بعد الخامس من يونيو ١٩٦٧.

تصور كم عاماً أضاعها الحكام العرب على شعب فلسطين ؟! أربعة وأربعين عاماً (منذ إعلان هدنة رودس ١٩٤٩ إلى اتفاقية أوسلو ١٩٩٣) تغيرت فيها الأمور: قويت إسرائيل وكثر عددها وعتادها واستوطنت الأراضي المحتلة وضعف العرب وكثر اللاجئون الفلسطينيون واستوطنوا البلاد العربية والغربية ، لقد كانت القوى العربية قادرة على إيصال الضفة الغربية مع قطاع غزة بشريط أرض يمكن قيام دولة فلسطينية على الأرض التي كانت تحت السيادة الأردنية والمصرية ، ولكن عامل الوصاية على الشعب الفلسطيني أخَّر القضية هذه الأعوام الطويلة ،

ولو أن الشعب الفلسطيني تمكن من إدارة شئونه بنفسه لتغير وجه التاريخ في هذه المنطقة على الإطلاق ولكان ما يسعى الفلسطينيون للحصول عليه الآن قد تحقق عام ١٩٤٩.[١]

والجدير بالذكر أن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) أيدت قرار التقسيم عندما صدر مبررة ذلك بقولها : " إننا لا نريد أن نترع فلسطين من العرب ونعطيها لليهود بل نترعها من الاستعمار ونعطيها للعرب واليهود ، ولا نوافق على التقسيم إلا مضطرين كأساس لاستقلال فلسطين ثم يبدأ كفاح طويل للتقريب بين وجهات النظر في الدولتين العربية واليهودية ... وجاء في مجلتها الجماهير " إنه إذا كان قد اتخذ قرار التقسيم فإن طريق توحيد الدولتين هو طرد المستعمر " وعلّق البيان على موقف الحكومات العربية قائلاً إنها تهدف إلى : " وقف تيار الحركات الوطنية الصاعدة وتحويل حربنا المقدسة ضد الاستعمار إلى حرب عنصرية دينية تدعم مركز الاستعمار وأنه يرمي إلى صرف أنظار الجماهير الكادحة عن الكفاح في سبيل مستوى معيشتها إلى أمر خارجي ينسيها هذا الكفاح . "[٢]

وترتب على حرب فلسطين الفاشلة ، والوصاية الظالمة أن نزح أكثر من ٧٠٠ ألف فلسطيني إلى الأردن وقطاع غزة وسوريا ولبنان وانتهي بهم الوضع إلى العيش كلاجئين في البلاد التي نزحوا إليها . وهكذا انتهت حرب ١٩٤٨ بين العرب وإسرائيل أو على الأصح بين العرب والعرب ، والعرب والإسرائيليين على أرض فلسطين ! انتهت الحرب وأصبحت إسرائيل من الناحية العملية دولة قائمة على أرض فلسطين وقد عقدت بين إسرائيل وبين الدول العربية هدنة دائمة ، وقد

---

(١) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي " إسرائيل إلى زوال " دار الأمين للنشر والتوزيع ص ١٣٧.
(٢) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٢٩.

أعلنت أمريكا وإنجلترا وفرنسا أنها تكفل بقاء الحالة في الشرق الأوسط بكل الوسائل المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة وفي غير ميثاق الأمم المتحدة . [1]

كما اتخذت إسرائيل تجاه الدول العربية منذ إبرام الهدنة سياسة صارمة تقوم على أساس الردع الحاسم والرد العسكري العنيف على أي حادث تافه من قبيل أعمال التسلل عبر خطوط الهدنة .

ولقد أجبرت السياسةُ الإسرائيليةُ هذه الحكامَ العربَ على مهادنة إسرائيل وعدم التفكير في شن أي هجوم عليها كما أجبرتهم على قمع القوى المنادية بتحرير الأراضي الفلسطينية من العدو الصهيوني أو حتى المطالبة بالإصلاح الداخلي ومقاومة الفساد أو المطالبة بالديمقراطية !!

وبهذا خرجت الجيوش العربية المنظمة من الصراع العربي / الإسرائيلي . فكل الحكام العرب انشغلوا بسياستهم الداخلية عن القضية الفلسطينية ، كما انشغلوا بتوطيد دعائم حكمهم عن محاولة استرداد الحقوق الشرعية لشعب فلسطين !

***

(1) د. محمد حسين هيكل " مذكرات في السياسة المصرية " ج ٣ دار المعارف ص ٤٤ .

الحركة الوطنية بعد حرب فلسطين

الحركة الوطنية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تضاءلت فيها الروح التي تميزت بها ثورة ١٩١٩ فظهرت متخاذلة متثاقلة منحصرة في فئة قليلة من الشباب فقدوا النظام الذي عُرف به أسلافهم كما فقدوا التوجيه والإرشاد الضروريين لنجاح كل حركة وطنية ومن ثم ساورت بعض الرءوس لوثة عصبية أفسدت عليهم التفكير السليم وأوحت إليهم ارتكاب جرائم القتل والتخريب ، وجاءت حرب فلسطين فكان لها أثرها في إشاعة روح القتل والتدمير فإن الشباب الذين تطوعوا في هذه الحرب واعتادوا حياة القتل والقتال وألفوا دوي الرصاص والمدافع والقنابل عادوا من الميدان وقد أُشْرِبوا روح العنف.

وكان لحوادث القتل والتدمير التي ارتكبها اليهود في فلسطين ضد الإنجليز أثر كبير في التحريض على مثل هذه الجرائم عن طريق التقليد في الكفاح . ومما زاد في تفاقم موجة القتل والإجرام أن العنصر الإرهابي من جماعة الإخوان المسلمين اعتنقها وعدَّها وسيلة لقلب نظام الحكم في البلاد . [1]

لذا أصدر النقراشي بصفته حاكماً عسكريّاً أمراً عسكريّاً يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨ بحل جماعة الإخوان المسلمين وشُعَبِها وغلق الأمكنة المخصصة لنشاطها وضبط أوراقها ووثائقها وسجلاتها ومطبوعاتها وأموالها ،وكافة الأشياء المملوكة لها، وجاء في حيثيات حل جماعة الإخوان المسلمين.

---

[1] عبد الرحمن الرافعي " في أعقاب الثورة المصرية " الجزء الثالث مرجع سابق ص ٢٦٣، ٢٦٤.

" إن هذه الجماعة أمعنت في نشاطها واتخذت الإجرام وسيلة لتنفيذ مراميها وعمدت إلى طرق شتى يسودها طابع العنف فدربت أفراداً من شبابها أطلقت عليهم اسم " الجوَّالة " وأنشأت لهم مراكز رياضية تقوم بتدريبات عسكرية مستترة وراء الرياضة ، كما أخذت تجمع الأسلحة والقنابل والمفرقعات وتخزنها لتستعملها في الوقت الذي تتخيره وساعدها على ذلك ما كانت تقوم به بعض الهيئات من جمع الأسلحة والعتاد بمناسبة قضية فلسطين وأنها انغمست في النضال السياسي " وانتهت المذكرة إلى القول بأنه يتبين من استعراض الحوادث التي عددتها أن جماعة الإخوان المسلمين قد أمعنت في شرورها بحيث أصبح وجودها يهدد الأمن العام والنظام تهديداً بالغ الخطر وأنه بات من الضروري اتخاذ التدابير الحاسمة لوقف نشاط هذه الجماعة التي تروِّع أمن البلاد .[1]

والحقيقة أن جماعة الإخوان المسلمين لم تكن وحدها التي لجأت للعنف والإرهاب بل إن كل التنظيمات والجماعات في تلك الفترة اتسمت بالعنف ومحاولة تصفية خصومهم فقد " اجتاحت البلاد في أعقاب الحرب العالمية الثانية موجة من القتل والإرهاب والإجرام بدأت بمقتل الدكتور أحمد ماهر في فبراير ١٩٤٥ ، ثم أخذت تتطور وتتنوع مظاهرها حتى أوائل سنة ١٩٤٩، ولقد ساعد على استفحال روح العنف تمجيد هذه الجرائم على لسان المحامين المدافعين عن المتهمين فيها وإفساح المحاكم صدرها أحياناً لسماع عبارات التحبيذ والتمجيد مع إباحة نشرها وإذاعتها وجنوحها في بعض المحاكمات إلى الاسترسال فيها وصدور أحكام مخففة في بعض جرائم القتل بدت كأنها تحرض على ارتكابها ، وأخص بالذكر مقتل أمين عثمان سنة ١٩٤٦ ومحاكمة قتلة أحمد الخازندار سنة ١٩٤٨.

---

[1] نفسه ص ٢٧٠.

وجاءت حرب فلسطين فكان لها أثرها في إشاعة روح التـدمير والقتـل .. وتعدد حوادث إلقاء القنابل في سنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٤٧ ، وأخطرها وضع قنبلة شديدة الفتك في دار سينما مترو يوم ٦ مايو ١٩٤٧ انفجرت أثناء ازدحام الدار بروادها فكان لانفجارها دويٌّ فظيع وأودى بحياة خمسة من النظارة (المـشاهدين) وأصيب كثيرون من الانفجار .. وتكررت في الإسكندرية في سنة ١٩٤٦ حوادث إلقاء القنابل على الجنود البريطانيين ، ومقتل النقراشي سـنة ١٩٤٨ واعتـرف القاتل أنه من الإخوان المسلمين. [١]

يقول د. يونان لبيب رزق : " الانفجاريات كانت تدل على القلق الشديد والجماعات ذات الأفكار الأيديولوجية نتيجة لإغلاق منافذ التعبير عـن نفـسها أمامها كالإخوان والشيوعيين وحتى " مصر الفتاة " الذين كانوا يسمونه بالأحزاب غير البرلمانية كانت ثائرة من داخلها " [٢]

أما رأي الإخوان المسلمين في قرار حل جماعتهم فيردونـه إلى " أن الملـك فاروق كان ينظر بعين الريبة إلى الإخوان المسلمين ويخشى أن يؤلفـوا جيـشاً في فلسطين يكون خطراً على عرشه ، حقاً لقد كان الإخوان المسلمين خطـراً علـى إسرائيل وقد فهم اليهود ذلك حق الفهم في ميدان القتـال فـأوحى اليهـود إلى الإنجليز الذين أوحوا إلى الملك فاروق وأدخلوا في روعه أن استمرار الإخـوان في جهادهم في فلسطين والنشاط الذي يجريه حسن البنا في مـصر لتجهيـز قـوات إخوانية كثيفة ليدخل بها فلسطين وإيقاظه روح الجهاد الديني في الشعب المـصري سيصبح خطراً على عرش فاروق فأمر الملك فاروق رئيس وزرائه محمـود فهمـي

(١) عبد الرحمن الرافعي " في أعقاب الثورة المصرية " الجزء الثالث مرجع سابق ص ٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو شهادة ١٢٢ من صانعيها ومعاصريها " مرجع سابق ص ١٩.

النقراشي باتخاذ الإجراءات اللازمة للبطش بجماعة الإخوان المسلمين .. ولو أدَّى ذلك إلى تعريض جيش مصر في فلسطين لأفدح الأخطار وتعريض الأرض التي اكتسبها بدمائه إلى الضياع وتسليمها لليهود بلا قتال إذ أصدر النقراشي رئيس الوزراء أوامره المشددة إلى اللواء فؤاد صادق قائد حملة فلسطين الجديد بسحب قوات الإخوان من مواقعهم وسحب أسلحتهم واعتقالهم وإرسالهم كأسرى حرب إلى المعتقلات في مصر ولكن اللواء صادق رفض بشدة اعتقال هؤلاء المجاهدين واكتفى بسحبهم من مواقعهم وإبقائهم في معسكر بمنطقة رفح المصرية ومعهم أسلحتهم.

وفي الوقت الذي كان فيه حسن البنا يعد قوات كثيفة ليدخل بها فلسطين كان النقراشي يرتكب أبشع حماقة يمكن أن تصدر من رجل دولة مسئول في حالة حرب ولم تلبث الأنباء أن جاءت بقيام المذبحة فسيق زعماء الإخوان إلى المعتقلات، وليلة ٧ / ١٢ / ١٩٤٨ حوصر معسكر الإخوان برفح بقوات كبيرة من الجيش المصري وحضر اللواء البرديني ومعه عدد من ضباط البوليس الحربي.

وأرسل حسن البنا خطابا سريّاً مع أحد الإخوان يأمر فيه الإخوان أن يتحملوا المحنة وأن يسلموا أكتافهم للسعديين (حكومة النقراشي) ليقتلوا ويشردوا كيف شاءوا حرصاً على مصلحة شعب مصر وإبقاء على وحدة الأمة وتفادياً لنشوب حرب أهلية لا يستفيد منها سوى أعداء الإسلام.

وصدع الإخوان بالأمر وتحملوا مصائب المحنة بصبر وجلد ومضى السعديون في خطتهم الطائشة يعتقلون ويذبحون حتى بات أي فرد في مصر تحت رحمة البوليس السياسي.

وكان طبيعيّاً أن تبرر الحكومة ذلك فأخذت وسائل الإعلام التابعة لها تشيع أنباء مختلفة عن مؤامرات وهمية تُدبَّر في الخفاء لقلب نظـام الحكـم وطفحـت الصحف الحكومية بتفاصيل هذه المؤامرة الوهمية ولم يُسمَح للإخوان بالدفاع عـن أنفسهم وفرض التعتيم الإعلامي التام لكيلا يعرف شعب مصر الحقيقة .[1]

وعن هذه مؤامرة الإخوان لقلب نظام الحكم يقول أحد أفراد النظام الخاص للإخوان حينئذ : " حصل الإخوان بتوسط من الجامعة العربية والهيئة العربية العليا لدى وزارة النقراشي على تصريح بجمع السلاح من صحراء مصر الغربية حيـث كانت بقايا معارك الحرب العالمية الثانية مازالت متناثرة حيـث دارت ، غـير أن النقراشي ما لبث أن سحب التصريح .ولم يكن بوسع الإخوان إذ سحب التصريح أن يمتنعوا عن جمع السلاح بعد أن صار لهم في فلسطين ألفان من المتطـوعين لهـم وجودهم الفعلي ، واستمرت حركة الجمع ، وكان إخواننا الذين يجوبون الصحراء وراء السلاح يشاهدون اليهود يفعلون نفس الشيء من صحرائنا .. وقع انفجـار بمبنى كان ملحقاً بالمركز العام للإخوان المسلمين بفعل بعض الألغام التي تآكلـت أجهزة الأمان بها . أرادت تقارير البوليس وقتها أن تذهب إلى أن اليهود فعلوهـا رداً على نسف حارتهم ، ولكن الأستاذ البنا أعلنها صراحة ، إنها مفرقعاتنا الـتي نقوم بإعدادها لإخواننا المتطوعين في حرب فلسطين . ولقد أراد بهذا الإعلان عن أننا مازلنا نجمع السلاح ونصلحه ونرممه بعد سحب الترخيص حتى لا يهاجمنا بعـد ذلك أحد بدعوى أن في يدنا سلاح ، ومع ذلك شهدنا تلك البجاحة بعدَ ذلـك حين عرضت قضايانا على القضاء بتهمة جمع السلاح للعمل على قلب نظام الحكم.

---

(1) حسين حمودة " أسرار حركة الضباط الأحرار و الاخوان المسلمون " مرجع سابق ص ٥٩-٦٢ بتصرف .

ويظهر هذا الكتاب بعد سقوط الملك والملكية بأربعة وثلاثين عاماً [1] فلا يضيرنا أبداً أن نفاخر بأن ذلك السلاح كان لقلب حكم فاسد انقلب فعلاً ، ولكن ذلك يجافي الحقيقة ، وقد تكرر ذلك الزعم بعد ذلك أيام جمال عبد الناصر مزاعم أيضاً تجافي الحقيقة لتبرر مذابح دبرها للتخلص من الجماعة ثم ليصير جباراً في الأرض . " [2]

درس في حرص الحاكم المستبد على تأمين نظامه:

إن الحاكم المستبد حريص غاية الحرص على تأمين نظامه حتى لو أدى به حرصه هذا إلى محاربة معارضيه في الداخل والخضوع لأعداء الأمة في الخارج والداخل.

لقد كان حرص الملك فاروق على استتباب الحكم له أكثر من حرصه على قتال اليهود الصهاينة في فلسطين لذا عمد إلى سحب المتطوعين من جماعة الإخوان المسلمين الذين كانوا يقاتلون الصهاينة بشجاعة نادرة ، والزج بهم في المعتقلات المصرية مؤثراً مصلحته الخاصة في البقاء على العرش على مصلحة الأمة في القضاء على أعدائها رغم أن تهديد الإخوان المسلمين لعرشه كانت شكوكاً لا يقين فيها في مقابل أن تهديد اليهود للأمة العربية كان حقائق لا ريب فيها !!

وكما أن الحرب العالمية الأولى أسفرت عن النظم العسكرية الدكتاتورية .[3] فإن حرب فلسطين أسفرت عن نُظُم عربية عسكرية ديكتاتورية كذلك .

***

([1]) الطبعة الأولى لهذا الكتاب كانت عام ١٩٨٧ .

([2]) أحمد عادل كمال " النقط فوق الحروف ، الإخوان المسلمون والنظام الخاص " الزهراء للإعلام العربي ص ١٨٧ ، ١٨٨

([3]) فقد ظهر النظام الفاشستي في إيطاليا بزعامة موسوليني وظهر في المجر ، وفي أسبانيا وفي بولندا وفي البرتغال ، وفي ألمانيا ظهر الحزب النازي بزعامة هتلر ، وكان من شأن هذه النُظُم اثارة التوتر والصراع ثم جر العالم إلى الحرب .

النشأة الأخرى لحركة لضباط الأحرار

حال الضباط بعد حرب فلسطين:

عاد ضباط الجيش المصري من فلسطين إلى ثكناهم يمضغون آلام الفشل ويجترون مرارة الهزيمة . ولم يكونوا مسئولين عن كل ذلك ولكن كانت القيادة السياسية هي المسئولة فهي التي أعلنت دخول الجيش الحرب دون تدريب ولا تسليح وهي التي أعلنت نهاية الحرب وصدقت على اتفاقية الهدنة.

كانت حالة الجيش بعد الهزيمة سيئة للغاية وكانت علامات الامتعاض وعدم الرضا ظاهرة على ملامح كل وطني حر . وصارت النفوس مهيأة لتقبل الكثير من الآراء الثورية الجديدة . وكان الحديث بين الضباط هو حديث الأسى الممزوج بالرغبة في التخلص من آثار الهزيمة وممن تسبب فيها.

وأدرك الضباط أن فساد الأحوال داخل البلاد كانت هي سبب المباشر في هزيمة الجيش في فلسطين ، وإذا أرادوا إصلاح الجيش وتطهيره من المفسدين فعليهم أولاً إصلاح أحوال البلاد وتطهيرها من المفسدين.

كان أول من أدرك هذه الحقيقة وصرح بها هو محمد نجيب : " في فلسطين اكتشفت أن العدو الرئيسي لنا ليس اليهود إنما الفساد الذي ينخر كالسوس في مصر والذي كان يتمثل في الملك وفي كبار القواد والحاشية والإقطاع وباقي عناصر النظام ودعائمه في مصر.

ويقول أيضاً : " وكنت أول من قال : إن المعركة الحقيقية في مصر وليست في فلسطين ، وهي العبارة التي نسبها جمال عبد الناصر لنفسه بعد ذلك . وكنت لا أتردد في أن أقول هذا الكلام لكل من أثق فيه من الضباط . كنت أحرضهم على القتال في فلسطين والانتباه لما يدور في مصر . وكنت أوحي لهم بضرورة عمل أي شيء لإنقاذ البلاد مما هي فيه . " (١)

بعد الحرب التقى الأصدقاء من ضباط الجيش من جديد واتفقوا على الاستفادة من ذلك واستغلال الحالة السيئة التي تعم الجيش ، والسعي لتكتل أكبر عدد من الضباط حول الحركة ، وذلك بالاستمرار في سياسة المنشورات مع التركيز على أحداث فلسطين والهزيمة التي لحقت بالجيش ومن المسئول عنها ومن يدفع الثمن ، وأين الخلاص .

أصبحت قلوب الضباط بعد حرب فلسطين أكثر تقبُلاً لما يُقال في السر وفي العلن. وكانت مجموعة الضباط تتحدث معاً داخل الثكنات دون خوف أو تردد وتسعى إلى التعرف على الطريق الذي ينقلها إلى عالم جديد ،ترى فيه مصر وجيشها في ثوب جديد . (٢)

ولم يقف ضباط الجيش الشرفاء عاجزين أمام ما رأوا من فساد وإفساد في حرب فلسطين بل عملوا على التعاون مع حكومة الوفد الجديدة على كشف هذا الفساد وتعرية المفسدين ، ولكن الوفد لا يرى في ضباط الجيش إلا حرّاساً للوطن ينفذون ما يلقى إليهم من أوامر ، ولا دخل لهم بشئون السياسة والحكم وفي ذلك يقول محمد نجيب : " في ذلك الوقت حصل الوفد على أغلبية ساحقة في البرلمان

(١) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ط٢ ص ٨١.
(٢) جمال منصور " في الثورة والدبلوماسية " مرجع سابق ص ٣٣.

وشكّل مصطفى النحاس حكومة جديدة له ؛ فقررت أن أمد الجسور بيني وبينه ؛ فأبلغته عن طريق فؤاد سراج الدين وزير الداخلية الذي أصبح فيما بعد وزيراً للمالية ، بضرورة الإسراع في بدء الإصلاح ؛ لينقذ مصر من الكارثة التي تعيش فيها.

وكان يشاركني في هذا الرأي جمال عبد الناصر وأعضاء اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار . وكنا نرى أنه لا ضرورة إطلاقاً للقيام بالثورة إذا ما تمت الإصلاحات المطلوبة . لقد حاولنا الإصلاح قبل أن نلجأ إلى القوة ، وكنّا نوزّع المنشورات السرية التي تطالب بذلك.

وكتبتُ مذكرة من تسع صفحات للنحاس باشا ، شرحت له فيها ما حدث لنا في فلسطين ، وما يحدث لنا على يد حيدر ، والنهب الذي يتعرض له تموين الجيش ، ونقص الأسلحة والعتاد الذي نعاني منه ، وشرحت له أسباب تذمر الجيش في ١٢ بنداً ، ذكرتها له في مذكرة .. طلب مني سراج الدين أن أشطب توقيعي من على المذكرة ، فرفضت وقلت له : المزور المزيف هو الذي لا يضع اسمه، وأنا أتحمل كل ما يترتب على هذه المذكرة.

ورفعت المذكرة إلى النحاس ، ولكني لم أتلق ردّاً عيها . فعلى ما يبدو لم يؤخذ الكلام الذي جاء في المذكرة مأخذ الجد ، واعتبرونا أطفالاً لا يجوز أن نعمل بالسياسة . [١]

إذن ضباط الجيش لم يكونوا راغبين في الثورة ابتداءً إنما يطالبون بالإصلاح سلماً ، فلما عجزوا عن إدراك ذلك فكروا في الثورة . فشهدت مصر في تلك الفترة إضرابات عديدة في الجيش كان الأخطر والأكثر إثارة هو إضراب البوليس

---

(١) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ط٢ ص ٨٩.

وإضراب الممرضين والمعلمين .. إلخ والقضية الوطنية لم تحل ، صحيح أن الإنجليز قد رحلوا من المدن تحت ضغط الحركة الوطنية والمظاهرات الصاخبة التي قادتها اللجنة الوطنية للطلبة والعمال إلا أنهم لم يزالوا في مدن القناة بل لم يزالوا بنفوذهم وسيطرتهم في القاهرة وفي مجلس الوزراء والقصر الملكي ، وحتى عرْض قضية مصر في مجلس الأمن لم يحقق سوى المزيد من الصلف الإنجليزي والتشدد إزاء المطالب الوطنية مما زاد من التهاب مشاعرنا الوطنية ، والقضية الفلسطينية تتفجر هي الأخرى لتثير معها مشاعر المصريين جميعاً . [1]

رئيس الوزراء يحقق مع جمال عبد الناصر:

في يونيو ١٩٤٩ ضُبط لدى الجهاز السري للإخوان كتاب من كتب الجيش الممنوع تداولها للأفراد المدنيين والتي يقتصر توزيعها على ضباط الجيش وهو كتاب " استخدام القنابل اليدوية " وفي أعلى الصفحة الأولى للكتاب وُجد اسم "اليوزباشي جمال عبد الناصر" .

وأثارت هذه الواقعة مخاوف نظام الحكم من أن يكون للإخوان امتداد داخل القوات المسلحة وبالفعل ولفرط اهتمام الحكم بهذا الموضوع تولى التحقيق فيه إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء بنفسه ، وهكذا استُدعي جمال عبد الناصر ومعه الفريق عثمان المهدي رئيس أركان الجيش لمقابلة رئيس الوزراء .

وسأل إبراهيمُ عبد الهادي جمالَ عبد الناصر : هل هذا الكتاب لك ؟

– نعم .

– هل لك علاقة بالإخوان ؟

([1]) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٥٦ .

- كنت أعرف ضابطاً منهم اسمه أنور الصيحي .
- ولمن سلمت هذا الكتاب ؟
- لأنور الصيحي .
- وأين أنور الصيحي الآن ؟
- استشهد في حرب فلسطين .

وهنا ثار إبراهيم عبد الهادي ودق المكتب بيده غاضباً وصاح:

- أنت يا أفندي بتضحك عليَّ ، انتو عايزين تخربوا البلد ، انتو فاهمين إيه.. أنتم لا تعرفون مدى الخطورة في أن ضابط جيش يشتغل مع الإخوان .. إن سيادة الفريق عثمان المهدي قال عنك كلام كويس ، ولولا هذا أنا كنت وديتك في داهية ، ومن الآن فصاعداً أنت ضابط جيش وبس ولا علاقة لك بأحد.

هذه الواقعة ذكرها كل الضباط الأحرار في شهادتهم وأقر بها جمال عبد الناصر نفسه كما جاء في كتاب " أسرار الثورة المصرية " لأنور السادات.

وأحس عبد الناصر بالخطر وبانكشاف علاقته بالإخوان فقرر الانفصال عن الإخوان.

***

علاقة الضباط الأحرار بالتنظيم السري للإخوان المسلمين

كان نشاط التنظيم السري للضباط التابع للإخوان المسلمين قد توقف قبل حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وبعد الحرب كان لقاء عبد الناصر بإبراهيم عبد الهادي لذا حرص عبد الناصر على أن يقطع صلته بالتنظيم السري القديم ويبدأ تنظيماً جديداً من عناصر التنظيم السري للإخوان المسلمين في القوات المسلحة ومن عناصر أخرى من الضباط الذين قاسموه محنة الفالوجا .

وعن هذا التنظيم الجديد يقول حسين حمودة في مذكراته : " قال لي جمال عبد الناصر : إنه بموت حسن البنا ومحمود لبيب انقطعت صلة الإخوان المسلمين بالتنظيم السري لضباط الجيش الذي بدأه محمود لبيب سنة ١٩٤٣ ، وأنه يرى لدواعي الأمن قطع الصلة بعبد الرحمن السندي رئيس التنظيم السري المدني لشباب الإخوان وبخاصة بعد الحديث الذي دار بين جمال عبد الناصر وإبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء بشأن قيام عبد الناصر وبعض رفاقه من الضباط بتدريب شباب الإخوان المسلمين على استعمال الأسلحة قبل حرب فلسطين.

وقال إن تسرب هذه الأنباء للحكومة ربما كان بسبب تعرض بعض شباب الإخوان المسلمين المعتقلين في عهد إبراهيم عبد الهادي للتعذيب في السجون بواسطة رجال البوليس السياسي.

فوافقته على عدم الاتصال بعبد الرحمن السندي ضماناً لأمن تنظيم الضباط ولكني تناقشت مع جمال عبد الناصر في الشروط الواجب توافرها في الضباط

الذين سنضمهم للتشكيل الجديد .. فقلت لجمال عبد الناصر إننا انضممنا للإخوان على أساس مبادئهم التي اقتنعنا بها وهي أن يكون الحكم بكتاب الله تعالى وسنة نبينا ﷺ فقال اطمئن من هذه الناحية فما دام زمام الأمور سيكون في يدنا فسوف نحكم بالقرآن الكريم إن وفقنا الله في الاستيلاء على السلطة في مصر .

وقال جمال عبد الناصر : إنه اتفق مع محمود لبيب على أن يكون اسم التنظيم الجديد " الضباط الأحرار " حتى تبعد الشبهة عن الإخوان المسلمين وكان ذلك قبل وفاة محمود لبيب ، وقال عبد الناصر : إن التنظيم الجديد لن يكون على أساس المعرفة والصداقة كالتنظيم السابق الذي بدأه محمود لبيب سنة ١٩٤٣ فتلك كانت مرحلة تحضيرية لا بد منها.

أما التنظيم الجديد فيتمشى طبقاً لتنظيم الجيش فسنحاول أن نوجد لنا في كل كتيبة أو وحدة من وحدات الجيش خلية من الضباط الأحرار حتى يمكن السيطرة على الجيش عند قيام الثورة . "(١)

ولقد أكد رواية حسين حمودة حول علاقة تنظيم الضباط الأحرار بالتنظيم السري للإخوان المسلمين كثير من الضباط الأحرار – كما سبق ذكره في الفصل السابق – ولقد قام توفيق إكليمندوس (٢) ولمدة ٢٠ عامًا بالغوص في شهادات جيل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م عبر لقاءات مع ضباط الصفين الأول والثاني والتنقيب في سِيَر مَن تعذر الوصول إليهم– لأسباب الوفاة مثلاً– وذلك خلال دراسته المطولة والمعنونة بـ"النشاط السياسي في الجيش المصري من ١٩٣٦م إلى ١٩٥٤م ." ومن مجموع هذه الشهادات تتأكد الحقيقة التي توصل إليها الباحث

(١) حسين حمودة " أسرار حركة الضباط الأحرار و الإخوان المسلمون " مرجع سابق ص ٧٤،٧٥.

(٢) باحث بالمعهد الفرنسي للدراسات القانونية والاجتماعية والاقتصادية وأستاذ العلوم السياسية والتاريخ في باريس.

الفرنسي، وأكدها من قبل الإخوان المسلمون أن : تنظيم الضباط الأحرار هو في الحقيقة تنظيم الإخوان الضباط بالجيش، وأن مؤسسه والمسئول الأول عنه هو الصاغ محمود لبيب ، وأن أول أعضائه المؤسسين الضابط الطيار عبد المنعم عبد الرءوف، والذي تمكن من ضم باقي أفراد الخلية الأولى في التنظيم .[1]

وأن هذا التنظيم ظلّ مستمرًا في انتظام وتوسع حتى قيام حرب فلسطين في ١٥/٥/١٩٤٨م ؛ حيث سافر عدد من ضباط الصف الأول فيه إلى ميدان القتال في فلسطين كجمال عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرءوف وكمال الدين حسين وغابوا عن مصر لفترة .

ثم مرت بالجماعة والتنظيم محنة الحلّ والاعتقالات التي طالت أغلب رجالها وقادتها وأوقفت حركة أقسامها المختلفة، ومنها بالطبع الحركة داخل الجيش.

وبعد عودة الضباط من ميدان الجهاد في فلسطين وخروج الإخوان من المعتقلات بدأت مرحلة جديدة من العمل والعلاقات بين الإخوان وضباط الجيش، تغيرت فيها الظروف والعلاقات والشخصيات تغيرًا كبيرًا .

ولقد اعترف كثير من الضباط الأحرار في شهادتهم لأحمد حمروش بصلة تنظيم الضباط الأحرار بالتنظيم السري للإخوان المسلمين ومن هذه الشهادات :

شهادة كمال الدين حسين (عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار ، وعضو مجلس قيادة الثورة ، ووزير التعليم في الحقبة الناصرية) يقول كمال الدين حسين: "انتميت إلى جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٥ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وكان معي عدد من الزملاء منهم جمال عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرءوف .

---

(1) توفيق إكليمندوس " "النشاط السياسي في الجيش المصري من ١٩٣٦م إلى ١٩٥٤م." نقلا عن موقع إخوان أون لاين .

كنا نتصل بالمرشد العام المرحوم حسن البنا ، وضابط الجيش المتقاعد محمود لبيب الذي عاش فترة في ألمانيا .وبقيت محتفظاً بهذه الصلة بشكل تنظيمي حتى تطوعت في حرب فلسطين وشاركت المتطوعين من الإخوان المسلمين جهادهم هناك ، وبعد ١٥ مايو ١٩٤٨ توطدت الصلة بعد ذلك بعدد كبير من الضباط .. واتفقنا على أن نشكل تنظيماً من الضباط لا يكون مرتبطاً بحزب أو هيئة خارجية ، ولذا ابتعدنا عن تنظيم الإخوان اقتناعاً منا بأن يكون تنظيم الجيش مستقلاً عن الأحزاب والجمعيات وشكلنا تنظيم الضباط الأحرار الذي شكلت لجنته التأسيسية الأولى من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيي الدين.

ولكن هذا لم يمنع من تعاوننا مع الإخوان المسلمين بل إنني وجمال عبد الناصر قد أبلغنا صالح أبو رقيق عضو مكتب الإرشاد بتفاصيل العملية (يقصد قيام ثورة ٢٣ يوليو) قبل حدوثها مما جعلهم يحرسون بعض المواقع الحيوية صباح الحركة، ويذهب فريق منهم إلى طريق السويس خوفاً من تدخل بريطاني . "[١]

ويقول إبراهيم بغدادي (أحد الضباط الأحرار) : " كنت منتمياً للإخوان المسلمين أقوم بتدريب متطوعيهم على ضرب النار خلف السجن الحربي بكبري القبة ، وعندما اقتربت حرب فلسطين ألغيت كل فرق الجيش التدريبية "[٢]

يقول ثروت عكاشة (أحد الضباط الأحرار ، ووزير الثقافة الأشهر في الحقبة الناصرية) : " في عام ١٩٤٥ التقيت بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر أثناء دراستنا في كلية أركان حرب وتوطدت بيننا أواصر الصداقة يدعمها الشعور الوطني المشترط ، كما كانت تربطني خارج الكلية نفس الصلات بخالد محيي الدين

---

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الثاني شهود ثورة يوليو ص ١٠٠٢ ، ١٠٠٣.

(٢) نفسه ص ٧٤٩.

زميلي بسلاح الفرسان ، وخلال سعينا الوطني الحائر كشباب يبحثون عن حل لإنقاذ الوطن مما تردى فيه آنذاك استقر بنا الرأي على الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين التي تضم آخرين غيرنا من الضباط الشبان في خلاياها المختلفة ، واستمرت صلاتنا بتلك الجماعة حتى نشبت حرب فلسطين التي اشتركنا فيها وانقطعت صلتنا بها منذ ذلك الحين .. وبعد عودتنا من حرب فلسطين عينت برئاسة هيئة أركان حرب الجيش ، وعين جمال عبد الناصر مدرساً بكلية أركان الحرب ، وعبد الحكيم عامر برئاسة المشاة وبدأ كلاهما يدعو إلى تشكيل تنظيم الضباط الأحرار وانضممت إليه بصورة تلقائية نظراً للصلات القوية بيننا " [1]

ويقول ثروت عكاشة في مذكراته : " كان الضابط المتقاعد محمود لبيب همزة الوصل بين المرشد العام الشيخ حسن البنا واللجنة المختارة والخلايا ، وكان هذا الضابط الكريم ذا ماض كريم غير مشوب ، هذا إلى جانب ما كان يتميز به من أخلاق سمحة وتواضع محبب مما جعلنا نجمع على إجلاله واحترامه ... وما من شك في أن انتظام الضباط في الخلايا المستقلة بجماعة الإخوان المسلمين كان البوتقة التي صهرت عدداً يُعتد به من الضباط الأحرار فيما بعد . " [2]

ويقول حسن إبراهيم (عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار ،وعضو مجلس قيادة الثورة ، ونائب الرئيس جمال عبد الناصر) : " تشكل في سلاح الطيران نوع من التنظيم ضم مجموعة من الأصدقاء والزملاء : عبد اللطيف البغدادي ، ووجيه أباظة ، وعبد المنعم عبد الرءوف ، وحسين ذو الفقار صبري ، وعبد الحميد دغيدي ، ومصطفى مرتجي ، وكان عزيز المصري هو الرأس المدبرة لهذه المجموعة .

---

(1) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الثاني شهود ثورة يوليو ص ٨١٥ ، ٨١٦ .

(2) ثروت عكاشة " مذكراتي في السياسة والثقافة " الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ١ ص ٣٦، ٣٧ .

كما قمنا بالاتصال بالإخوان المسلمين من خلال الصاغ المتقاعد محمود لبيب ، وكان المرحوم حسن البنا يلتقي بنا ... وأثناء حرب فلسطين بدأ تجمعنا من جديد ، وتشكلت المجموعة التأسيسية للضباط الأحرار من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيي الدين وكمال الدين حسين ومني ثم انضم إلينا صلاح سالم وعبد اللطيف البغدادي وجمال سالم وأخيرا انضم إلينا أنور السادات . "[1]

ويقول خالد محيي الدين (عضو اللجنة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار ، وعضو مجلس قيادة الثورة) : " كان ارتباطي بالإخوان المسلمين عام ١٩٤٤ عن طريق البكباشي عبد المنعم عبد الرءوف الذي عرفني بجمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وصلاح خليفة وحسين حمودة وسعد الدين توفيق من ضباط الجيش . كنت ضمن المجموعة التي انضمت للجهاز السري للإخوان المسلمين برئاسة عضو مكتبهم عبد الرحمن السندي ، والتي كانت مكونة من جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين ومني ، وقد حلفنا على السيف والمصحف ليلاً .. وفي عام ١٩٤٩ استدعى إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء جمال عبد الناصر لشبهات أحاطت به حول انضمامه للإخوان المسلمين ... أرسل لي جمال عبد الناصر ثروت عكاشة محذراً وراغباً في رؤيتي ، وفي المقابلة التي تمت في عهد حكومة حسين سري في أواخر ١٩٤٩ وجدت عنده حسن إبراهيم ، وكمال الدين حسين ، وفي هذا الاجتماع قال جمال عبد الناصر : يجب أن نتكتل كضباط دفاعاً عن وجودنا حتى لا نساق إلى حرب أخرى وندخل في لعبة السياسة ثم سألنا هل أنتم مستعدون ؟ وأجبنا بالإيجاب . وانضم إلينا عبد الحكيم عامر بترشيح من جمال عبد الناصر ، وعبد اللطيف البغدادي بترشيح من حسن إبراهيم ، وصلاح سالم في عام ١٩٥٠، وفي يناير أحضر البغدادي معه جمال سالم ثم انضم إلينا أنور السادات". [2]

---

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الثاني شهود ثورة يوليو ص ٨٢٢ .

(٢) نفسه ص ٨٥١ ، ٨٥٢.

وفي شهادة اللواء جمال حماد (أحد الضباط الأحرار ، وكاتب البيان الأول للثورة ، وأحد مؤرخي ثورة يوليو) لمذيع قناة الجزيرة أحمد منصور أكـد صـلة تنظيم الضباط الأحرار بتنظيم الأخوان المسلمين.

" أحمد منصور : الرواية (يقصد قصة نشأة الضباط الأحرار) أخذها مـن كمال الدين حسين في روايته إلى سامي جوهر في كتاب "الـصامتون يتكلمـون"، ومن الشهود الذين جمع منهم أحمد حمروش شهادهم في كتابه "شهود ثورة يوليـو" معظمهم من الضباط الأحرار ، وما رواه عبد المنعم عبد الـرءوف في مذكراتـه "أرغمت فاروق على التنازل عن العرش" وما كتبه حـسين حمـودة في مذكراتـه "الضباط الأحرار والأخوان المسلمون " وخلاصة الروايات دي أن كثيراً من هؤلاء الضباط الأحرار كانوا في الأصل ينتمون إلى الإخوان المسلمين وأهم كانوا جـزءاً من التنظيم الذي أسسه الصاغ محمود لبيب في الفترة من سـنة ١٩٤٣ إلى سـنة ١٩٤٨ ومحمود لبيب كان وكيل حسن البنا مرشد الأخوان للشئون العـسكرية وجمع هؤلاء الضباط وأسس منهم تنظيماً ولم يكن أحد يعلم بأسماء التنظيم كافة إلا شخصين، محمود لبيب وحسن البنا، حسن البنا قتل في فبرايـر ١٩٤٩. محمـود لبيب في سنة ١٩٤٩ كان يصارع الموت على فراش المرض، استدعى شخـصين حتى يعطيهم أسماء كل التنظيم، هم عبد المنعم عبد الرءوف وجمال عبد الناصـر. تخلّف عبد المنعم عبد الرؤوف – لم يذهب – وذهب جمال عبد الناصـر فأعطـاه محمود لبيب كافة أسماء الضباط الأحرار في كل الأسلحة فاستخدمهم جمال عبـد الناصر ليكونوا نواة أساسية في تأسيس تنظيم الضباط الأحرار .

جمال حماد: هذه الرواية صحيحة ١٠٠% لأنه أنا اللي أعرفه أن جمال عبد الناصر نواة التنظيم بتاعته كانت الضباط اللي منضمين للإخوان المسلمين وهم لما

انضموا للإخوان المسلمين وكثر عدد الضباط فحسن البنا عمل لهم بقى جناحاً مخصوصاً في الإخوان المسلمين وخلى اتصالاتهم كلها بالصاغ محمود لبيب، الرجل ده كان ضابطاً وكان في ألمانيا ورجع وبتاع، فهو الوحيد اللي كان بيتعامل معهم، ففعلاً الضباط الأحرار النواة بتاعتهم كلهم من الأخوان المسلمين. " [1]

إذن لم يكن تنظيم الضباط الأحرار إلا امتداداً للتنظيم السري للإخوان المسلمين وأن مؤسسي الخلية الأولى له كانوا جميعاً ممن اتصلوا بجماعة الإخوان بل إن أربعة منهم من أعضاء التنظيم السري للإخوان المسلمين الذين أقسموا على السيف والمصحف وهم : جمال عبد الناصر ، وخالد محيي الدين ، وكمال الدين حسين ، وعبد المنعم عبد الرءوف .

كانت العلاقة بين الإخوان والضباط الأحرار معروفة فمحمد نجيب يقول : " إنني أعرف أن الإخوان كانوا أول من ساعدوا عبد الناصر في تنظيم الضباط الأحرار.. وكان بين عبد الناصر وبينهم تاريخ طويل قبل الثورة . " [2]

ويقول محمد نجيب أيضا : " وأذكر يوم طلبنا من الأحزاب أن تنظم نفسها أن طلب عند الناصر عدم اعتبار الإخوان حزباً حتى لا ينطبق عليهم القانون ، وقال لي : " إن جماعة الإخوان كانت أكبر أعوان الحركة قبل قيامها ، ولا يصح أن نطبق عليها قانون الأحزاب . " [3]

***

(1) جمال حماد في برنامج " شاهد على العصر " قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ١٠/ ١١ / ٢٠٠٨.
(2) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ط٢ ص ١٦٧.
(3) أنور السادات " أسرار الثورة المصرية " مرجع سابق ص ١٦٩ .

المؤسس الحقيقي لتنظيم الضباط الأحرار

إن كان شهود ثورة يوليو والمؤرخون يتفقون على أن تنظيم الضباط الأحرار قد تكوَّن في البداية من الضباط الذي كانوا في الجهاز السري للإخوان منذ عام ١٩٤٣ ، لكنهم يختلفون حول من الذي قام بتجميع هؤلاء الضباط بعد الحرب وإحياء التنظيم بعد عودة الضباط من حرب فلسطين فبعض الكتاب – خاصة كتاب الإخوان المسلمين – يرون أن عبد المنعم عبد الرءوف هو الذي تجمَّع الضباط تحت قيادته. ويرجح أحمد حمروش هذا الرأي فيقول : " بعد الحرب بدأ أعضاء التنظيم السري التابع للإخوان في الاتصال تحت قيادة عبد المنعم عبد الرءوف لكن بعيداً عن جماعة الإخوان التي تعرضت إلى حملة إرهاب حكومي شديدة بعد اغتيال النقراشي باشا أبعدت الضباط عن الاتصال بهم وإن كان تنظيمهم قد استمر محتفظاً بكيانه تحت قيادة قائد الجناح عبد المنعم عبد الرءوف. " [١]

والسادات يذكر أن عبد المنعم عبد الرءوف كان قائد التنظيم قبل أن يتمكن عبد الناصر من إزاحته : " عندما دخلت المعتقل كان عبد الناصر مازال في السودان ولكنه بمجرد وصوله مصر آخر ١٩٤٢ اتصل به عبد المنعم عبد الرءوف لضمه إلى التنظيم واستجاب عبد الناصر على الفور ، ولم يكن من الصعب عليه بعد ذلك أن يزيح عبد المنعم عبد الرءوف من طريقه وأن يتولى هو قيادة التنظيم بدلاً منه". [٢]

---

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٤٣.

(٢) أنور السادات " البحث عن الذات " المكتب المصري الحديث ص ١١٣ .

وفي مقابل هذا الرأي فإن بعض الكتّاب – خاصة الناصريين – يؤكدون أن جمال عبد الناصر هو الذي جمّع الضباط وكوّن منهم اللجنة التأسيسية.

ويؤكد هذا الرأي خالد محيي الدين فيقول : " في الجلسة الأولى ، ومنذ أن احتوتنا غرفة الصالون في بيت عبد الناصر بكبري القبة تولى جمال القيادة دون عناء ودون قرار منا أو منه . كان الرتبة الأعلى هو " بكباشي " وكنا أقل منه رتبة صحيح أن عبد المنعم عبد الرءوف كان أقدم من جمال ، لكن جمال كان صاحب الفكرة وصاحب الدعوة ، وكان دوماً ومنذ دخلنا معاً الإخوان المسلمين هو الرافض لفكرة احتوائنا داخل الإخوان ، والمدرك لأهمية وجود تنظيم مستقل لنا. "[1]

والحقيقة أن طبيعة الأمور تفرض على الضباط أن يتجمعوا ويتبادلوا الرأي خاصة ممن كانوا في تنظيم واحد ، ومن الطبيعي أيضا أن يتجمعوا في البداية على الأقل تحت القيادة القديمة التي كانت تتمثل في عبد المنعم عبد الرءوف الذي كان أقدم رتبة من جمال عبد الناصر ، ولكن بعد انفصال الضباط عن الإخوان واستقلالهم بالتنظيم تم اختيار عبد الناصر رئيساً للتنظيم في يناير ١٩٥٠.

أما الادعاء بأن جمال عبد الناصر هو أول من أدرك أن المعركة الحقيقية في مصر وليست في فلسطين ، وبعد الحرب خطط منفرداً لتكوين تنظيم سري وقام وحده بتجميع الضباط وضمهم لهذا التنظيم الذي لم يكن له وجود من قبل ولا علاقة لهذا التنظيم الجديد بالتنظيم السري للإخوان المسلمين فهذا الكلام مجاف للحقيقة ، ومن يقل به يكون إما مقصر في استيفاء البحث أو لهوى في نفسه بعدما تواترت روايات الضباط الأحرار أنفسهم بصلة تنظيم الضباط الأحرار بالتنظيم السري التابع للإخوان المسلمين ، وكثرة التنظيمات السرية بعد حرب فلسطين.

---

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٨١.

ويؤكد خالد محيي الدين هذا فيقول : " في جلستنا الأولى ... أحسسنا أننا بحاجة إلى قوة ما أو بالدقة أحسسنا أننا نملك نوايا حسنة وأحلاماً طيبة للوطن والشعب والجيش ، ولكننا بحاجة إلى " الاستقواء " بفريق منظم من الضباط يمكنه أن يفعل شيئا ما لهذا الوطن.

أقول هذا ، وألح عليه لأنني قرأت كتابات للبعض يحاولون فيها تقديمنا وكأننا نمتلك الحكمة كل الحكمة ، وأننا أو أي منا قد وضع خطة معلومة الأهداف تمتد من خريف ١٩٤٩ حيث عقدنا الجلسة الأولى للخلية الأولى ، وحتى ٢٣ يوليو حيث استولينا على السلطة ، وهو ما لم يحدث مطلقاً . [١]

درس في إرجاع الفضل إلى أهله وإن اختلفت معهم:

بعض الكتاب الناصريين والقوميين والاشتراكيين يحاولون في كتاباتهم وأقوالهم حرمان جماعة الإخوان المسلمين من شرف المشاركة في تأسيس تنظيم الضباط الأحرار ، والتعاون مع قادة الثورة في سنيها الأولى ، وذلك لاختلافهم مع الجماعة أيديولوجيا أو لاختلاف مجلس قيادة الثورة مع الإخوان بعد ذلك ، ومحاولة بعض أفراد التنظيم السري للجماعة اغتيال جمال عبد الناصر في ١٩٥٤ أو محاولة الانقلاب على نظام دولة عبد الناصر في تنظيم ١٩٦٥ ، والحقيقة أن الفضل لا بد أن يعود لأصحابه وإن اختلفنا معهم والقرآن الكريم يقول :

{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المائدة:٨)

---

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٧٦

ويفسر فخر الدين الرازي الآية الكريمة فيقول : " المعنى لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم ، بل اعدلوا فيهم وإن أساءوا عليكم ، وأحسنوا إليهم وإن بالغوا في إيحاشكم ، فهذا خطاب عام ، ومعناه أمر الله تعالى جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحداً إلاّ على سبيل العدل والإنصاف ، وترك الميل والظلم والاعتساف " [1]

نقول هذا لأن هناك كثيراً من الكتب والآراء التي تفتقر إلى الموضوعية تجنح إلى تعميم الأحكام وإطلاقها ، كما أنها تعتمد في رواية الأحداث على رواية واحدة وتسقط الروايات الأخرى مما يضلل الناس ويزيف الحقائق . فكثير من الكتابات المؤمنة بالتجربة الناصرية تصف جماعة الإخوان المسلمين منذ نشأتها وإلى الآن بالتطرف والإرهاب ، وكثير من كتب الإخوان يرجع كل ما حل بالأمة العربية من نكسات وإخفاقات لثورة ٢٣ يوليو وللرئيس جمال عبد الناصر وفي هذا تجني على الحقيقة ، لذا ينبغي ذكر الحقائق مجردة ثم مناقشة كل حدث على حدة ما له وما عليه . وهو ما نحاول أن ننهجه في هذا الكتاب.

***

(١) فخر الدين الرازي " مفاتيح الغيب" ج٦ ص٦

نشأة الخلية الأولى للضباط الأحرار

لم يكن من الممكن عودة الضباط إلى التنظيم السري للإخوان المسلمين بعد حل جماعتهم والقبض على قادتهم لذا عمد عبد الناصر إلى تكوين تنظيم آخر بديل عن التنظيم السابق واختار أهم قادته منه وعن أسباب انفصال تنظيم الضباط الأحرار عن التنظيم السري للإخوان المسلمين يقول أحمد عادل كمال (أحد أعضاء النظام الخاص الأوائل التابع للإخوان المسلمين) : " كان الصاغ محمود لبيب هو سنارة الإخوان التي تدلت بين الضباط في الجيش فاستطاع أن يجتذب بعضاً منهم ، وكانت أكبر الرتب التي أقبلت إلى الأخوان عبد المنعم عبد الرءوف، وجمال عبد الناصر ، وأبو المكارم عبد الحي ، وكمال الدين حسين ، وحسين حمودة . ونظراً لحساسية وضع الضباط فقد رُئي ألا يكون نشاطهم في شُعب الإخوان بالمجال العام حتى لا يكونوا عرضة للمحاكمات العسكرية والفصل والقوانين التي تحظر على الضباط الاشتغال بالسياسة أو الانتماء إلى منظمات سياسية ، لذلك تقرر إلحاقهم – خلافاً للمألوف – بالنظام الخاص ، وتم اتصالهم بعبد الرحمن السندي ، وخصص الشيخ سيد سابق ليعطيهم دروساً في الفقه ويثقفهم في الإسلام عوضاً لهم عن حضورهم المحاضرات العامة .

واشتعلت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وحوصرت قوة الفالوجا وفيها جمال عبد الناصر والكتيبة ١٣ مشاة ، واستطاع عبد الناصر أثناء ذلك الحصار أن يستميل بعض الأنصار من العناصر الساخطة من المحصورين ثم ما لبثت قوة الفالوجا أن عادت إلى مصر بعد فك الحصار عنها عام ١٩٤٩ ، واستدعى

إبراهيم عبد الهادي جمال عبد الناصر وأخبره أنه نما إلى علمه أنه على علاقة بالإخوان .. وحلف جمال ما بلغ الباشا ليس صحيحاً.

وحدث خلاف بين أعضاء الجيش المنتمين للتنظيم الإخوان الخاص فكان رأي جمال عبد الناصر يقول إن منهج الإخوان طريق طويل ولا يوصل إلى شيء فما جدوى أن نجمع الضباط في مجموعات لحفظ القرآن والحديث ودراسة السيرة إلخ ، وما ضرنا لو انضم إلينا ضابط وطني من غير دين الإسلام ، أ فنرفضه لذلك فنحرم جهده معنا ؟ وكان عبد المنعم عبد الرءوف يناقض جمالاً فيما ذهب إليه ، فنحن إخوان ومسلمون ونعمل لهذه الدعوة ونستهدف قيام دولة مسلمة ويتعين علينا ألا نزيغ عن أهدافنا ولا أن ننصرف عن التفقه في ديننا ، وكمال الدين حسين من وجهة نظر جمال عبد الناصر ، كما أن "أبو المكارم عبد الحي" من جهة نظر عبد المنعم عبد الرءوف . طلبوا عرض الخلاف على المرشد العام.

ويبدو أن المرشد العام الأستاذ الهضيبي قد وجد أنه أمام أمر واقع ، فهذه مجموعة تريد أن تتحلل من التزاماتها كإخوان وليس هناك بد من ذلك ، وليس في الإمكان إجبارهم على غير ذلك ... قال الأستاذ الهضيبي إنه ربما كان من الأصلح عدم وضع البيض كله في سلة واحدة ، فليستمر الإخوان في طريقهم وليستمر جمال في طريقه وكان هذا هو ما أراده جمال فأجاب أنه سوف يستمر صديقاً للإخوان " [1]

أما ثروت عكاشة فيقول عن سبب الانفصال بين الإخوان وضباط الجيش : "بقينا معشر الضباط في خلايانا موصولين بجماعة الإخوان المسلمين ننشر الدعوة

([1]) أحمد عادل كمال " النقط فوق الحروف ، الإخوان المسلمون والنظام الخاص " مرجع سابق ص ٣٠٠ – ٣٠٣ بتصرف .

إلى الإصلاح إلى أن قامت حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨ فحالت أحوال القتال بيننا وبين سيرتنا الأولى مع التنظيم .. وكان تورط الإخوان المسلمين في أمور غامضة كالاغتيالات وأعمال العنف وما يجري مجراها قد نفرَّ خلايا الضباط منهم ودفعهم إلى اكتشاف حاجاتهم إلى تنظيم شامل لا يتقيد بمعتقد مذهبي ، بل تنظيم يضم تحت لوائه مواطني مصر ،على أي عقيدة كانوا وعلى أي مذهب سياسي عاشوا طالما أن هدفهم هو مصر الوطن الأم ، ومن هنا دبَّ الخلاف بيننا نحن معشر الضباط وبين المرحوم عبد المنعم عبد الرءوف الذي خلف محمود لبيب بعد وفاته فضلاً عن أنه كان يرى على العكس مما كنا نرى أن خلايا الضباط يجب أن تكون تابعة كلها لسلطان الإخوان المسلمين . فكان هذا باعثاً إلى إنشاء تنظيم الضباط الذي ضمَّ الأحرار منهم للسعي وراء تطهير البلاد من كل عبث . "[١]

والروايتان لا اختلاف بينهما إلا في إدانة ثروت عكاشة لأعمال العنف والاغتيالات التي قام بها الإخوان المسلمون وسبق أن قلنا أن هذه الاغتيالات السياسية كانت سمة هذا العصر لم يسلم منها أي تنظيم حتى الضباط الأحرار أنفسهم فقد حاولوا اغتيال حسين سري عامر وفشلت المحاولة وحاولوا القيام بعدة اغتيالات سياسية قبل القيام بالثورة مباشرة ولكن بسبب افتقارهم إلى سيارات كافية ينفذون بها الاغتيالات ألغيت المحاولة كما سيأتي بيانه في حينه ، وليس معنى هذا إقراري بأسلوب الاغتيالات السياسية كلا فقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق من أكبر الكبائر وقد جاء في السنن : " لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم". فالاختلاف في الرأي لا يوجب القتل إذ لا قتل إلا بحكم قضاء عادل ونزيه تنفذه السلطات المختصة.

---

(١) ثروت عكاشة " مذكراتي في السياسة والثقافة " مرجع سابق ج ١ ص ٣٨ ، ٣٩ .

كذلك تتميز رواية ثروت عكاشة بتأكيد تجمع ضباط الجيش بعد حرب فلسطين تحت قيادة عبد المنعم عبد الرءوف الذي خلف محمود لبيب في القيادة قبل تأسيس تنظيم الضباط الأحرار وانتخاب جمال عبد الناصر في يناير ١٩٥٠ رئيساً للجنة القيادة.

نشأة الخلية الأولى لتنظيم الضباط الأحرار

وعن نشأة الخلية الأولى لتنظيم الضباط الأحرار يقول خالد محيي الدين : "في الجلسة الأولى ، ومنذ أن احتوتنا غرفة الصالون في بيت عبد الناصر بكبري القبة تولى جمال القيادة دون عناء ودون قرار منا أو منه . كان الرتبة الأعلى هو "بكباشي" وكنا أقل منه رتبة ، أنا كنت" يوزباشي " وكمال الدين حسين كان "يوزباشي" ولكن أقدم مني ، صحيح أن عبد المنعم عبد الرءوف كان أقدم من جمال، لكن جمال كان صاحب الفكرة وصاحب الدعوة ، وكان دوماً ومنذ دخلنا معاً الإخوان المسلمين هو الرافض لفكرة احتوائنا داخل الإخوان ، والمدرك لأهمية وجود تنظيم مستقل لنا ... كنا نحن الخمسة موزعون على أسلحة : جمال مشاة ، عبد المنعم عبد الرءوف مشاة ، كمال الدين حسين مدفعية ، حسن إبراهيم طيران، وأنا (خالد محيي الدين) فرسان . كنا خمسة وأكد عبد الناصر أن عبد الحكيم عامر معنا وإن لم يحضر ، وقال إنه لا يخفي عنه شيء ... وتقابلت مع ثروت عكاشة وكان معي في الفرسان وقد وافق ثروت على الانضمام لنا على الفور .. ثم اتصلت بجمال منصور وهو أيضاً من الفرسان وكنت أعرف قصة مجموعته القديمة فقال أنا أتصل بالمجموعة ونتفق على الانضمام إليكم ونعمل تنظيماً واحداً ، وترددت إزاء فكرة توحيد المجموعتين معاً ، وكنت أعرف أن جمال عبد الناصر هو أيضاً ضد هذه الفكرة ، وفعلاً قابلت جمال وعرضت عليه الأمر فرفض

وقال : من يريد أن ينضم إلينا ينضم كفرد ، و إلا ستأتي المجموعــات الأخــرى كالحرس الحديدي ويطلبون منا الوحدة معنا وتبدأ خلافات داخليــة ومــشكلات وننتهي إلى الفشل . على أية حال استطعت أن أقنع جمال منصور بأن ينضم مع من يشاء إلينا، ولكن على أساس فردي.

وفعلاً انضم جمال منصور إلى مجموعتي وانضم معه نصير وكفافي من مجموعته القديمة .. وكانت اجتماعاتنا في الخلية الأولى التي أصبحت تسمى " لجنة القيادة " تتم أسبوعيّاً أو كل أسبوعين ، وكان كل منا يتحدث - دون إفصاح عن الأسماء- عن الاتصالات التي قام بها ومن تم تجنيده من الضباط ، وبعد عدة اجتماعات كان لدينا تنظيم.

بدأت مجموعة جمال منصور تثير نقاشات حامية حول ضرورة عمل شــيء عاجل وسريع ، كانوا متحمسين ومتعجلين ، وتحت إلحاح مجموعة جمــال قررنــا إصدار أول منشور لنا. (١)

وقد أطلق على الخلية الأولى للضباط الأحرار اسم "اللجنــة التأسيــسية"، وتشكلت، كما سبق الإشارة، من خمسة ضباط، ذوي ميول سياسية مختلفة، مــع أنهم بدءوا جميعاً في ساحة الإخوان المسلمين. ولم يكن قد أُطلق على هذه اللجنــة اسم "الضباط الأحرار" بعد، كما أنه لم يكتمل الشكل التنظيمي إلا مع مطلع عام ١٩٥١، عندما زاد عدد أعضاء اللجنة التأسيسية. (٢)

---

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٨١.
(٢) خالد بن سلطان بن عبد العزيز موسوعة " مقاتل من الصحراء " مرجع سابق الفصل الثالث " الضباط الأحرار ".

قصة المنشور الأول وتسمية الضباط الأحرار:

يقول خالد محيي الدين عن أول منشور صدر عن الضباط الأحرار : " كنا في خريف ١٩٥٠ عندما قررنا أن نصدر منشورنا الأول ، وتحملت مسئولية إصداره أمام مجموعة القيادة ، كتب جمال منصور المسودة الأولى للمنشور وكان عنوانه " نداء وتحذير " وكان المنشور يحذر ضباط الجيش من أن ينساقوا إلى حرب أخرى دون استعداد ودون سلاح أو بأسلحة فاسدة ، وحذر المنشور الملك من التدخل لمنع استمرار التحقيق العادل في قضية الأسلحة الفاسدة ، وإلا فإن عرشه سوف يصبح مهدداً طالعت الصيغة المقترحة وأبديت بعض الملاحظات عليها، وبعد تعديلها أخذتها إلى جمال عبد الناصر الذي وافق عليها بتعديلات بسيطة . وكان جمال منصور قد اقترح أن نوقع المنشور باسم "الضباط الأحرار " ووافقت على الاسم ووافق عليه جمال عبد الناصر. "[١]

ورواية جمال منصور لا تختلف كثيراً عن رواية خالد محيي الدين عن نشأة الخلية الأولى وانضمام مجموعة جمال منصور إليها – لا تختلف الروايتان إلا اختلافاً يسيراً فيما يتعلق بالمنشور الأول.

يقول جمال منصور : " قمت بكتابة المنشور على ورقة واحدة بخطي ، وكان عن الأسلحة الفاسدة وموقف السلطات العليا من هذه القضية وحضر إليَّ كفافي في مصنع شقيقي سعد ، وذهبنا إلى منزل عبد الناصر في كبري القبة في الموعد المحدد ، وعندما دخلت المنزل وجدت عبد الناصر وبجانبه عبد المنعم عبد الرءوف يأكلان سندوتش جبنة بيضاء مع العيش البلدي .. أخرجت المنشور من جيبي وبدأ

---

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٨٢ ، ٨٣.

عبد الناصر في تصفحه مبدياً إعجابه وتقديره لكل ما جاء به ، وأشهد أنه لم يغير منه حرفاً ... كنا مجتمعين في شقة الزيتون وكان الحاضرون هم الصحابة سعد – كفافي – جمال ، وانضم إلينا خالد ودار الحديث حول أول منشور وما يجب علينا عمله للظهور به بمظهر جديد في الأسلوب ، وضرورة تغيير اسم الحركة من " ضباط الجيش" إلى اسم آخر وأخذ كل منا يضع اسما جديدا فمن قائل : " ضباط الثورة " ومن قائل : " ضباط الجيش الأحرار " ثم نطقنا معاً أنا وكفافي : " الضباط الأحرار " ثم انفض الاجتماع بعد أن فوَّض المجتمعون الأمر إليَّ لكي أذيل المنشور بالاسم الذي أراه مناسباً ، حيث إن المنشور كان قد تم إعداده ولم يبق سوى الاتفاق على الاسم الجديد للحركة . ووضعت في نهاية المنشور الاسم الجديد "الضباط الأحرار" هذا الاسم الذي عبر عن وجه الثورة الجديد . وتحت هذا الاسم سارت الثورة في مدارها إلى أن تحقق نجاحها في فجر ٢٣ يوليو . وحين نجحت الثورة دنا جمال عبد الناصر من خالد محيي الدين وقال له : إنه أمر يدعو للإعجاب حقاً هذا الاسم الذي أطلقه علينا جمال منصور وذيَّل به أول منشور في حركتنا يصبح الاسم لأقوى جماعة يتحدث عنها العالم كله الآن . "[١]

وواضح من رواية خالد محيي الدين وجمال منصور أن صاحب تسمية التنظيم بـ " الضباط الأحرار " هو جمال منصور ، وهذا يتناقض مع الرواية الأخرى التي تقول إن تسمية التنظيم بـ " الضباط الأحرار " كانت باتفاق جمال عبد الناصر مع الصاغ محمود لبيب.

وفي ذلك يقول عبد المنعم عبد الرءوف : " أنه بعد استدعاء البكباشي جمال عبد الناصر لمكتب رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادي، وتوجيه الاتهام له بالانتماء

---

(١) جمال منصور " في الثورة والدبلوماسية " مرجع سابق ص ٤٠ ، ٤١ .

إلى جماعة الإخوان المسلمين، وتدريبهم، اقترح علينا الصاغ محمود لبيب استبدال اسم تنظيم الإخوان الضباط باسم (الضباط الأحرار)؛ لإبعاد اسم جماعة الإخوان المسلمين، المكروهة من الملك، والأحزاب العميلة، والإنجليز."[1]

ومحمد نجيب ينسب لنفسه – أيضا– تسمية التنظيم بـ " الضباط الأحرار " فيقول في مذكراته : " ولا أريد أن أنسب لنفسي ما هو ليس لي ، ولكن الحقيقة تقتضي أن أقول : إنني أول من أطلق عبارة " الضباط الأحرار " على التنظيم الذي أسسه جمال عبد الناصر " . [2]

وأنا لا أرى تناقضاً بين الروايات الثلاث ، فقد كانت مصر واقعة تحت الاحتلال الإنجليزي ، وكان كل المصريين يرغبون في التحرر من هذا الاحتلال ، وكانت كلمات مثل : الحرية ، والتحرير ، والأحرار تجري على كل لسان ، وتسطَّر في كل الصحف ، ويتشدق بها الخطباء ، ويترنم بها المغنون ، وكان أكثر من تجري هذه الكلمات على ألسنتهم أصحاب التنظيمات السرية ، ولما كان هذا التنظيم الذي أسسه جمال عبد الناصر مكون من ضباط – فقط – فقد كان طبيعيّاً أن يصف هؤلاء الضباط أنفسهم بالأحرار ؛ لأن مهمتهم الأولى تحرير الوطن من الاستعمار، والدفاع عن حريته لذا فلا عجب أن يكون اسم الضباط الأحرار قد جرى على لسان محمد نجيب في حديثه إلى ضباط التنظيم : جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ... وحَسَب رواية جمال منصور فقد كانت هناك عدة اقتراحات من الضباط حول تسمية التنظيم منها تسمية " ضباط الجيش الأحرار " ولعل جمال عبد الناصر صاحب هذا الاقتراح بعدما سمعه من محمد نجيب أو بعد حديثه مع محمود

([1]) خالد بن سلطان بن عبد العزيز موسوعة مقاتل من الصحراء " مرجع سابق .
([2]) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ط٢ ص ٩١.

لبيب فحذف جمال منصور كلمة الجيش وبقي " الضباط الأحرار " ولم يعترض جمال عبد الناصر فليس ثمة فرق كبير بين " الضباط الأحرار " و " ضباط الجيش الأحرار " فإن كان الأول أسهل في النطق فإن الثاني أدق في التعبير عن التنظيم فكل الضباط كانوا من الجيش ولم يشترك ضباط البوليس في هذا التنظيم.

وعن رد الفعل تجاه المنشور الأول يقول خالد محيي الدين : "كل ما طبع من المنشور كان خمسمائة ورقة لكنها سطَّرت بداية جديدة لعملنا ونشاطنا ، بل وأدت إلى إحالة الفريق حيدر والفريق عثمان المهدي إلى المعاش . وعندما صدر المنشور الأول كان عددنا قد وصل إلى حوالي أربعين أو خمسين ضابطاً ، منهم حوالي ١٣ أو ١٤ تحت مسئوليتي في سلاح الفرسان ، لكن المنشور الأول دفع بنا خطوات كبيرة إلى الأمام وحققنا نفوذاً واسعاً وعضوية أوسع ومع هذا النجاح الباهر قررنا أن نصدر المنشور الثاني ، وأيضاً كتبه جمال منصور وأخذته إلى جمال عبد الناصر ووافق عليه . " (١)

أما صاحب المنشور الأول فيقول : " وفي اليوم التالي بعد الظهر ذهبت كعادتي إلى شقيقي سعد وإذا بي ألمح العربة الأوستن السوداء تقترب من المصنع وتقف على جانب الطريق وينزل منها جمال عبد الناصر ويلقاني بين ذراعيه في عناق وهو لا يكاد يصدق ما حدث ويقول لي : ما كنت أتصور مثل هذا النجاح لأول منشور لقد أحدث مفعول السحر في قلوب الضباط وأنزل الرعب في قلوب المسئولين إن الناس كلهم يتحدثون عن " الضباط الأحرار " وعن هذه الحركة الثورية التي يعيشها ضباط الجيش . " (٢)

---

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٨٣.

(٢) جمال منصور " في الثورة والدبلوماسية " مرجع سابق ص ٤٣.

وتوالى صدور المنشورات وعجز الأمن عن إيقافها أو القبض على مصدريها.

وكان استمرار صدور المنشورات، وتوقيع "الضباط الأحرار"، إعلاناً عن بداية مرحلة جديدة، بعد فترة امتدت خلال السنوات من عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٤٩، عندما كانت تصدر للجيش منشورات من تنظيم الضباط الإخوان، وتنظيم الشيوعيين، بتوقيع (رجال الجيش) ومنشورات مجهولة كانت تُنسب للحرس الحديدي. ومنذ صدرت منشورات الضباط الأحرار، توقفت القوى السياسية عن إصدار منشورات خاصة بها، وكان هذا إعلاناً عن نوع من الوحدة التنظيمية .[1]

يقول خالد محيي الدين: "مع تواصل صدور المنشورات بدأت بعض الشائعات تحاول التهوين من أمرها، وتقول أنها تصدر عن مدنيين، من خارج الجيش، وأنه لا وجود لشيء اسمه "الضباط الأحرار". ولهذا، وبعد المنشور الخامس، بدأ الضباط الأحرار يفكرون في حيلة لإقناع الضباط بأن هذه المنشورات تصدر عن زملائهم، ومن بين صفوفهم. واهتدوا إلى حل لهذه المشكلة، فكان المنشور من صفحة واحدة، وعلى الصفحة الأخرى أصدرنا مجلة سميت "صوت الأحرار" وكانت تحتوى على أخبار من الجيش، أخبار لا يمكن أن يتعرف عليها إلا الضباط، وكانوا ينشرون الخبر ويعلقون عليه" .[2]

ومع اتساع نشاط الضباط الأحرار كان من الضروري أن يعيد تنظيم الضباط الأحرار أنفسهم، وشكلوا لجان لمناطق القاهرة، رفح، الإسكندرية، وكل لجنة تمثل فيها الأسلحة المختلفة، وفي الوقت نفسه، كانت هناك لجنة قيادية، في كل سلاح. أي كان هناك محوران للقيادة: لجنة للمنطقة، ولجنة للسلاح.[3]

***

---

(1) خالد بن سلطان بن عبد العزيز موسوعة مقاتل من الصحراء " مرجع سابق .

(2) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٩٢.

(3) نفسه ص ١٠٧ ، ١٠٨.

علاقة اللواء محمد نجيب بالضباط الأحرار

كان لعبد الناصر دور بارز في النشأة الثانية لتنظيم الضباط الأحرار بفضل قوة شخصيته وحركته الدائبة ، ولكن العمل السري يختلف تماماً عن العمل العلني، وشخصية عبد الناصر التي كان لها وزنها في تنظيم يعمل أفراده تحت الأرض لم يكن لها نفس الوزن بالمرة في المجال العلني على مستوى الجيش ، فما هو إلا بكباشي (مقدم) أركان حرب غير معروف إلا في دائرة محدودة بحكم زمالتهم له في الدفعة أو السلاح وكان نجاح الحركة في ساعاتها الأولى ، وهي أحرج فترة في مسارها متوقفاً على انضمام باقي الضباط على رأس وحداتهم إلى صفوف الحركة، ولكن كيف يُتوقع ذلك وقائدها غير معروف ، وميوله وأهدافه غير واضحة ، وما الذي يدفع هؤلاء الضباط إلى المقامرة بمستقبلهم للانضمام إلى حركة نجاحها في باطن الغيب . ليعرضوا أنفسهم لخطر الإعدام في حالة الفشل . كي يتبعوا هذا المقدم الذي لا يتميز بشيء عن أقرانه ويسلموا له طواعية بالزعامة ويبايعوه قائداً للحركة ؟

ثم إن الأمر ليس مقصوراً على تأييد الجيش فحسب فلا ينبغي إغفال الشعب الذي لابد من كسب تأييده وثقته ليقتنع بأنها حركة شاملة يقوم بها الجيش بأكمله تحت قيادة قائد له شهرته في صفوف الجيش وشعبيته بين الجماهير ، وإنها ليست مجرد مغامرة عسكرية يقوم بها بعض الضباط بدافع من تهورهم واندفاعهم تحقيقاً لشهرة يحصلون عليها أو أملاً في مطالب شخصية يحققونها هذه هي وجهة النظر التي أقنع بها عبد الناصر زملاءه أعضاء لجنة القيادة بضرورة إسناد الحركة

المزمع القيام بها إلى ضابط كبير الرتبة له شهرته وشعبيته في الجيش وخارجه ليتسنى تكتل الجيش والشعب من ورائه بمجرد إذاعة البيان الأول للحركة . [١]

واستقر رأي لجنة القيادة إلى أن اللواء محمد نجيب هو أفضل من تتوفر فيه الشروط المطلوبة.

أما عن علاقة اللواء محمد نجيب بالثورة متى بدأت يقول حلمي سلام [٢] :

" أذكر أنني خصَّصت حلقة في سلسلة المقالات التي نشرتها في المصور تحت عنوان " قصة ثورة الجيش من المهد إلى المجد " عن علاقة محمد نجيب بالثورة وجعلت عنوها " عبد الحكيم عامر يقول لعبد الناصر : بعد أن تعرفت على محمد نجيب لقد اكتشفت لك كنزاً ، وكان ذلك بالحرف هو نص ما قاله عبد الحكيم عامر، أما متى قال عبد الحكيم عامر عبارته هذه لجمال عبد الناصر فلذلك قصة ترجع بنا إلى سنة ١٩٤٨ حين كانت القوات المصرية تقاتل للمرة الأولى على أرض فلسطين وحين كانت فكرة الثورة تحت ظروف ومؤثرات كثيرة وخطيرة ، تختمر أكثر فأكثر ويوماً بعد يوم في رأس جمال عبد الناصر.

كان عبد الناصر قد كاشف زميله عبد الحكيم عامر بكل ما يدور في صدره، بالصعاب التي أحسها تعترض طريق الوصول إلى رجل تتوفر فيه المواصفات المطلوب توافرها فيمن يتولى قيادة الثورة ، وأخذ عبد الحكيم عامر على عاتقه مسئولية مشاركة زميله مهمة البحث عن ذلك القائد.

---

(١) خالد بن سلطان " موسوعة مقاتل من الصحراء " مرجع سابق الفصل الثامن بعد الانقلاب .

(٢) كان الكاتب الصحفي حلمي سلام تربطه أوثق الصلات بالضباط الأحرار منذ يوليو ١٩٤٩ ، وكان موضع ثقتهم وأسرارهم ، وكان المعبر عن مشاعرهم وآرائهم في المقالات التي كان يكتبها في المصور ، مستعيناً بالمعلومات والبيانات والوثائق التي يمدونها بها ، وقامت الثورة واستمر حلمي سلام متمسكاً بأوثق الصلات بأصدقائه ثوار يوليو.
" سعيد أبو العينين " صفحات مجهولة يرويها حلمي سلام " مجلة آخر ساعة " ص ٢١ .

وفي ذلك الوقت كان عبد الحكيم عامر يعمل كواحد من أركـان حـرب الأميرالاي محمد نجيب الذي كان بدوره يعمل كقائد ثان لجبهة القتـال ، وكـان لمحمد نجيب في الميدان سمعة عالية ومواقف مجيدة .. ولم يتـردد عبـد الحكـيم في الذهاب إلى عبد الناصر حيث كان يقاتل في عراق المنـشية ليقـول لـه : لقـد اكتشفت لك كنزاً.

وحينما توقفت الحرب ، وعاد الجميع إلى القاهرة حرص عبد الناصر مـن ناحيته على أن يزداد اقتراباً من محمد نجيب حتى يغـوص في أعماقـه بنفـسه ، ويستكشفه، وبعد كل مرة التقى فيها عبد الناصر مع محمد نجيب كان يخرج مـن عنده وقد ازداد اقتناعاً ، وأنه رجل الدور الذي ينتظره. " [١]

ويذكر محمد نجيب في مذكراته : " كنت أول من قال : إن المعركة الحقيقية في مصر وليست في فلسطين ، وهي العبارة التي نسبها جمال عبد الناصر لنفسه بعد ذلك . وكنت لا أتردد في أن أقول هذا الكلام لكل من أثق فيه مـن الـضباط . كنت أحرضهم على القتال في فلسطين والانتباه لما يدور في مصر . وكنت أوحـي لهم بضرورة عمل أي شيء لإنقاذ البلاد مما هي فيه.

وفي فترة من الفترات كان الصاغ أركان حرب محمد عبد الحكـيم عـامر أركان حرب للوائي ويبدو أن كلام عن الفساد في القاهرة أثرَّ فيـه فـذهب إلى صديقة البكباشي أ.ح جمال عبد الناصر وقال له – كما ذكر لي بعد ذلك – لقـد عثرت في اللواء محمد نجيب على كنز عظيم وخلال حلقات النقاش تعرفت علـى جمال عبد الناصر. [٢]

---

(١) سعيد أبو العينين " صفحات مجهولة يرويها حلمي سلام " مجلة آخر ساعة ص ٢١ .
(٢) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ٨٢ . ٨٣

ولم يضم عبدُ الناصر محمدَ نجيب إلى تنظيم الضباط الأحرار إلا قبل قيام الثورة بعامين أي في منتصف سنة ٥٠ تقريباً رغم أنه كان يعرفه منذ سنة ١٩٤٨ وقامت بينهما صداقة.

يقول محمد نجيب " الحق ، حق إنني لم أنضم إلى تنظيم الضباط الأحرار إلا في العامين السابقين للثورة . "[١]

وثمة دليل آخر – على قِدم انضمام محمد نجيب لتنظيم الضباط الأحرار – يسوقه يوسف صديق ، عندما سأل جمال عبد الناصر في أكتوبر ١٩٥١ عن الضباط الذين يعملون في قيادة الحركة فأخبره أن أقدم ضابط هو اللواء محمد نجيب ، فاستراح لهذا الاسم الذي يُكِنُّ له كثيراً من الاحترام والحب لما يمتاز به من صفات وسمعة طيبة بين ضباط الجيش.

يقول يوسف صديق في مذكراته : " في يوم من أيام شهر أكتوبر سنة ١٩٥١ وكنت قد وصلت إلى رتبة البكباشي وكنت أعمل قائد ثاني كتيبة الماكينة الأولى المشاة في القنطرة شرق زارني وحيد رمضان .. وعرض عليَّ أن أنضم إلى تنظيم الضباط الأحرار .. وكنت بطبيعة الحال قد سألت (وحيد) عن قيادة الضباط الأحرار فأبلغني أن أقابل البكباشي جمال عبد الناصر عند ذهابي للقاهرة وكان جمال يعمل مدرساً في كلية أركان الحرب .. قابلت جمال وألححت عليه بضرورة معرفتي على الأقل للضباط الأقدم مني لمجرد الاطمئنان إليهم أخبرني بأن أقدم ضابط هو اللواء محمد نجيب فاسترحت لهذا الاسم الذي كنت أكن له كثيراً من الاحترام والحب لما يمتاز به من صفات طيبة وسمعة طيبة بين ضباط الجيش علاوة على أنه كانت تجمعني به صلة الجوار في السكن ."[٢]

---

(١) عادل حمودة " الوثائق الخاصة بالرئيس نجيب " روز اليوسف ص ٣٠.

(٢) يوسف صديق " أوراق يوسف صديق " تقديم د. عبد العظيم رمضان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٨٦ ، ٨٧.

ولكن إذا كان جمال عبد الناصر قد استطاع أن يضم محمد نجيب إلى تنظيم الضباط الأحرار منذ زمن مبكر لنشأة التنظيم على حد قول خالد محيي : " بدأت علاقتنا بنجيب ، وعرف بوجودنا منذ فترة مبكرة . "[1]

كنت أقول إذا كان تاريخ انضمام محمد نجيب لتنظيم الضباط الأحرار كان في منتصف سنة ١٩٥٠ أي بعد أربعة أشهر تقريباً منذ " بدأ العمل بين الضباط يأخذ شكلاً تنظيمياً في فبراير عام ١٩٥٠ مع صدور أول منشور لهم موقعا باسم الضباط الأحرار " [2] فلماذا لم يُضَم محمد نجيب إلى اللجنة التأسيسية أو لجنة القيادة ؟ رغم أن كثيراً ممن ضُمُوا إلى لجنة القيادة قد دخلوا التنظيم بعد انضمام محمد نجيب له بزمن طويل ، ولماذا لم يكن محمد نجيب يحضر اجتماعات التنظيم ؟

يجيب محمد نجيب عن هذه الأسئلة فيقول : " وفي تلك الأيام العصيبة قاتل الفدائيون الإنجليز في القناة ، واحترقت القاهرة ، وأخذ الملك وحاشيته يلسهون بكراسي الوزارة ، ونخر الفساد في كل مكان بمصر . ولاحظت أنني موضوع تحت المراقبة في كل مكان أذهب إليه كنت أشعر بمن يراقبني ، في الجيش ، وحول بيتي ، ولاحظت أن بعض الناس ممن لا أثق فيهم يستدرجونني في أحاديث عما يجري في البلد أحسست أنني محاصر ، وأن الملك ومخابراته يريدون وضعي في المصيدة واتصلت بعبد الحكيم عامر وطلبت منه المزيد من الحذر والسرية في اتصالاتنا بالضباط الأحرار." [3]

---

(1) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ١٠٩ .

(2) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٤٥.

(3) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع السابق ط٢ ص ١٠٥

ويؤكد أحمد حمروش كلام نجيب فيقول : " لم يكن محمد نجيب يحضر اجتماعات التنظيم، أثناء تكوينه، لأنه كان محل رقابة سلطات الأمن المسئولة، باعتباره نجماً محبوباً من ضباط الجيش، ولأنه كان في رتبة كبيرة (أميرلاي)، بينما كان أكبر الضباط، في ذلك الوقت، يحمل رتبة (بكباشي) والاتصال يبدو مريباً، ومثيراً أيضاً . لذا تم الاتفاق بينه وبينهم، على أن تكون الصلة به فردية، وليست تنظيمية . "[1]

إذن لم يكن دور محمد نجيب كما يحلو للبعض أنه يصفه دور شَرَفِي فقط إنما كان يلتقي بأعضاء لجنة القيادة ويتحاور معهم حول التنظيم ، وفي ذلك يقول خالد محيي الدين : " محمد نجيب كان مشاركاً وموجوداً وعلى صلة بس ما كنش له دور تنظيمي ، أولاً : لأنه كان لواء وحركته محسوبة ، وأي محاولة ضمه للخلايا كانت تنكشف جداً ، هو الرجل كان على علاقة حسنة بنا ، رجل وطني، ودخل باسمنا انتخابات نادي ضباط الجيش (٣١/ ١٢ /١٩٥١) ، وكان يبلغنا بكل المعلومات التي تصله ، ونبلغه بأية معلومات ، وفي الوقت نفسه لما قلنا له إن فيه حركة حتقوم قال أنا مستعد أتولى القيادة وأشارك ، قلنا له أنت ما تشاركش خليك في الأمان بتاعك . "[2]

محمد نجيب قائداً لتنظيم الضباط الأحرار

عرفنا كيف انضم محمد نجيب لتنظيم الضباط الأحرار وصلته القديمة به ، فمتى وضع الضباط الأحرار أنفسهم تحت قيادة محمد نجيب.

---

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٤٥.

(٢) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو " مرجع سابق ص ٣٧

يقول محمد نجيب : " الحقيقة أنهم وضعوا أنفسهم تحت قيادتي منذ ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ، وجميع الخطوات التي تمت بعد ذلك كانت بموافقتي وأمر مني . وقد رفضت في يناير سنة ١٩٥٢ اقتراحاً لعبد الناصر بأن أستولي على السلطة بعد حريق القاهرة لأن القوات التي كانت تحتل القاهرة كانت تحت قيادتي ،وقد رفضت هذا الاقتراح في اجتماع في مكتبي برئاسة المشاة وكان ذلك بحضور عبد الحكيم عامر ، وصلاح سالم ، واللواء جمال حماد ، وهو حي يرزق وقد كتب ذلك في مذكراته . " [١]

ويقول السادات في كتابه " أسرار الثورة المصرية " الذي ظهرت طبعته الأولى في يوليو ١٩٥٧ وقال جمال عبد الناصر في تقديمه للكتاب : " فرغت من كتاب القائمقام أنور السادات ، وساءلت نفسي عما دفعني لهذا الإعجاب به، فجاءني الرد المنطقي فوراً مضمونه المتحلي بسلامة الأسلوب ، وقوة المواقف ، وطابع البساطة في سرد الحوادث ، وعرض المواقف ... لقد حلل المؤلف في كتابه الشخصيات والأحداث تحليلاً دقيقاً مما جعل الكتاب مرجعاً قيّماً يعتد به .. هذا الكتاب ولا شك خلاصة البواعث الخفية ، والأسباب السيكولوجية لثورتنا السلمية . " [٢]

يقول السادات في هذا الكتاب : " في يناير ١٩٥٢ إذ اجتمعنا في منزل الصاغ كمال الدين حسين وانتخبنا جمال رئيساً لمدة سنة أخرى من ذلك التاريخ . على أن هذا الاجتماع قد تضمن قراراً آخر اتخذناه ، ووافقنا على إبقائه سراً بيننا. وكان هذا القرار هو اختيار اللواء أركان حرب محمد نجيب لكي يكون قائداً لحركتنا في يوم تنفيذها.

---

(١) سعيد أبو العينين " صفحات مجهولة يرويها حلمي سلام " مرجع سابق ص ٢١ .

(٢) مقدمة الرئيس جمال عبد الناصر لكتاب " أسرار الثورة المصرية " مرجع سابق .

وكان سبب اتخاذ هذا القرار هو أننا لا بد أن نضع في حسابنا شخص القائد الذي نتقدم خلفه إلى الشعب ، لكي نستطيع أن نمهد لشخصيته التمهيد الكافي في صفوف الجيش .

وقد كان الرئيس نجيب قد عُرِف بمجموعتنا عن طريق عبد الحكيم عامر ، إذ كان عبد الحكيم عامر أركان حربه أيام معركة فلسطين ، كما قام بتعريف اللواء نجيب بالبكباشي جمال عبد الناصر عقب عودة جمال من الفالوجا ." [1]

ويؤكد شيخ المؤرخين عبد الرحمن الرافعي قيادة نجيب للتنظيم في يناير ١٩٥٢ في كتابه " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " الذي اطّلع جمال عبد الناصر على مسودته قبل طبعه ،ولم يعترض على ما تناوله الكتاب . ولم يعلم الرافعي بهذه الواقعة إلا عندما قام بإهداء نسخة من هذا الكتاب إلى جمال عبد الناصر ." [2]

يقول الرافعي : " أعيد انتخاب جمال عبد الناصر أيضاً لرئاسة الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار في يناير ١٩٥٢، وفي هذا الاجتماع الأخير اتفقوا على اختيار اللواء محمد نجيب لكي يكون قائداً للحركة في يوم تنفيذها ، وبقي هذا سراً مكتوماً بينهم ، ولم يفضوا به إلى اللواء محمد نجيب إلا قبيل معركة انتخابات نادي ضباط الجيش . " [3]

ويؤكد أكثر من ضابط من الضباط الأحرار اختيار محمد نجيب قائداً للضباط الأحرار في يناير ١٩٥٢ فيقول جمال حماد : " لما أنا ضغطت على عبد الحكيم عامر وسألته وقلت له : مين القائد بتاعكم قال لي : طيب إيه رأيك في

---

(1) أنور السادات " أسرار الثورة المصرية " مرجع سابق ص ٢٢٦ ، ٢٢٧.

(2) المستشار حلمي السباعي في تقديمه لكتاب عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣يوليو " مرجع سابق ص ١١، ١٢ .

(3) عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣يوليو " مرجع سابق ص ١١٣ ، ١١٤ .

اللواء محمد نجيب ؟ .. فقلت له محمد نجيب سُمْعِته كويسة جداً كقائـد ، وكـان ذلك قبل انتخابات نادي الضباط . " [1]

ويقول حسين حمودة : " قبل الانقلاب (يقصد قبل قيام ثورة ٢٣ يوليـو) بحوالي ستة أشهر عقد اجتماع للضباط الأحرار في الكلية الحربية بمحـل أسـترا بميدان التحرير ، وحضر الاجتماع زكريا محيي الدين ، وكاتب هـذه الـسطور (يقصد نفسه) وعبد الحليم عبد العال وحمدي عاشور ، وكمال رفعـت . وقـد أخطرنا زكريا محيي الدين في هذا الاجتماع أن اللواء محمد نجيـب قَبِـلَ رئاسـة الحركة التي سيقوم بها الضباط الأحرار . " [2]

وبهذا يتأكد لنا أن شهر يناير ١٩٥٢ هو تاريخ قيادة محمد نجيب للـضباط الأحرار، نقول هذا لأنه أثناء أزمة مارس ١٩٥٤ ، وبعد إقالة محمد نجيـب كثـر الكلام على أن محمد نجيب لم يكن من الضباط الأحرار ، ولم يعلم بالتنظيم إلا قبل قيام الثورة بشهرين فقط .وهو أمر مجافٍ للحقيقة كما بينا.

جاء في بيان مجلس قيادة الثورة بعد إقالة محمد نجيب يوم ٢٥ فبرايـر سـنة ١٩٥٤ : " اختاروا (أي الضباط الأحرار) فعلاً فيما بينهم اللواء أركان حـرب محمد نجيب ليقدم قائداً للثورة وكان بعيداً عن صفوفهم .. وأُخْطِر سـيادته بـأمر ذلك الاختيار قبل قيام الثورة بشهرين ووافق على ذلك . وما إن علم سيادته بقيام الثورة عن طريق مكالمة تليفونية بين وزير الحربية في ذلك الوقت السيد مرتـضى المراغي وبينه وفي منزله حتى قام إلى مبنى قيادة الثورة واجتمع برجالها فور تسلمهم لزمام الأمور . ومنذ تلك اللحظة أصبح الموقف دقيقاً إذ أن أعمـال ومناقـشات ،

([1]) جمال حماد في برنامج " شاهد على العصر " الجزيرة نت بتاريخ الحلقة ١٠/١١/ ٢٠٠٨

([2]) حسين حمودة " أسرار حركة الضباط الأحرار والاخوان المسلمين " مرجع سابق ص ٧٧ .

مجلس قيادة الثورة استمرت أكثر من شهر بعيدة عن أن يشترك فيها اللواء محمد نجيب إذ أنه حتى ذلك الوقت وعلى وجه التحديد يوم ٢٥ أغسطس سنة ١٩٥٢ لم يكن سيادته قد ضُمَّ إلى أعضاء مجلس الثورة . " (١)

ويقول أنور السادات في كتابه " قصة الثورة كاملة " إن آخر شيء كان يتوقعه : محمد نجيب هو أن يقلب الجيش نظام الحكم . أقول كان لا يعلم حتى ذلك الحين – مايو عام ١٩٥٢ – إن في الجيش تنظيماً سريّاً ، ولم يعرف أي شيء عن الضباط الأحرار ، وإنما كان يعرف جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم . ولم يكن يعرفهم على أساس أنهم يعملون داخل تنظيم سري يعد العدة للقيام بثورة بل كان يعرفهم على أساس أن لهم رأيّاً عاماً في الجيش فقط ! ". (٢)

وكهذا حاول مجلس قيادة الثورة تقليص دور محمد نجيب في الثورة بل إسقاطه تماماً بعدما تم اعتقال محمد نجيب واستبداد عبد الناصر بالحكم فكان يخشى من تاريخ محمد نجيب المجيد فراح هو ومجلس قيادته يشوهون تاريخ الرجل لدرجة أن السادات يلخص دور محمد نجيب في الثورة على النحو التالي : " هذا هو وضع محمد نجيب في عام ١٩٥٢ في عام الثورة ! موظف كبير من موظفي الدولة أساءت إليه السراي عندما نقلته من وظيفته ؛ فقرر القدر أن يعوضه عن هذه الإساءة الهينة بوضعه على رأس الدولة .. خطة الثورة توضع وقائد الثورة (يقصد محمد نجيب) في منزله لا يعلم ؟ قائد الثورة في فراشه والثورة نفسها تجهله ، قائد الثورة في فراشه ، والثورة نفسها لا تدري هل هو الذي سيوضع على رأسها أم سيكشف أحد حقيقته في اللحظة الأخيرة ؟ .. كانت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار توالي

---

(١) عبد الرحمن الرافعي " ثورة ٢٣ يوليه " مرجع سابق ص ١٣٧ ، ١٣٨.

(٢) محمد أنور السادات " قصة الثورة كاملة " مرجع سابق ص ٥٧.

اجتماعاها في تلك الأيام التاريخية الرهيبة المليئة بالأحداث ، وأبلغ جمال الهيئة بأنه يمكن تنفيذ الخطة الأساسية بالقوات الموجودة وقال : إن ذلك يمكن أن يتم ليلة ٢١ ، ٢٢ يوليو . كل هذا كان يحدث وكل تلك الأحداث التاريخية كانت تقع واللواء نجيب في بيته لا يعلم شيئاً ولا يعرف شيئاً بل ولم يكن قد عرف أن في الجيش تنظيماً سرّياً يقلب نظام الحكم . كنّا في ١٩ يوليو وقد صدرت الأمر لجميع الضباط بالانتظار يوميّاً في مراكز تجمع من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى منتصف الليل وأبلغوا بموعد التنفيذ وكل هذا واللواء نجيب في بيته لا يرى شيئاً ولا يسمع شيئاً بل ولم نكن قد فاتحناه حتى ذلك الوقت بمسألة قيادته للثورة . كنّا جميعاً نمهد له الطريق في تلك الأيام نحو الخلود كنّا نواصل ليلنا بنهارنا لكي يخرج من بيته – وهو لا يعلم – ويقال له أنت زعيم . رقابنا ومصائر أطفالنا وزوجاتنا كل هذا لكي يصبح اللواء الذي في بيته على رأس الدولة وهو لا يعلم .. إن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم ذهبا إلى اللواء يوم ٢٠ يوليو ليبلغاه ولأول مرة أن في الجيش تنظيماً سرّياً له تشكيلاته في جميع وحدات القوات الأسلحة . ثم لبلغاه أن هذا التنظيم السري الضخم قرر القيام بقلب نظام الحكم وأنه – أي التنظيم – قد اختاره ليكون قائداً للثورة وأن العملية ستبدأ بين لحظة وأخرى .. وفي ذلك اليوم ٢٠ يوليو قرر جمال عدم الاتصال باللواء نجيب لإبلاغه بأن الثورة ستقوم وأنه قائدها إلا بعد انتهاء العملية ونجاحها . " [1]

أ أريتم كيف زوَّر السادات تاريخ محمد نجيب لصالح جمال عبد الناصر بهذه الطريقة الفجة ؟!

---

(1) محمد أنور السادات " قصة الثورة كاملة " مرجع سابق ص ٥٧ – ٦٤ بتصرف.

وبسبب هذا التزوير المفضوح لم يعتمد أي من المؤرخين المعتبرين لتاريخ الثورة على كلام السادات في كتابه " قصة الثورة كاملة " عن نشأة الضباط الأحرار والتخطيط للثورة وقيامها والأحداث التي جرت بعدها لعدم توافر الدقة في كلامه واختلاف رواياته عن الثورة جذرياً مع روايات قادة الثورة ، وإنما كتب هذا الكتاب لتملق عبد الناصر بعد استبداده بالحكم ، أما كتابه " البحث عن الذات " فهو على النقيض تماماً من كتابه الأول وفيه تقييم حقيقي للحقبة الناصرية، وذلك لأن السادات كتب هذا الكتاب بعد وفاة عبد الناصر بسنوات طويلة ، وبعد توليه حكم مصر .

ويشاء الله تعالى أن يأتي اليوم الذي يهيل المغرضون التراب على تاريخ السادات ويشوهون إنجازاته وينسبونها لعبد الناصر ، وكما تدين تدان .

وبعد أن عرفنا نشأة تنظيم الضباط الأحرار وأهم عناصره نلقي نظرة سريعة على أهم الأحداث التي وقعت عامي ١٩٥١ ، ١٩٥٢ .

***

حالة البلاد قبيل الثورة

قبل الثورة بعامين كان الموقف السياسي يتدهور ، وهيبة النظام تتآكـــل ، وحماقات الملك في نفس الوقت تتضاعف ، وتتسم بعـــدم المبـــالاة أو ســـلامة التقدير ، والتهبت الصحف بمقالات نقدية عنيفة تفضح التصرفات الشخـــصية للملك ورجال الحاشية بعبارات مستترة ، ولم يفلح قانون حماية أخبار القصر في وقف هذه الحملة.

وألقى محمد صلاح الدين [١] بيانه أمام مجلس النواب يـــوم ١٦ أغـــسطس ١٩٥١ حمل فيه حملة عنيفة على الاستعمار البريطـــاني والـــسياسة الإنجليزيـــة في فلسطين التي انتهت بإنشاء إسرائيل ، وأشار إلى وجوب جلاء الإنجليز عن قاعـــدة قناة السويس قبل الموعد المحدد في معاهدة ١٩٣٦ وهو عـــام ١٩٥٦ ، وتأكيـــد الوحدة بين مصر والسودان . وإلا ستعمل حكومة الوفد على إلغائها .

وتلقت الجماهير خطاب وزير الخارجية ليكون نقطة انطلاق لها في حركتـــها التي كانت تتصاعد يوماً بعد يوم حتى ٢٦ أغسطس – تـــاريخ توقيـــع معاهـــدة ١٩٣٦ – فقررت التنظيمات السياسية التظاهر وخرجت القاهرة عن بكرة أبيها على حد تعبير جريدة المصري ،وحدث تصادم بين البوليس والمتظاهرين فأصـــيب البعض من الطرفين ، واستمرت المظاهرات تموج في القاهرة حتى المساء .

---

(١) وزير الخارجية في الحكومة الوفد الأخيرة التي تشكلت في ١٩٥٠/١/١٢ .

ووجدت الحكومة الوفدية أنها تفقد كثيراً من رصيدها الشعبي أمام موجة الحماس التي تجتاح الشعب ، ووجدت أيضا أنها قد أصبحت محاصرة بوعدها الذي قطعته على نفسها بإلغاء المعاهدة .[1]

إلغاء معاهدة ١٩٣٦:

وقف النحاس باشا على منبر مجلس النواب مساء يوم الاثنين ٨ أكتوبر ١٩٥١ ، وألقى بياناً مستفيضاً عن سياسة الحكومة نحو معاهدة ١٩٣٦ ، أعلن فيها قطع المباحثات السياسية بين الحكومتين المصرية والبريطانية بعد أن تبين بجلاء عدم جدواها. كما أعلن إلغاء معاهدة ١٩٣٦ بكلمته التاريخية :" من أجل مصر أبرمت معاهدة ١٩٣٦ ، ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها " كما ألغى اتفاقيتي ١٩ يناير و١٠ يوليه سنة ١٨٩٩ بشأن إدارة السودان ، كما قدم مرسوماً بمشروع قانون بتبديل الدستور وجعل لقب الملك " ملك مصر والسودان . "[2]

وفي يوم ٩ أكتوبر ١٩٥١ أصدر وزير خارجية المملكة المتحدة البريطانية بياناً مقتضباً أعلن فيه أن حكومته لا تعترف لا بحق مصر في إلغاء المعاهدة ولا بقانونية الإجراء الذي أقدمت عليه بإلغائها .[3]

ويوم ١١ أكتوبر ١٩٥١ وجهت حكومة المملكة المتحدة البريطانية تحذيراً للحكومة المصرية تحملها فيه المسئولية كاملة عن حياة الرعايا الأجانب وعن ممتلكاتهم ؛ لأن إلغاء المعاهدة من جانب واحد والأجواء التي صاحبت الإلغاء، أطلقت العنان لمشاعر معادية للأجانب مما أدى بالفعل إلى وقوع حوادث .[4]

---

(1) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٥٢ ، ١٥٣.
(2) عبد الرحمن الرافعي " في أعقاب الثورة المصرية " ج٣ مرجع سابق ص ٣٣٥.
(3) نفسه ص ٣٣٥.
(4) بالفعل فإن بريطانيا قد تمسكت بمعاهدة ١٩٣٦ ولم تخرج من مصر إلا في عام ١٩٥٦ وهو الميعاد الذي تحدده المعاهدة لخروج الجيش الإنجليزي من مصر

فقد كان إلغاء المعاهدة – حتى وإن كان من جانب واحد – إعلاناً ببدء الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطانية في منطقة القناة . وحافزاً لتجمع القوى الاستعمارية والرجعية في محاولة للإطاحة بالحكومة الوفدية التي استردت كامل شعبيتها ، وتحركت التنظيمات السياسية تعد نفسها للكفاح المسلح .

يقول فؤاد سراج الدين (سكرتير عام الوفد ووزير الداخلية والمالية في حكومة الوفد الأخيرة) : " من حسن الحظ أن أوحى لنا الإنجليز بما يتبع ، فقد حدث خلال مناقشة مع سير رالف ستيفنسون أن عرضت عليه مغادرة القنال إلى قبرص أو مالطة ، فأجاب بأنه لا يوجد في أي منهما المزايا التي تتوافر في قناة السويس والتي عددها بالآتي :

١- الأيدي العاملة متوافرة ورخيصة .

٢- وسائل النقل برّاً بالسكة الحديد والطائرات والبحر متوفرة .

٣- الحياة الاجتماعية منتعشة في مدن القناة وهي مسائل جوهرية لقواتنا المسلحة وأعددنا خطتنا على أساس إفساد هذه المزايا .

١- أصدرنا تشريعاً بسجن كل عامل يعمل في القاعدة البريطانية إلى جانب إذكاء الروح الوطنية لعدد يتراوح بين ٤٠,٠٠٠ ، ٥٠,٠٠٠ عامل ، وخلال أيام قليلة وصلت نسبة البطالة ١٠٠ % ، وقام وزير الشئون الاجتماعية بترحيلهم للقاهرة ودفع مرتباهم كاملة .

٢- أصدرنا قراراً وزاريّاً بمنع السكك الحديدية المصرية من نقل أي مهمات أو مواد إلى القاعدة ، وكذلك منعنا النقل النهري ، وأصدرنا تشريعاً بسجن كل من يتعاون مع أفراد القوات البريطانية ، الأمر الذي اضطرهم إلى التموين بالطائرات من قبرص .

٣- أما عن الحياة الاجتماعية فقد نشط فيها الفدائيون الذين كانوا يصطادون أي ضابط أو جندي ينفرد بالظهور في مدن القناة.

وأذكر أن السفير أرسل خطاب احتجاج شديد على مصرع أكبر خبير لهم في شئون حرب العصابات ، وكان قد حضر من حرب كوبا.

وكان عدد كبير من المحركين لهذه القوات من ضباط البوليس الذين يلبسون ملابس مدنية . وهكذا بدأ الكفاح المسلح ضد القوات البريطانية في منطقة القناة يتصاعد ... وفي يوم ٢٠ يناير ١٩٥٢ حضر إلى مكتبي بوزارة المالية نجيب باشا الراوي وقال لي : إنه يحمل رسالة من نوري سعيد مفادها أن الإنجليز أفلسوا تماماً وهم يطلبون حلاً لا يريق ماء الوجه ، وهم موافقون على كل شيء شرط إيقاف أعمال الكفاح المسلح في قناة السويس . قلت لنجيب الراوي : لا يوجد مصري يجرؤ على هذا.

نجحت معركة القناة إلى الحد الذي دفع على ماهر باشا إلى القول بعد ذلك في محكمة الثورة : إنني كنت أشعر أنني سأكون أقوى مفاوض مصري نتيجة معركة القناة . وهكذا تحول الأسلوب التقليدي في مفاوضات الإنجليز إلى كفاح مسلح في القناة . (١)

إن الكفاح ضد الإنجليز وما تخلله من بطولة وفداء ، وجهاد وتضحية ، ومقاطعة تامة، وعدم تعاون مع الاحتلال ، ومنع التموين عن قواته قد أنتج ثمرات طيبة كان لها أثرها في تغيير وجهة النظر البريطانية في فائدة القاعدة الحربية في قناة السويس ، فإن هذه القاعدة لا تكون صالحة للقتال أو إيواء جيش كبير إلا إذا

---

(١) شهادة فؤاد سراج الدين لأحمد حمروش والتي ضمنها كتابه " شهود ثورة يوليو " ص ٩٦٤ ، ٩٦٥.

كانت مسنودة من شعب صديق ، وحكومة صديقة ، وأن تكون مواصلاتها ووسائل تموينها سهلة ميسرة مكفولة في حالة السلم ، وخاصة في وقت الحرب .

ولقد تبين من كفاح المصريين سنة ١٩٥١ ، ١٩٥٢ أن هذه القاعدة مهددة بالخطر، وعديمة الجدوى للإنجليز في حالتي السلم والحرب جميعاً .

فالتضحيات التي بذلت والدماء التي سفكت في معارك القتال لم تذهب عبثاً، بل إن لها فضلاً كبيراً في جنوح الإنجليز إلى قبول الجلاء . بعد أن كانوا مُصرِّين على الرفض، ولقد اعترف الإنجليز في غمرة الكفاح بهذه الحقائق .

قال اللورد ستانسجيت في هذا الصدد في مجلس اللوردات : " إن القاعدة البريطانية في منطقة القناة أصبحت لا تصلح عسكريّاً ، وإن الكُره الذي يحف بها يجعلها مهددة ، فلا معنى لبقائها " .

ونشر مراسل صحيفة التيمز في منطقة القناة مقالاً في عدد ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٥١ وصف فيه حالة المعسكرات البريطانية ، واعترف بفداحة الضربة التي أصابت القاعدة الإنجليزية في القنال حين أجمع العمال المصريون على الانسحاب منها ، وما أعقب هذا الانسحاب من إشاعة الفوضى والارتباك فيها ، واعترف بفشل المحاولات التي اتخذت لجلب العمال من الخارج ، وقال إن الأعمال الحيوية في المعسكرات أصيبت بارتباك خطير ، وأصبح من المتعذر صيانة المقادير الهائلة من المعدات العسكرية ،وأشار إلى أن أعمال الفدائيين المصريين قد أقضَّت مضاجع الجنود البريطانيين ، وانقلبت الأمور في منطقة القناة بالنسبة للجيش البريطاني رأساً على عقب ، فبدلاً من أن يركز قواته في الاحتفاظ بالقاعدة والنهوض بها من كافة الوجوه أصبح يركز جهوده في حماية نفسه من هجمات الفدائيين.

وبلغ من شدة توتر أعصاب الجنود البريطانيين أنهم باتوا يتساءلون عن جدوى الاحتفاظ بقاعدة عسكرية فقدت قيمتها نتيجة الشعور الوطني المعادي وعما إذا كان من الأوفق تجنب احتكاكات سياسية جديدة بالبدء في إنشاء قاعدة أخرى في جهة تعرب حكومتها عن رغبتها في الانضمام إلى قيادة الشرق الأوسط أو على الأقل في منطقة لا يكون وجود القوات الإنجليزية فيها مدعاة للسخط والاستنكار ". (١)

درس في خطورة سلاح المقاطعة والكفاح المسلح على الاستعمار:

لقد كان سلاح المقاطعة الذي انتهجته مصر حكومة وشعباً ضد الاستعمار الإنجليزي وكذا كفاح الفدائيين الأبطال هو السبب الحقيقي في جلاء الإنجليز عن مصر وكان يمكن أن يتم هذا الجلاء إذا بقي الوفد في الحكم ، ولم يقله الملك بضغط من الإنجليز ، فما جرى في منطقة القنال سنة ١٩٥١ ، ١٩٥٢ كان بلا ريب سيجبر الإنجليز على الإسراع في إتمام الجلاء وعدم الانتظار إلى سنة ١٩٥٦ للجلاء وهي آخر سنوات اتفاقية ١٩٣٦ العشرين.

فلم تكد حوادث الكفاح في القتال تتوالى حتى كانت الصحف العالمية ومحطات الإذاعة في الشرق والغرب تتحدث عن هذا الكفاح وتطوراته وكانت هذه الأنباء أكبر دعاية لجهاد مصر في سبيل تحررها من الاستعمار ، وصارت القضية المصرية موضع حديث العالم وموضع تقدير أنصارها وخصومها على السواء . (٢)

لكن إقالة حكومة الوفد ذات الأغلبية وتعاقب حكومات المستقلين ، وقيام ثورة ٢٣ يوليو قد أجّل الاستقلال إلى ١٩٥٦ .

---

(١) نقلا عن عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " ص ١١٨ ، ١١٩.
(٢) نفسه " ص ١١٨ .

المظاهرات تعم البلاد:

كانت المظاهرات عقب إلغاء النحاس باشا معاهدة ١٩٣٦ وإعلان الكفاح المسلح ضد الإنجليز – قد عمت معظم المدن المصرية مطالبة بالقتال والسلاح ، وكانت القوات الإنجليزية تتصدى بعنف لهذه المظاهرات ، ولم تتورع عن سفك دماء المتظاهرين مما ترتب عليه قتل ٧ متظاهرين وجرح ٤٠ آخرين في الإسماعيلية، وقتل ٥ متظاهرين وجرح الكثير في بور سعيد ثم وضعت القوات البريطانية منطقة القنال تحت حكم عسكري مباشر متجاهلة السلطة المصرية .

وفي يومي ١٧ ، ١٨ نوفمبر ١٩٥١ أطلق الإنجليز النار على ثكنات البوليس في الإسماعيلية فردَّ هؤلاء وسقط القتلى والجرحى من الجانبين ، وفي ٣ ديسمبر أطلق الإنجليز النار على بعض قوات البوليس في السويس واستشهد ٢٨ مصريّاً منهم ٧ من رجال البوليس ، وقتل من الإنجليز ٢٢ وتجدد الاشتباك في اليوم التالي وسقط ١٥ شهيداً .

وفي ٨ ديسمبر طلب الإنجليز إخلاء حي (كفر أحمد عبده) بدعوى تحصن الفدائيين به ، واجتمع مجلس الوزراء وقرر رفض الطلب ؛ فحشد الإنجليز آلاف الجنود ودبابات ومصفحات لم يكن ممكناً لقوة بوليس لا يزيد عددها عن ٤٠٠ أن تقاوم فانسحبت وهدم الإنجليز كفر أحمد عبده .[١]

كانت هذه الأحداث المتكررة تهيج مشاعر الشعب في مصر فتنطلق المظاهرات ، ويحدث من أفرادها اعتداءات على الممتلكات ، مما نبه العقلاء من المثقفين إلى التنبيه إلى خطورة هذا حتى لا يتخذ الإنجليز هذه الاعتداءات على

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٦٦ .

الممتلكات والمنشآت الأجنبية ذريعة لمواصلة التنكيل بالمتظاهرين واتهامهم بالفساد والفوضى والخروج على النظام ، مما يترتب عليه تحويل المظاهرات الوطنية المشروعة إلى بلطجة غير مشروعة .

وخاطب النحاس باشا الشعب طالباً منهم الهدوء ، وأصدر رؤساء تحرير الصحف بياناً بالعدول عن المظاهرات حتى لا يستغلها الإنجليز ، وقد وقَّع البيان معظم رؤساء التحرير ، لكن استشهاد الفدائيين في القنال ، وحالة الاحتقان التي عمت البلاد ، وتمادي الإنجليز في صلفهم ، وعجز الحكومة عن فعل شيء جدي،وصمت الملك عن كل هذا جعل وقف المظاهرات أمراً صعباً فقد كانت هي الاختيار الوحيد أمام الشعب للتعبير عن سخطه على الإنجليز وفساد الأوضاع .

مجزرة الإسماعيلية:

في يوم الجمعة ٢٥ يناير ١٩٥٢ وصلت الاستفزازات البريطانية إلى الذروة عندما احتشدت قوات ضخمة من الجيش البريطاني تشد أزرها قوات كبيرة من الدبابات والمصفحات ومدافع الميدان وحاصرت مبنى محافظة الإسماعيلية وثكنات بلوكات النظام ، وطالبت تسليم أسلحة جميع قوات البوليس من بلوكات النظام وغيرهم الموجودين بالإسماعيلية ، وجلاء تلك القوات عن دار المحافظة وعن الثكنات مجردة من أسلحتها في الساعة السادسة والربع من صباح ذلك اليوم ورحيلها عن المنطقة جميعها .

فاتصل قائد بلوكات النظام اللواء أحمد رائف بوزير الداخلية فؤاد سراج الدين فطلب منه عدم التسليم ومقاومة أي اعتداء يقع على دار المحافظة أو على ثكنات بلوكات النظام أو على رجال البوليس أو الأهلين ، ودفع القوة بالقوة ، والصمود في الدفاع حتى آخر طلقة مع القوات كما طلب تبليغ ذلك إلى القيادة البريطانية .

وبعد دقائق عاد القائد البريطاني وأبلغ قائد البوليس المصري بأنه إذا لم تسلم القوات المصرية أسلحتها فوراً فستهدم دار المحافظة والثكنات على من فيها . فأصر القائد المصري على رفض التسليم ، وأصدر أمره إلى القوات التي تحت إمرته بالمقاومة إلى النهاية إذا بدأ العدوان الإنجليزي .

وبعد دقائق نفَّذ البريطانيون إنذارهم وأخذوا يضربون دار المحافظة والثكنات بالمدافع ويطلقون عليها القنابل ، وانهال الرصاص من الدبابات والسيارات المصفحة على جنود البوليس .

فردَّ جنود البوليس البواسل على هذا العدوان بالدفاع المشرف وقابلوا الضرب بضرب مثله مع الفارق بين القوتين في العدد والمعدات الحربية والأسلحة ، فإن قوة البوليس لم تكن تزيد على ثمانمائة جندي بثكنات بلوكات النظام وثمانين بالمحافظة، وليس لديهم من سلاح سوى البنادق ، أما قوات الإنجليز فكانت تبلغ سبعة آلاف جندي مسلحين بالدبابات الثقيلة والمصفحات والسيارات والمدافع .

ونشبت معركة بين الطرفين دموية رهيبة ، وظلت القوات المصرية تقاوم ، ولم تتراجع ، ولم يضعف من استبسال الجنود المصريين هدم مبنى المحافظة من ضرب المدافع واشتعال النيران فيه ، واستمروا في مقاومتهم حتى نفدت ذخيرتهم،ومن ثم استسلموا للأمر الواقع .

وأحنى قائد القوة البريطانية رأسه احتراماً لهم ، وقال لضابط الاتصال بأن رجال القوات المصرية جميعاً قد دافعوا بشرف واستسلموا بشرف فحق عليه احترامهم جميعاً ضباطاً وجنوداً .

وقد سقط في ميدان الشرف في هذه المعركة من جنود البوليس خمسون شهيداً،وأصيب منهم نحو ثمانين جريحاً . وقدرت القيادة البريطانية خسائر الإنجليز بثلاثة عشر من القتلى ، و١٢ جريحاً ، والراجح أنهم حوالي عشرين قتيلاً وثلاثين جريحاً .[1]

وتخليدا لهذه الذكرى التي أدمت قلب مصر فقد تقرر أن يكون يوم ٢٥ يناير من كل عام عيداً للشرطة إحياء لذكرى الدماء التي جرت من أجل مصر وللرجال اللذين رفضوا تسليم سلاحهم الوطني وقاتلوا حتى آخر طلقة معهم .

وعن هذه الذكرى يقول جمال عبد الناصر: " إننا كنَّا نرقب دائماً أيام القتال كيف كان يكافح رجال البوليس العزل من السلاح رجال الإمبراطورية البريطانية المسلحين بأقوى الأسلحة وكيف صمدوا ودافعوا عن شرفهم وشرف الوطن ، كنَّا نرقب كل هذا وكنَّا نحس في نفس الوقت أن الوطن الذي يوجد فية هذا الفداء وتوجد فيه هذه التضحية لابد أن يمضى قدماً إلى الأمام .. لابد أن ينتصر .. "

والعجيب أن العسكر الذين حكموا مصر بعد ثورة يوليو قد حوَّلوا أجهزة الشرطة من أجهزة وطنية تدافع عن المواطنين ضد أعداء الوطن إلى أداة قمع وإرهاب لكل وطني صاحب رأي ، ولكل معارض لسياسة النظام الحاكم ، ولكل مظاهرة سلمية تطالب بالعيش والحرية والكرامة الإنسانية ؛ مما جعل الداعين لثورة ٢٥ يناير يختارون عيد الشرطة موعداً لانطلاق ثورتهم ضد نظام الدولة الفاسد المستبد وأجهزة الشرطة القمعية .

***

(1) عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " مرجع سابق ص ١٠١ – ١٠٣ بتصرف .

حريق القاهرة المقدمات والنتائج

في مساء يوم الجمعة ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ نشرت وزارة الداخلية عن طريق دار الإذاعة أنباء مجزرة الإسماعيلية التي حدثت في ذلك اليوم ، وتوالت منذ استفاضة أنباء مجزرة الإسماعيلية بأن يوم السبت سيكون يوماً عبوساً قمطريراً ففي الساعة السادسة من صباح ٢٦ يناير تمرد جنود بلوكات نظام الأقاليم في ثكنتهم بالعباسية ، وامتنعوا عن القيام بما كلفوا به من الذهاب إلى الجهات المخصصة لهم لحفظ الأمن بالعاصمة وخرجوا من ثكناهم حاملين أسلحتهم في مظاهرة صاخبة يتصايحون بالسخط على ما أصاب زملاءهم في الإسماعيلية طالبين السلاح للقتال وساروا بجموعهم من العباسية إلى الأزهر إلى ميدان العتبة الخضراء ومنه إلى ميدان الإسماعيلية (التحرير) فالجيزة واتجهوا إلى جامعة فؤاد (جامعة القاهرة) وكانت الساعة قد بلغت التاسعة صباحاً ، وهناك اختلطوا بالطلبة ، وتبادلوا وإياهم شعور السخط والهياج وسار الجميع في موكب المظاهرة إلى العاصمة يطوفون بالشوارع صائحين صاخبين .

ومنذ الساعة التاسعة صباحاً أخذت مظاهرات عدة تتدفق على ميدان عابدين ومنه إلى رياسة مجلس الوزراء وقد التقت هذه المظاهرات بمظاهرة جنود بلوكات النظام وطلبة جامعة فؤاد ووصل الجميع تباعاً إلى دار رياسة مجلس الوزراء وكان ذلك حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف . وفي فناء هذه الدار أطل على المتظاهرين وزير الشئون الاجتماعية عبد الفتاح حسن وألقى فيهم خطبة حماسية جارى فيها شعورهم .

ثم تركت هذه الجموع دار الرياسة وانسابت في قلب العاصمة صائحة منادية بحمل السلاح والسفر إلى القنال لمحاربة الإنجليز،وكانت أنباء هذه المظاهرات وتحركاتها تبلّغ في حينها إلى وزارة الداخلية ولكنها لم تخرج لتفضها .[1]

وكيف تقوم وزارة الداخلية بفض المظاهرات التي ما قامت إلا لتندد بما فعله الإنجليز بجنود البوليس التابعين لوزارة الداخلية !

لكن المظاهرات أخذت بعد ذلك منحى أخر فلم يكتف المتظاهرون بالصياح والهياج بل شرعوا يهاجمون المحال والمنشآت الإنجليزية وهذا ما لم تكن تتوقعه وزارة الداخلية .

فقد قام بعض عناصر الشغب المندسة بين المتظاهرين بإضرام النار في كازينو أوبرا ، وللأسف انتشرت عدوى إشعال الحرائق وإتلاف الممتلكات العامة والخاصة أو نهبها بين المتظاهرين فتوالت حوادث إشعال النار والإتلاف والنهب فيما بين الظهر والمغرب فاجتاحت شوارع وميادين بأكملها .

بلغ عدد المحلات والمنشآت التي أصابها الحريق والدمار نيفاً وسبعمائة معظمها مملوكة للأجانب ، وبعضها مملوكة لمصريين وكلها تقع في أجمل وأكبر أحياء العاصمة . وبلغ عدد القتلى في هذا اليوم ٢٦ شخصاً منهم ١٣ في بنك باركليز وتسعة في التورف كلوب وواحد أمام بنك باركليز واثنان أمام محل عمر أفندي وواحد توفي أثناء حريق أحد المتاجر بشارع شريف ، وبلغ عدد من أصيبوا بحروق أو كسور أو جروح ٥٥٢ شخصاً .

وترتب على حوادث الحريق أن تشرد الموظفون والعمال المصريون في المحلات والمتاجر والمنشآت التي نكبت بالحريق وبلغ عددهم بضعة آلاف يعولون نحو عشرين ألفاً نسمة .

---

(1) عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " مرجع سابق ص ١٢١ - ١٢٣ بتصرف .

وبالجملة فإن القاهرة نكبت هذا اليوم في عمرانها ، بما لم تنكب بمثله في تاريخها الزاهر .[1]

المسئول عن حريق القاهرة

من العرض السابق للأحداث يتبين لنا جليّاً أن هذا الحادث لم يكن مدبراً سلفاً من جهة معينة إنما جاء نتيجة عدة عوامل تضافرت معاً لتصنعه.

يقول حسنين هيكل " أنا مش معتقد لغاية هذه اللحظة أن عملية حريق القاهرة بدأت بتدبير مقصود على هذا النحو لكن أنا أعتقد إنه كان ركام وعود كبريت قرّب من الركام والدنيا ولعت، لكنه أظن إنه العفوي فيه ابتدأ ثم دخل الجزء المنظم ." [2]

ويقول محمد نجيب : " نزل الجيش ، وتمكن بصعوبة من إخماد الحرائق وتفريق المتظاهرين ، ولكنه لم يتمكن من معرفة : من حرق القاهرة ؟ وحتى الآن لا أعتقد أن أحداً قد عرف الإجابة . لقد كان هناك من يعتقد أن حريق القاهرة مثل حريق " بوجوتا " عاصمة كولومبيا ، تم بتدبير الشيوعيين ، وكان هناك من يعتقد أنها مؤامرة بريطانية ، وكان هناك من يعتقد أنها مؤامرة وفدية ، ولا يزال آخرون يعتقدون أنها مؤامرة من القصر " [3]

---

(1) عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " مرجع سابق ص ١٢٦ ، ١٢٧ بتصرف .
(2) محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " الجزيرة نت ، تاريخ الحلقة ٢٠٠٦/١/١٢ .
(3) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ٩٤.

العوامل التي تسببت في حريق القاهرة:

لقد تضافرت عدة عوامل أدت إلى حريق القاهرة ذلك الحادث ذو التـأثير البالغ في تاريخ مصر من أهم هذه العوامل هي:

١- لا شك أن أول هذه العوامل هو الاحتلال الإنجليزي إذ أن وجوده يدعو إلى إثارة السخط في النفوس ، هذا إلى جانب أن فظائع الإنجليز في القنال وخاصة مجزرة الإسماعيلية التي وقعت في اليوم السابق لحريق القاهرة قد هاجت الشعور العدائي ضد البريطانيين وأوصله إلى درجة الغليان وفقدان الـوعي والاتـزان فانصرف إلى الحريق كمظهر للحنق والغضب اللاشعوري وتفاقم شعور العداء فشمل الأجانب عامة ، فاستهدفت محالهم للحريق والنهب والتدمير وإلى هنـا تقف مسئولية الاحتلال الإنجليزي .[1]

٢- العامل الثاني يتمثل في حكومة الوفد التي شجعت في البداية المتظاهرين علـى الاستمرار في التظاهر عن طريق الخطبة الحماسية لوزير الشئون الاجتماعيـة عبد الفتاح حسن ، فقد كانت ترى أن التظاهر ضد ما فعله الإنجليز أقل مـا يفعل كرد فعل على مجزرة الإسماعيلية حتى لا تتكرر ثانية ، وحتى تضغط على الإنجليز للعودة للمفاوضات وإنجاز الجلاء . وقد ظنـت أن تراخيهـا أمـام المظاهرات الشعبية وإطلاق العنان لها مما يوطـد مركزهـا في الحكـم ، وفي الانتخابات إذ يكسبها عطف الرأي العام الثائر ضـد الإنجليـز وممارسـاته المستفزة ، لذا لم تستجب لنصح مدير الأمن بعـدم اسـتئناف الدراسـة في المدارس والكليات في صبيحة هذا اليوم .[2]

---

(١) عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " مرجع سابق ص ١٢٧ .
(٢) نفسه ص ١٢٨ .

ولم تكن حكومة الوفد تُقَدِّر ما ستفعله هذه المظاهرات العشوائية غير الموجَّهة،ولو كانت تعرف ما ستفعله لأسرعت بطلب إنزال الجيش ظهراً لحفظ النظام بدلاً من تأخير نزوله إلى ما قبل المغرب بعدما كانت العاصمة قد احترقت ، وما كانت حكومة الوفد تقدِّر أن ضغطها على الإنجليز لإنجاز الجلاء سيتخذه الإنجليز ذريعة لإجبار الملك على إقالة الوزارة .

٣- العامل الثالث يتمثل في رجال البوليس الذين أبدوا تهاوناً جسيماً في أداء واجبهم لدرجة أن بعضهم وقف جامداً وهو يشاهد حوادث الحريق بل حوادث السلب والنهب .

وقد يكون مبعث ذلك إحساسهم بالسخط والمرارة من تعرض زملائهم في الإسماعيلية للذبح والتقتيل ، ولكن هذا الإحساس ما كان يجوز أن يطغى على الشعور بالواجب ، وهو أول مميزات رجل الأمن والنظام . (١)

٤- العامل الرابع : هو الملك فاروق فبرغم حالة الاحتقان التي كانت تعم البلاد من جراء المذابح التي ترتكبها القوات الإنجليزية خاصة مذبحة الإسماعيلية فإنه دعا - في اليوم التالي للمذبحة - ضباط الجيش والبوليس لحضور مأدبة غداء ابتهاجاً بمولد حضرة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد فؤاد ولي العهد ، وكان الواجب على الملك أن يلغي هذه المأدبة عندما بلغته أنباء مجزرة الإسماعيلية ليبادل الشعب شعوره بالحداد على الشهداء الذين سفكت دماؤهم في هذه المجزرة ،كما كان واجباً عليه بدلاً من الاحتفال بمولد ولي العهد أن يسعى لإيجاد حل لتمادي الإنجليز في طغيانهم فيضغط على الإنجليز

(١) نفسه ص ١٢٩.

لوقف أعمال العنف ضد المدنيين والبوليس ، والعودة إلى المفاوضات ، وكانت حكومة الوفد وسائر الشعب سوف تؤيده وتقف بجانبه وتدعو له ولولي عهده بدوام الصحة وطول العمر والبقاء في الحكم ، لكن الملك كان يخشى الإنجليز أكثر من خشيته لثورة الشعب ومعارضة حكومة الوفد ؛ فحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ كان ماثلاً أمام عينيه دائماً ذاك الحادث الذي علمه أن أمر استمراره في الجلوس على العرش بيد الإنجليز لا الشعب.

فلا عجب إذن أن يسترضي الإنجليز وإن سخط الشعب . فها هو يقيم احتفالاً كبيراً في اليوم التالي لمذبحة الإسماعيلية التي أثارت الشعب ، وكان قد عين عبد الفتاح عمرو سفير مصر في إنجلترا مستشاراً له للسياسة الخارجية – وهو المعروف بميوله الإنجليزية – بعد سحب الحكومة له احتجاجاً على هدم القوات الإنجليزية لكفر أحمد عبده !

٥- والعامل الخامس والأخير يرجع إلى قادة المظاهرات من المثقفين والمتعلمين الذين كان عليهم توجيه المتظاهرين إلى عدم الاعتداء على المنشآت والمدنيين حتى تحقق المظاهرة غايتها ولا تتحول عن طريقها الوطني الشريف إلى التدمير والتخريب الذي يطيح بالوطنية والأخلاق .

ومما سبق يتبن لنا جليّاً أن جميع من اتُهم بتدبير هذا الحادث برءاء منه فالإنجليز لن يدبروا حريقاً يستهدف حرق المنشآت الإنجليزية وقتل المواطنين الإنجليز ! وكان في القاهرة وحدها حوالي سبعة عشر ألف أجنبي معظمهم من الإنجليز ." وقُدرت أرواح الأجانب الباقين في القاهرة في العاصمة المصرية بحوالي سبعة عشر ألف . "[1]

([1]) محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " الجزيرة نت ، تاريخ الحلقة ٢٠٠٦/١/١٢ .

وكذلك الملك لم يدبر هذا الحادث – كما ادعى الوفد بعد ذلك – وإن كان استغل حريق القاهرة في الإطاحة بحكومة الوفد بضغط من الإنجليز ؛ إذ ليس من مصلحة الملك إشاعة الفوضى في البلاد وتدمير العاصمة التي يعيش فيها فقد كانت الحرائق متاخمة لقصر عابدين الذي أقام فيه الملك الاحتفال ، ومن المعروف أن الملك فاروق كان جباناً . ولقد ذعر ذعراً شديداً عقب وقوع الحريق ، وفكر في الهرب من البلاد .[1]

كذلك لم تقدم حكومة الوفد على ارتكاب هذه الجريمة ؛ فهي المسئولة عن الأمن والنظام اللذين بفقدهما تفقد بقاءها في الحكم وهو ما حدث بالفعل " وبعد طرد النحاس والقبض على سراج الدين لم يكن لدى الحكومة (حكومة ثورة يوليو) أي وثائق تدين الرجل ، أو الوفد . " [2]

ولقد ثبت بعد اندلاع الحرائق أن فؤاد سراج الدين (وزير الداخلية) قد حاول الاتصال بحيدر باشا (القائد العام) تليفونياً ليصدر أوامره بنزول قوات الجيش ، ولكن حيدر باشا لم يغادر مقعده على مائدة غداء الملك ، مما دفع فؤاد سراج الدين إلى مغادرة مكتبه بوزارة الداخلية والذهاب بنفسه إلى قصر عابدين ، ومع ذلك ظل ينتظر حتى الساعة الثالثة إلا الربع مساءً حتى حضر له حيدر وحافظ عفيفي (رئيس الديوان) ثم ذهبا معاً لمقابلة الملك وعادا فأبلغاه موافقة الملك على نزول ضباط الجيش ، وقد نصحهم الفريق عثمان المهدي (رئيس أركان حرب الجيش) قبل نزولهم بتفادي الشوارع المزدحمة بالمظاهرات ، وحتى الخامسة مساءً لم تتحرك قوات الجيش ، وعندما وصلت بعد ذلك إلى حديقة الأزبكية

---

(1) أنور السادات " أسرار الثورة المصرية " مرجع سابق ص ٢٤٢

(2) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ٩٤

أخذت موقفاً سلبيّاً من الذين يحرقون القاهرة بدعوى أنه لا توجد عندهم أوامر كتابية بإطلاق الرصاص ومع الغروب كان كل شيء قد انتهى ، احترقت القاهرة وباتت فيها عصابات اللصوص والمخربين تسرق وتنهب . (١)

ولم يكن هناك تفسير لتأخير القصر عن استجابة طلب فؤاد سراج الدين بنزول الجيش لخمد الثورة غير شكوك وهواجس ساورت الملك وعدداً من رجاله والدواعي ملتبسة بالشك وسوء الظن :

١- وربما أنه لم يكن لديهم صورة كاملة للموقف في العاصمة .
٢- وربما أن الملك كان مازال يظن أن وزير الداخلية " عنده لعبة يلعبها " .
٣- وربما أن الملك "فاروق" كان راغباً في إحراج وزير الداخلية والوزارة إلى أقصى مدى وبما يسمح له بحرية التصرف .
٤- وربما – وهو احتمال وارد – أنه لم تكن تحت تصرف قيادة المنطقة المركزية للجيش قوات كافية – جاهزة .
٥- وربما – وهو افتراض لا يمكن استبعاده بالكامل – أن القيادة العسكرية لم تكن واثقة من رد فعل الجيش إذا نزل إلى شوارع العاصمة وفيها بقايا المظاهرات وشراذم السلب والنهب – وقد لاح الغروب ولعلعت ألسنة النار وظهر وهجها مع نزول الظلام ! (٢)

والعجيب أن هذا الحادث كان سبباً في القضاء على كل من تسبب فيه ، فقد كان حريق القاهرة من أكبر أسباب التعجيل بقيام ثورة ٢٣ يوليو التي أطاحت بالملك والإنجليز والأحزاب والمثقفين جميعاً.

---

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٧٠، ١٧١ .
(٢) محمد حسنين هيكل " سقوط نظام " مرجع سابق ص ٤٣٠ .

كما أن حريق القاهرة قد قرَّب واشنطن وأبعد لندن على حد تعبير حسنين هيكل ففي مساء ذلك اليوم الذي احترقت فيه القاهرة وقع تطور سياسي بالغ الأهمية لم يخطط له أحد لكن حقائق الأشياء فرضته على سياق الحوادث ودخلت به إلى المجرى الرئيسي للتطورات ففي مساء ذلك اليوم قرر الملك فاروق إقالة وزارة الوفد ، وكان الملك في أعماقه يحس أنه لا يستطيع التصرف حتى في الشأن الداخلي – على الأقل منذ ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وحتى الآن ٢٦ يناير ١٩٥٢ – إلا بموافقة الحكومة البريطانية أو الاستئناس برأيها . لكن هذه الليلة طلب استدعاء السفير الأمريكي " كافري ".

درس في كيفية التعبير عن الغضب:

إن كثيراً من القنوات الفضائية غير المسئولة ، والصحفيين المغامرين ، ومنظمات حقوق إنسان المشبوهة ، يستغلون حرية الصحافة والتعبير في إثارة الجماهير ، وشحن نفوسهم لمصلحة أجندات خاصة ، ومصالح شخصية بدلاً من العمل على توعيتهم وتنويرهم ، مما يترتب عليه انتشار السخط وعدم الرضا بين فئات الشعب الأمر الذي يولد المظاهرات التي لا تخلو من تخريب وفوضى وتدمير . فثقافة المظاهرات السلمية ما زالت قاصرة على الشعوب المتقدمة فقط فما من مظاهرة اندلعت إلا واكبها التخريب والتدمير . وثورة ٢٥ يناير تكاد تكون الاستثناء الوحيد ،كما أن المظاهرات عندنا يغلب عليها الانفعال لا التعقل لذا يسهل توجيهها إلى أغراض أخرى غير التي خرجت من أجله .

موقف الجيش مما يجري:

لما قام الكفاح في القنال في أكتوبر سنة ١٩٥١ بعد إلغاء المعاهدة ، لم يشترك الجيش في المعركة لأن الظروف لم تكن مواتية لاشتراكه فيها ، ولكن بعض

ضباط الجيش ساهموا سرّاً بتدريب الفدائيين على حرب العصابات وإمدادهم بالسلاح والذخيرة والمفرقعات وبالمساهمة الشخصية فيها . [1]

وبعد حريق القاهرة فإن الجيش هو الذي أعاد الأمن والنظام ، وأوقف الحريق والنهب والفوضى وشاهد الضباط الأحرار مبلغ ما جرَّه انحدار الحكم وفساده على البلاد من كوارث وويلات ، وأي كارثة أكبر من شبوب الحرائق التي كادت تدمر عاصمة البلاد ورمز حضارتها .

ومن هنا سارعوا الخطى في إعلان الثورة وقدموا موعدها عما كانوا يعتزمون من قبل . [2]

***

(1) عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " مرجع سابق ص ١١٤ .
(2) نفسه ص ١٣١.

انتخابات نادي الضباط

واصل الملك تصرفاته الحمقاء فبعد إثارة الشعب ضده بفضائحه (نساء ، وقمار ، ولهو) راح يثير ضباط الجيش ضده فقد عين أحد رجاله في الجيش – اللواء حسين سري عامر – مديراً لسلاح الحدود بدلاً من اللواء محمد نجيب الذي نقل إلى المشاة ، وكان نجيب شخصية محترمة ومحبوبة ومثقفة فهو حاصل على ليسانس الحقوق وعلى ماجستير ، وخريج كلية أركان حرب.

أما حسين سري عامر فقد كان وجوده عاراً على الجيش المصري كله ؛ فقد ارتبط اسمه أكثر من مرة بتهريب المخدرات وبيع الأراضي بالطرق غير المشروعة ، واتهم بشراء الأسلحة المتخلفة من الحرب العالمية الثانية في الصحراء الغربية وبيعها للجيش المصري بأسعار خرافية بخلاف اتهامات أخرى مثل : سرقة ونهب أموال البدو، ومصوغات نسائهم ، ومثل جرائم الرشوة والتزوير .

وكان الملك يشترك شخصياً في مثل هذه العمليات ، خاصة عمليات بيع السلاح ، وفي عام ١٩٥٠ شكلت لجنة تحقيق في الانحرافات والمخالفات التي ارتكبت داخل الحدود ، ووصلت إلى ٦٠٠ جريمة كان أغلبها من فعل حسين سري عامر ، وانتهى التحقيق بإدانته ، وعندما رفع محمد نجيب نتيجة التحقيق إلى إسماعيل شيرين تمهيداً لرفعها على الملك ، قال : الملك لن يفعل له أي شيء لأن حسين سري صديقه ، وأنت ستكسب عداوته وعداوة الآخرين بلا طائل . فقلتُ له : أنا أصر على رفع التقرير للملك . وفعلاً رفع التقرير للملك . لكن الملك

بدلاً من أن يعاقب حسين سري عامر على جرائمه طلب مني (الكلام لمحمد نجيب) أن يرقى ترقية استثنائية . ورفضت . فصعّد الملك الموقف ، فأمر بترقيته استثنائياً مديرا للسلاح بدلاً مني فقررت الاستقالة ، وكتبتها فعلاً . [1]

أرأيتم إلى أي مدى وصل الفساد داخل الجيش ؟ وإلى أي مدى كان فاروق يحمي المفسدين ؟ وإلى أي مدى كان الضباط الأحرار محقون فيما عزموا عليه من تطهير الجيش من الفساد والمفسدين ؟

يقول خالد محيي الدين : " وفي تلك الأيام زار عبد الحكيم عامر وعبد الناصر اللواء محمد نجيب فوجداه في حالة سخط بسبب نقله المفاجئ إلى المشاة ، وأبلغهما أنه اعتزم الاستقالة من الجيش ، وأقنعاه بأن هذه الاستقالة سوف تبعث السرور في قلب الملك وطلبا منه الاستمرار ، وأن يحاول رد الصفعة إلى الملك بترشيح نفسه لرئاسة نادي الضباط وهكذا ، وعلى خلاف ما يزعم البعض ، بدأت علاقتنا بنجيب وعرف بوجودنا منذ وقت مبكر . والحقيقة أن صاحب فكرة ترشيح نجيب لرئاسة مجلس نادي الضباط كان رشاد مهنا ، وقد عرضها علينا أثناء اجتماع لجنة القاهرة بمنزل مجدي حسنين ورحبنا بها أشد ترحيب وبناء على ذلك توجه عبد الناصر وعامر لمقابلته . " [2]

وخاض الضباط الأحرار معركة انتخابات النادي بقائمة تضم بعض الضباط الأحرار وعدداً آخر من الضباط العاديين وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب .

وفاز محمد نجيب ، وفازت قائمته ووقف محمد نجيب في مواجهة الملك كرمز لرفض الجيش للأوضاع السائدة وللفساد الذي يعم البلاد .

---

(1) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ٨٧.
(2) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ١٠٩.

والحقيقة أن الضباط الأحرار قد أكدوا وجودهم القيادي في صفوف الجيش عبر انتخابات نادي الضباط وخرجوا من هذه المعركة وهم الأكثر جماهيرية والأكثر احتراماً والأكثر مهابة في الجيش .

يقول محمد نجيب : " كانت انتخابات نادري الضباط هي الخطوة الفعالة في طريق ثورة يوليو ، وكانت أول تحدي علني لتنظيمنا السري ، وكانت الكلمة الأولى في ملحمة ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. فقبل انتخابات النادي كانت اللجنة التنفيذية لتنظيم الضباط الأحرار تعتقد أنه ليس من الممكن القيام بالثورة قبل عام ١٩٥٥ لقد غيرت الانتخابات عقولنا وأحسسنا بقوتنا ، وأكدت لنا مدى ضعف الملك ونظامه . " (١)

***

(١) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص١٠١ .

أسباب نجاح تنظيم الضباط الأحرار

لم يكن تنظيم الضباط الأحرار هو التنظيم الوحيد في داخل الجيش وخارجه فقد دفعت أحوال البلاد السيئة كثيراً من المخلصين من أبناء الوطن إلى تكوين تنظيمات سرية بهدف تخليص البلاد من المتسببين في شقائه ، وكانت وسائل هذه التنظيمات للوصول لهدفهم هذا تتمثل في اغتيال بعض الخونة والمفسدين ، أو كتابة منشورات تحريضية ضدهم ، أو تنظيم مظاهرات ، أو تدمير بعض المنشآت .

لكن هذه التنظيمات إذا استثنينا جماعة الإخوان المسلمين كانت قليلة العدد والعدة لا تملك الرؤية الشاملة – وإن حسنت نواياها – للإصلاح ، فهي وإن آمنت ببعض مبادئ الإصلاح فإنها لا تملك وسائل تحقيقها .

والحقيقة بعد حل جماعة الإخوان المسلمين واعتقال قادتها ، واغتيال الشيخ حسن البنا زعيمها ، لم يعد هناك تنظيم قوي يعوَّل عليه في تغيير النظام القائم الذي لم يعد هناك أمل في إصلاحه .

التنظيم الوحيد الذي يمكن أن يعوَّل عليه فعل شيء لهذا الوطن كان تنظيم الضباط الأحرار فقد كان يملك بعض الأفكار الإصلاحية التي تتمثل في إصلاح الجيش وتطهيره من عناصر الفساد والمفسدين وإقامة جيش وطني قوي ، والقضاء على الاستعمار وأعوانه الخونة في وادي النيل . وكان التنظيم يملك تحقيق هذه الأفكار الإصلاحية بما لديه من تواجد قوي بين القوات المسلحة تمكنه من فرض رأيه ، واختيار من يمثله ، كما تمكنه من إمكانية القيام بانقلاب عسكري إذا اضطرتهم الظروف إلى ذلك وكان وراء نجاح هذا التنظيم عدة عوامل أهمها :

السبب الأول: حسن اختيار أعضاء التنظيم وخاصة أعضاء اللجنة التأسيسية الذين تكوَّن منهم مجلس قيادة الثورة بعد ذلك . فيقول الشيخ أحمد حسن الباقوري الذي عايشهم عن قرب حيث عين وزيراً للأوقاف في حكومة محمد نجيب : (٧ سبتمبر ١٩٥٢) " أن أؤكد للتاريخ أن كل أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا مجموعة قلَّ أن يوجد ما يفضلها من خيرة الرجال عبر التاريخ ".[١]

وإن كان في كلام الشيخ الباقوري مبالغة كبيرة لكنه يعبر عن صدق وطنية هؤلاء الرجال ، وإخلاصهم في عملهم .

ولا يخالف هذا الرأي في الضباط الأحرار إلا من ناله أذى منهم بعد نجاح الثورة فمحمد نجيب بعد أن نسب لنفسه تسمية تنظيم عبد الناصر بـ " تنظيم الضباط الأحرار " يقول : " وأنا أعتذر عن هذه التسمية ؛ لأنها لم تكن اسماً على مسمى فهؤلاء لم يكونوا أحراراً وإنما كانوا أشراراً ، وكان أغلبهم كما اكتشفت فيما بعد من المنحرفين أخلاقياً واجتماعياً ، ولأنهم كذلك كانوا في حاجة إلى قائد كبير ليس في الرتبة فقط وإنما في الأخلاق أيضاً حتى يتواروا وراءه ، ويتحركوا من خلاله، وكنت أنا هذا الرجل للأسف الشديد . لا أريد أن أبدو غاضباً أو ساخطاً أو منفعلاً بسبب ما حدث لي على أيديهم ، بعد الثورة فهذه انفعالات ذابت مع السنين ، وتلاشت مع الشيخوخة ، التي تجعل الإنسان معلقاً بين الموت والحياة ، بين السماء والأرض ، بين الوجود والعدم ". [٢]

---

(١) نعم الباز " ثائر تحت العمامة " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٠٥.
(٢) محمد نجيب " كنت رئيساً لمصر " مرجع سابق ص ٩١ . ٩٢.

والحقيقة أن محمد نجيب يحكم على هؤلاء بأثر رجعي بعد أن أسكرت بعضهم خمر السلطة إنما في تلك الفترة كان هؤلاء الضباط من خيرة الشباب المصري الوطني الشريف الذي يسعى جاهداً لخدمة هذا الوطن بكل ما يملك .

يقول عبد الرحمن الرافعي عن هؤلاء الضباط : " رجال ذوو عقيدة وإيمان، متفاهمون متقاربون ، وكلهم من بيئة واحدة ، وأفكار مشتركة ، يدينون بمبادئ وطنية واحدة ، وقد استمروا في اتحادهم وتضامنهم ، لم تفرق بينهم الأحداث والنزعات الشخصية ، ولم يقع بينهم انقسام أو انشقاق مثل الذي حدث في الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ ، أو ثورة سنة ١٩١٩ . وبقيت كتلتهم سليمة . وتغلبت على العقبات التي اعترضت طريقهم الشاق الطويل . حتى إن الذين انفصلوا منهم لم يسعوا في تأسيس هيئة أخرى مناوئة لهيئتهم الأولى . كما فعل أعضاء الوفد سنة ١٩٢١ وما تلاها . بل ظلوا رغم انفصالهم موالين ومؤيدين لزملائهم السابقين العاملين أو الساكتين لا يفكرون في خروج أو انشقاق ، وكان هذا ولا ريب من أسباب نجاح الثورة .

وثمة ميزة أخرى وهي أنهم لم يكونوا من قبل أعضاء في حزب سياسي فساروا في الثورة سيرة قومية ، ولم يتأثروا بالأهواء الحزبية أو العصبية ، وكان ذلك من سداد الرأي وعلامات التوفيق . " [١]

ونحن إن كنا نتفق مع الرافعي في انطباق هذه السمات على الضباط الأحرار قبل الانقلاب فإننا نختلف معه بعد ذلك . فبعد فترة وجيزة من نجاح الانقلاب ، وتحقيق إنجازات عظيمة للوطن كطرد الملك وإلغاء الملكية وتحديد الملكية الزراعية

---

(١) عبد الرحمن الرافعي " ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ " مرجع سابق ص ٤.

وبناء المدارس والتأكيد على مجانية التعليم ، والبدء في الإصلاح في شتى المجالات بدأ أعضاء مجلس قيادة الثورة في التنافس على السلطة والدس والوقيعة والمؤامرات كما سنرى بعد ذلك ، أما عدم وجود انقلابات فقد نجح عبد الحكيم عامر في إحباط ١٨ انقلاباً،كما قام عامر نفسه (حسب الرؤية الناصرية) بمحاولة الانقلاب على نظام عبد الناصر بعد هزيمة ٦٧ وتنحيته عن قيادة الجيش ، ولكن يجب أن نأخذ في الاعتبار أن الرافعي الذي انتقد جميع الأوضاع قبل الثورة وخاصة حزب الوفد [١] دون أن يمسه سوء فإن الوضع بعد ثورة يوليو قد اختلف تماماً وحرية الرأي التي كان ينعم بها قضي عليها ، لذا فلا عجب أن السنوات السبع التي أرَّخ فيها للثورة تكاد تخلو من نقد واحد للثورة ولجمال عبد الناصر لدرجة أنه امتدح الضباط الأحرار أنهم ليس لهم ماض سياسي حزبي وكأن الأحزاب كانت سُبَّة نزَّه الضباط عنها رغم أنه كان أحد زعماء الحزب الوطني ، وطالما انتقد الوزراء غير الحزبيين وأسماهم الموظفين . [٢]

شتان بين ما كتبه الرافعي قبل الثورة وما كتبه بعدها لقد كانت كتاباته ثائرة ناقدة لدرجة أن محمد نجيب أخبره – عندما ذهب الرافعي مهنئاً له بنجاح الثورة– بأن كتبه كانت الأساس للحركة التي قام بها الجيش وأنها ذخيرة وطنية للأمة .

يقول الرافعي " قابلت القائد العام في القاهرة مع الأستاذ فكري أباظة وكررنا التهنئة بانتصار الثورة ، وشكرته على قرار الثورة بالإفراج عن كتابي

---

(١) كان الرافعي من زعماء الحزب الوطني المنافس للوفد حزب الأغلبية لذا فقد كان الرافعي دائم النقد لسياسة الوفد وزعمائه بحق وبغير حق لدرجة أنه اعترض على قرار الوفد بجعل التعليم الثانوي بالمجان ؛ فالمنافسة بين الحزب الوطني والوفد كانت شديدة .

(٢) راجع " مقدمات ثورة يوليو " لعبد الرحمن الرافعي مرجع سابق .

"الزعيم أحمد عرابي" وقال لي إن كتبي كانت الأساس للحركة التي قام بها الجيش وأنها ذخيرة وطنية للأمة . "[1]

وعن الروح التي كانت تسود هؤلاء الضباط يقول السادات : " أرجع الفضل في نجاح هذه الثورة وعدم انكشاف أمر مدبريها والممهدين لها ، إلى شيء أهم كثيراً من المبادئ التي قامت عليها ، وقامت من أجلها ، إلى الصداقة العزيزة الوثيقة التي ربطت بين كل من شارك فيها صغيراً كان أم كبيراً .

وهل كان يمكن ، لولا هذه الصداقة أن يزيد عدد الضباط الأحرار قبيل الثورة على الألف ضابط ، فلا يوجد بينهم خائن ولا وجل ولا ثرثار ؟!

وهل كان يمكن لولا هذه الصداقة أن تقوم الثورة فعلاً وتنجح فلا يعرف من الأحرار إلا هذا العدد الضئيل الذي ألزمته ظروف الثورة أن يظهر بوجهه على مسرح الأحداث وأن يتحمل بنفسه مسئوليات العمل الكبير ؟!

إنها الصداقة فقط ، الصداقة التي استطاعت أن تحوط مبادئ الثورة بسياجها المتين ، وأن تحمي النفوس من نزواتها لأنها احتلت من كل قلب منزل الأطماع . وبهذا الدستور دستور الصداقة بدأ التكوين الفعلي للأحرار . "[2]

السبب الثاني في نجاح حركة الضباط الأحرار يكمن في شخصية جمال عبد الناصر التي فرضت على كل الضباط الأحرار احترامها وتقديرها ، والثقة فيها ، ولم يكن جمال عبد الناصر يمتلك شخصية كاريزمية فحسب بل كان شعلة نشاط يتواجد في كل مكان يتطلبه التنظيم التواجد فيه ، فلا يوجد اجتماع يخص التنظيم

([1]) عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة يوليو " مرجع سابق ص ٥ .

([2]) أنور السادات " أسرار الثورة المصرية " مرجع السابق ص ١٨٢ ، ١٨٣.

إلا كان عبد الناصر أول أعضائه ، ولا يوجد مناقشة حول التنظيم إلا كان له رأياً معتبراً فيها ؛ فلا عجب أن ينتخبه أعضاء لجنة القيادة ثلاث مرات بالإجماع رئيساً عليهم أعوام ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢.

يقول محسن عبد الخالق معللاً اختيار الضباط الأحرار لعبد الناصر رئيساً للجنة القيادة : " عبد الناصر كان قبل الثورة رجلاً ودوداً منصتاً طيباً ولهذا اخترناه . " (١)

ويصفه السادات في " إسرار الثورة المصرية " فيقول : " كان جمال يطوي نفسه على كثير من الآلام الشخصية آلام يذكرها منذ توفيت والدته وهو صغير، فأثرت وفاتها في حياته تأثيراً كبيراً ، لعل من أظهره شدة الحياء التي طبعت حياته حتى اليوم ، وكان إلى حيائه وهدوئه يمثل الشخصية الكاملة لأبناء الصعيد فهو يكيف الحياة بمثله الصعيدية الخاصة ، فتجده وديعاً رقيقاً مليء الصدر بالحنين ، إذا لمست نفسه لمسة عاطفية قد لا تحرك أحداً من الناس ، لكنه ينقلب أسداً هصوراً في اللحظة التي يشعر فيها بأن أحداً فكر مجرد تفكير في الاعتداء عليه ، كان هذا الصديق بيننا صورة للإخاء والصداقة والاتزان والهدوء والكرامة فكان لهذا كله يستأثر باحترامنا جميعا فكأنه في سكونه وهدوئه وطابعه الخاص معنى مجسم حي لكل المعاني والانفعالات التي يمكن استخلاصها من تفاعل العواطف الإنسانية المتضاربة في إنسان قست عليه الحياة ". (٢)

أما ثروت عكاشة فيقول عن جمال عبد الناصر : " كان جمال عبد الناصر الداعي الأول إلى هذا التنظيم ومن هنا أسلمنا له القيادة ، وأُشهد الله أننا ما عهدنا

---

(١) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو " مرجع سابق ص ٤٢.
(٢) أنور السادات " أسرار الثورة المصرية " مرجع سابق ص ٣٣.

فيه إلا نزاهة مسرفة فيما يفعل ويأتي ، وتضحية من أجل الغير ، وإنسانية فيَّاضة ، وحرصاً على إغاثة كل من تنزل به نازلة مادية كانت أم معنوية ، وبـذلاً لجهـده وماله ووقته في سبيل قضية مصر التي كانت شغلنا الشاغل فـضلاً عـن حنكتـه السياسية ودرايته العسكرية ، وتجرده المثالي . كانت هذه الصفات التي طُبع عليها هي التي أهَّلته لأن يقود وأن يسوس وأن يكون موضع تقدير وإعزاز . "[1]

السبب الثالث ، هو جماعية القرار فلم يكن هناك قرار مهـم إلا وتنـاقش الضباط فيه مناقشة حرة يدلي فيها كل بدلوه لا حجر فيها على رأي ولا مـصادرة فيه لفكرة وهذا في رأيي أهم ما ميز تنظيم الضباط الأحرار فقد قام على الشورى داخل لجنة القيادة.

عن الحسن قال : " ما تشاور قوم قط بينهم إلا هـداهم الله لأفـضل مـا يحضرهم " وفي لفظ " إلا عزم الله لهم بالرشد أو بالذي ينفع " فعلى الرغم من أن جمال عبد الناصر قد انتخب بالإجماع لرئاسة التنظيم فإنه لم يجـنح إلى الاسـتبداد برأيه دون بقية أعضاء مجلس القيادة ، والحقيقة أن تمسك جميـع أعـضاء مجلـس القيادة بمبدأ الشورى قد حدَّ من نزعة جمال عبد الناصر إلى الزعامة ، والاسـتئثار بالرأي ، ونضرب لذلك مثالاً معروفاً:

عندما كتب حسين سري عامر مقالاً حاول التهوين فيه من شـأن تنظـيم الضباط الأحرار ثار جمال عبد الناصر على هذا المقال ثورة عارمة . وقرر أن يـردَّ على حسين عامر بقوة ليحفظ للأحرار مكانتهم ومهابتهم ومن خلف ظهر "لجنـة القيادة " اتفق هو وحسن إبراهيم وحسن التهامي وكمال رفعت علـى اغتيـال

(1) ثروت عكاشة " مذكراتي في السياسة والثقافة " مرجع سابق ج ١ ص ٥٢.

حسين سري عامر ، وأطلقوا عليه الرصاص وفشلت المحاولة . وثار بعض ضباط لجنة القيادة ثورة عارمة على عبد الناصر لاستبداده بالرأي وانفراده باتخاذ قرار خطير كهذا.

يقول خالد محيي الدين : " عبد الناصر بدأ يكرس ، بالأمر الواقع ، رئاسته للضباط الأحرار وعندما قام بمحاولة اغتيال حسين سري دون التشاور معنا ثار صلاح سالم وكذلك بغدادي . والحقيقة أن صلاح سالم كان غير راض عن الوضع المتميز لعبد الناصر في الحركة ، وكان يتساءل : لماذا جمال دون غيره ؟ وانتهز فرصة قيام عبد الناصر بمحاولة الاغتيال دون عرضه على لجنة القيادة ليفجر الموضوع بصورة عنيفة ، وتفجر الاجتماع في مواجهة غاضبة كان أطرافها جمال وصلاح وبغدادي.

وخرج صلاح ليقابل ثروت عكاشة ليشكو له من أن جمال يفرض رئاسته على لجنة القيادة وأنه يظن نفسه كل شيء ويحاول أن يعطي لنفسه قدراً أكبر منا جميعاً، وأنه لن يحضر الجلسات وثار صلاح في واحدة من ثوراته المعروفة وشتم جمال أمام ثروت ، بل وأبلغ ثروت بأسماء لجنة القيادة وقال إن أكثرهم يتبعون جمال فيما يقول ، وأبلغه في نهاية الأمر أنه سيستقيل من اللجنة إذا لم يحصل على وضع مساوٍ لوضع جمال بحيث يكون له أن يعرف كل أسماء الضباط الأحرار مثل جمال عبد الناصر.

وحكى لي ثروت كل ما قاله صلاح سالم فأخذته إلى جمال وحكينا له ما حدث وطلبنا منه إيجاد تسوية مقبولة حفاظاً على التنظيم واصطحبت جمال معي إلى بيت صلاح سالم وحتى الفجر استمرت المناقشات التي انتهت بصلح ظاهري بين جمال وصلاح . " (١)

---

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ١١١

من هذه الحادثة يتبين لنا أن مبدأ الشورى وجماعية القرار تَحِدُّ من نوازع النفس إلى الاستبداد وتقود إلى أرشد الآراء وسوف نرى بعد ذلك أن جميع الإنجازات التي حققتها الثورة كانت نتيجة لتحقق مبدأ الشورى في اتخاذ القرار فلم يكن قرار ليسري إلا إذا وافق عليه أعضاء مجلس قيادة الثورة وصدَّق عليه الرئيس محمد نجيب ، وأن جميع النكسات التي منيت بها الثورة كانت نتيجة لحل مجلس قيادة الثورة ، واستئثار جمال عبد الناصر بالحكم واتخاذ القرار.

نقول هذا حتى نصحح الفكرة التي روَّج لها بعض الكتاب الناصريين الذين ينسبوا كل الفضل لجمال عبد الناصر الذي قام بكل أدوار البطولة منذ تأسيس التنظيم وحتى نجاح الثورة أما بقية الضباط الأحرار فلم يكن دورهم يزيد عن دور الكومبارس الذي ينفذ تعليمات المخرج فقط!

السبب الرابع في نجاح حركة الضباط الأحرار هو محمد نجيب فعلى الرغم من أن محمد النجيب لم يكن يشارك في اجتماعات لجنة القيادة لدواعي أمنية فإن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم كانا على اتصال دائم به والتشاور معه في كل خطوة خاصة بعد أن اختير قائداً للتنظيم في يناير ١٩٥٢ كذلك فإن كثيراً ممن انضموا للتنظيم كان أكبر حافز لهم للانضمام للتنظيم وجود نجيب على رأسه .

السبب الخامس ، منشورات الضباط الأحرار تلك التي روجت للتنظيم ، وعرفت الناس به.

أما السبب السادس ، فهو انتخابات نادي الضباط والنجاح الساحق الذي حققه محمد نجيب مرشح الضباط الأحرار.

كل هذه العوامل تضافرت لتجعل من التنظيم قوة لا يستهان بها تهدد النظام الحكام.

***

قيام ثورة يوليو

الأسباب المباشرة لقيام الثورة

١- كانت النية معقودة لدى لجنة قيادة تنظيم الضباط الأحرار على القيام بالثورة عام ١٩٥٥ [1] وقد قدرت هذه المدة على أساس مرور ست سنوات على تشكيل تنظيم الضباط الأحرار لتكون الفرصة قد تهيأت لاستكمال بنائه فإن عملية إنشاء تنظيم سري بالجيش تمتد خلاياه إلى مختلف الأسلحة والوحدات لم تكن أمراً هيناً في وجود أجهزة متعددة للأمن مثل المخابرات الحربية ، والبوليس السياسي ، وأجهزة الملك الخاصة بالأمن كما أن أجهزة المخابرات البريطانية والأمريكية لم تكف عن نشاطها في تلك الآونة بحثاً عن الضباط الأحرار .

٢- عقب حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ اتجه تفكير لجنة قيادة التنظيم إلى التعجيل بموعد الثورة ليأتي مبكراً ثلاث سنوات عن ميعاده ، واختير شهر نوفمبر ١٩٥٣ موعداً للقيام بالانقلاب العسكري . [2]

وعن سبب اختيار شهر نوفمبر لقيام الانقلاب يقول جمال حماد : " يوم ٢٦ يناير أيقظنا أنه لازم نعجل بالثورة ، كانت الثورة ميعادها ١٣ نوفمبر ١٩٥٢، ليه ١٣ نوفمبر ١٩٥٢ ؟ لأن نجيب الهلالي كان حل البرلمان ، البرلمان لما يتحل لا يحله إلا مجلس النواب فقط، مجلس الشيوخ لا يحل،

---

[1] صرح بهذا جمال عبد الناصر لمراسل الصانداي تايمز يوم ١٩٦٢/٦/١٨ : " كنت أعلم أن عدم قيامنا بأية محاولة كبرى للاستيلاء على السلطة قبل أن نستعد تماماً أمر حيوى بالنسبة لنا، وكان فى نيتى أن نحاول القيام بثورتنا في سنة ١٩٥٥ ، لكن الحوادث أملت علينا قرار القيام بالثورة قبل ذلك بكثير. "

[2] اللواء جمال حماد " ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ " مطابع روزا اليوسف ص ٢٣٤ ، ٢٣٥.

فمجلس النواب كان منحلاً وكان طبقاً للدستور لازم لما يجي ١٣ نوفمبر لازم يكون فيه مجلس نواب ينعقد فإن لم ينعقد لأنه ما اتعملتش انتخابات المجلس القديم المنحل ينعقد، فكان يعني الهدف من أنه إحنا حنعمل ١٣ نوفمبر نعمل علشان بنؤيد الشعب في الدستور أنه إحنا بنطبق قواعد الدستور وهو أن لازم البرلمان يجي لأنه طبعاً الملك مش حيدعو للبرلمان، إحنا بقى بنعمل هذه الثورة عليه علشان هو ضد الدستور .(١)

٣- أجبرت حالة الفوضى والتخبط التي سادت في تلك الفترة التي أعقبت حريق القاهرة ، وحتى قيام الانقلاب العسكري الذي قام به الضباط الأحرار والتي لم تتجاوز ستة أشهر الملك فاروق إلى تشكيل أربع وزارات كان رؤساؤها جميعاً من المستقلين غير المنتمين إلى أحزاب .

فقد أقيلت حكومة الوفد بعد حريق القاهرة ، وأسندت الوزارة إلى علي ماهر باشا في ٢٧ يناير، ولم تبق وزارته في الحكم سوى ٣٣ يوماً فقط خلفتها حكومة نجيب الهلالي الأولى في أول مارس إلى ٢ يوليو ، ثم حكومة حسين سري باشا من ٢ يوليو إلى ٢٢ يوليو، ٢٠ يوماً فقط ، وأثناء تكوين الهلالي باشا لحكومته الثانية قامت الثورة وهذا يدل على مدى التخبط الذي وصلت إليه الأحوال السياسية في مصر ، أربع وزارات في نحو ستة أشهر .

وكانت جميع هذه الوزارات من المستقلين وليس من وزارات أحزاب الأقلية كما كانت عادة فاروق من قبل ويرجع السبب في ذلك أن أحزاب الأقلية كتبوا عريضة هاجموا فيها الملك لذا قرر ألا يستعين بهم في تشكيل أي وزارة بعد ذلك أبداً.

---

(١) جمال حماد برنامج " شاهد على العصر " الجزيرة نت بتاريخ ١٧ / ١١ / ٢٠٠٨ .

وعن هذه الوزارات يقول عبد الرحمن الرافعي : " من ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ إلى يوليه سنة ١٩٥٢ تعاقبت على البلاد وزارات من المستقلين يصح أن تسمى " وزارات الموظفين " فرؤساؤها لا علاقة لهم بالأحزاب ، وكانوا أصلاً من كبار الموظفين ، وأعضاؤها – في الجملة – من الموظفين لا من رجال السياسة.

هذه الوزارات قد فُرِضَت على البلاد فرضاً ؛ لأن البلاد كانت تريد وزراء لهم برامج سياسية معروفة أو ماض في الجهاد تعرف منه صلة صاحبه بميول الشعب، وما ينشده من أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية.

كان الشعب يريد وزراء تتجاوب آراؤهم ومناهجهم مع حاجات الشعب ومطالبه ، لا موظفين كل ماضيهم أنهم ينفذون أوامر رؤسائهم على اختلاف اتجاهاتهم ، وعلى تناقضها في أغلب الشئون .

إن قيام وزارات من الموظفين معناه عودة الحكم المطلق في نوع من أنواعه ؛ لأن هؤلاء الموظفين إذا تولوا الوزارة لا يجدون من أنفسهم الحرية في أن يناقشوا رئيس الوزراء الذي اختارهم ؛ فهم مع كونهم قد صاروا وزراء لا يزال طابعهم أنهم موظفون لدى رئيس الوزراء يأتمرون بأمره ويتحسسون اتجاهاته ، فيسايرونها وينفذونها ، وهذا النظام ينطوي على عودة الحكم المطلق – كما أسلفنا – وفيه تحطيم للحياة السياسية في البلاد ؛ لأن الحياة السياسية لا تنهض بوزارات من الموظفين ، بل تنهض بوزارات تنبعث من الشعب ومن اتجاهاته العامة ، ويساهم فيها الموظفون مشكورين ، أما أن يكون الموظفون هم الذين تكون بأيديهم مصاير القضية الوطنية ، ومصاير البلاد ، وخاصة في الظروف العصيبة التي كانت تمر بها ، فهذا رجوع إلى الوراء ونكسة في الحياة القومية ، ودفع بالمواطنين عامة إلى الابتعاد

عن الحياة السياسية لكي يصلوا إلى الوزارة ، وبالتالي إلى دعم الحكـــم المطلـــق في شكل من أشكاله .

حتما إن الحياة السياسية تحتاج إلى إصلاح وتقويم ، ولكنها لا تـــصلح ولا تقوم بإعدامها وتحطيمها ." [1]

وعلى ذكر كلام الرافعي عن وجوب اختيار الوزراء من الأحزاب لأن لهـــا برامج سياسية معروفة فماذا عن البرنامج السياسي الذي كان يتبناه تنظيم الضباط الأحرار.

الحقيقة أنه لم يكن للضباط الأحرار برنامج عمل منظم أو أهـــداف محـــددة يسعون لتحقيقها إلا القضاء على الاستعمار وأعوانـــه ، وتطهـــير الجـــيش مـــن المفسدين، وإنشاء جيش قوي [2] بعكس الأحـــزاب الـــسياسية ، والجماعـــات والتنظيمات الأيديولوجية التي كان لكل منها برنامج سياسي محدد تسعى لتحقيقه.

وفي ذلك يقول حسنين هيكل : " إن واجب الإنصاف للحقيقة وللتـــاريخ يقتضي التسليم بأن جمال عبد الناصر لم يكن لديه حين قامت الثورة غير مـــضمون الشعار الذي لم يكن يردد غيره في تلك الأيام ، وهو شعار " العزة والكرامة " ومن التجني على الحقيقة وعلى التاريخ أن يزعم أحد أن جمال عبد الناصر كان لديه في

---

(١) عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " مرجع سابق ص ١٣٧ ، ١٣٨.

(٢) من الشائعات التي راجت بعد نجاح حركة الضباط الأحرار و صدقها الناس أن الثورة كان لها أهداف ستة قامت لتحقيقها وهي :

١- القضاء على الاستعمار وأعوانه . ٢- القضاء على الإقطاع . ٣ - القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم . ٤- إنشاء جيش وطني قوي. ٥- إقامة عدالة اجتماعية شاملة . ٦- إقامة حياة ديمقراطية سليمة . وأول مرة تظهر فيه هذه الأهداف الستة كانت في خطاب لجمال عبد الناصر يوم ١٨ أبريل ١٩٥٥م .

هذه الظروف برنامج كامل أو شبه كامل للعمل الوطني يشتمل على تغييرات اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية محددة . "(1)

يقول فاروق جويدة بعد طول بحث في ملفات ثورة يوليو : " رغم كثافة الظلال وغياب الأدلة ، واختلاف الرأي إلا أننا نستطيع أن نضع بين أيدينا بعض الملامح الأساسية التي حملتها أيام الثورة الأولى.

أول هذه الملامح ، أن الثورة لم تكن تحمل أفكاراً واضحة من البداية فلم تكن هناك قضايا واضحة ترسَّخت في عقول الضباط الأحرار ، ولم يكن ذلك أمراً هيناً على شباب في بداية حياتهم العسكرية ، ولعل ذلك ما يبرر أن جميع الإجراءات التي اتخذتها الثورة في مراحلها الأولى كانت مجرد ردود أفعال ، ولم يكن هناك فكر واضح في أذهان ثوار يوليو أكثر من رفضهم للواقع المصري باختلاف مستوياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كما أنهم كانوا فيما يبدو ينظرون إلى هذا الواقع من خلال مواقفهم الخاصة ، ولهذا افتقدوا تلك الأفكار المحورية التي يجتمع حولها الثوار عادة ، ولعل السبب في ذلك هو التفاوت الكبير بين مكوناتهم فكريّاً ، واجتماعيّاً ، وإنسانيّاً . "(2)

درس في أن القضاء على الحياة السياسية يؤدي إلى انهيار نظام الحكم

كان لجوء الملك فاروق إلى الاعتماد على الوزراء المستقلين وإقصاء حزب الأغلبية ، وحتى أحزاب الأقلية سبباً في انهيار الحياة السياسية في مصر وباعثاً على انحدار الحكم في البلاد ، ومن الأسباب التي أدت آخر الأمر إلى سقوط فاروق وسقوط عرشه وأسرته جميعاً . (3)

---

(1) محمد حسنين هيكل " ملفات السويس " طبعة دار الشروق ص ١٧٢.
(2) فاروق جويدة " من يكتب تاريخ ثورة يوليو " مرجع سابق ٨٧ ، ٨٨ .
(3) عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " مرجع سابق ص ١٣٩.

ويرى حسنين هيكل أن هناك ثلاث حقائق تُوَصِّف الحالة السياسية في مصر قبل الثورة الحقيقة الأولى : أن كافة القوى السياسية المُعْتَرف بها شرعيّاً أو رسميّاً فقدت ما كان لها من فاعلية ، والدليل أن الملك أقال حكومة الوفد وسط إجماع شبه عام ، على أن تلك الوزارة فشلت في أدائها ، وانهمك وزراؤها في حروبهم الأهلية، وتسابقوا – فيما عدا قلة بينهم – إلى مستوى من فساد الذمم غير مسبوق ، ثم إنها في المجال الوطني خلطت بين اعتبارات البقاء في الحكم واعتبارات الإخلاص للمبدأ وذلك أوصلها في النهاية إلى مأساة الإسماعيلية ، وكارثة حريق العاصمة ، ثم إن بقايا تلك الحكومة أصيبت بهلع تجلى في سابقة ليس لها مثيل ، وهي أن مجلس النواب الوفدي مَنَحَ ثقته لوزارة علي ماهر ووافق لها على استمرار العمل بقانون الطوارئ لمدة ثلاثة شهور قابلة للتجديد ، وجرى ذلك بعد طرد وزارة تمثل الأغلبية ، وزاد أن النحاس اتصل بعد الإقالة برئيس الوزراء المُعَيَّن يهنئه ويؤيده وكذلك فعل فؤاد سراج الدين .

وكان حال أحزاب الأقلية (وهي حزب السعديين – والأحرار الدستوريين – والحزب والوطني – والكتلة) أشد تردياً إلى درجة أن أحداً لم يخطر على باله أن تلك الأحزاب صالحة لأداء دور رئيسي أو مساعد !

ترافق ذلك مع حقيقة أن كل القوى السياسية غير المُعْتَرف لها بالشرعية مثل: الشيوعيين ، والإخوان المسلمين ، ومصر الفتاة أو الحزب الاشتراكي ، وغيرها لم تمثل وقتها منفردة أو مجتمعة بديلاً أو شبه بديل يمكن تجربته فهذه القوى لم تكن لديها رؤى أو برامج تصلح أساساً لسياسات ، وما كان لديها لا يزيد على شعارات عامة محرضة على الغضب ، عاجزة بعده – أي أنها كافية لسيناريو الفوضى وليست مؤهلة لسيناريو الإنقاذ .

والحقيقة الثالثة : — وذلك ما توصلت إليه الدول الأجنبية — أنه إذا كانت القوى السياسية المُعْترف بشريعتها في حالة إفلاس — وأنه إذا كانت القوى السياسية غير المعترف بشرعيتها غير قادرة إلا على التحريض ثم الهرب من نتائجه، إذن فإن سيناريو الفوضى هو أرجح الاحتمالات ما لم ينجح الملك في ضمان جيشه، إخلاصا وكفاءة ! [١]

وتجاهل هيكل — متعمداً — سعي أمريكا التي يعترف بأنها أزاحت انجلترا — سياسيّاً — بعد حريق العاصمة إلى الاتصال بتنظيمات الجيش التي كان أبرزها تنظيم الضباط الأحرار . [٢]

***

(١) محمد حسنين هيكل " سقوط نظام " مرجع سابق ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .
(٢) لمزيد من التفصيل حول علاقة أمريكا بعبد الناصر راجع كتابنا " أمريكا وعبد الناصر ، من التحالف إلى العداء " دار غريب .

حل مجلس إدارة نادي الضباط والتعجيل بقيام الثورة

عجَّل الملك بإشعال المعركة بينه وبين الضباط الأحرار مبكرة أربعة أشهر عن موعدها فقد أصدر الفريق محمد حيدر القائد العام للقوات المسلحة – إرضاءً للملك – قراراً بحل مجلس إدارة نادي الضباط في ١٦ يوليو ١٩٥٢.

وبادرت لجنة القيادة للدعوة للاجتماع للنظر فيما استجد من أمور وعن هذا الاجتماع يقول خالد محيي الدين : " في مساء ١٧ يوليو اتصل بي حسن إبراهيم تليفونيّاً قائلاً : تعالى فوراً وفهمت أن هناك اجتماعاً طارئاً للجنة القيادة ، وبالفعل كانت اللجنة مجتمعة فيما عدا السادات وصلاح سالم ، وفوجئت بخبر حل مجلس إدارة نادي الضباط ، وأن محمد نجيب معرض للاعتقال والطرد من الخدمة ، وساد صمت مرير وحزين قطعه صوت عبد الحكيم عامر قائلاً : لقد وجَّه لنا الملك صفعة شديدة ، وما لم نرد عليه بصفعة مماثلة فإن تنظيمنا سيفقد ثقة الضباط ولن يقبل أحد الانضمام إلينا ، خاصة وأن أخباراً تسربت إلينا بأن هناك قراراً باعتقال أي ضابط يعارض قرار حل النادي .

خُيِّل إلينا أن الخيارات أمامنا محدودة : فإما أن نفعل شيئاً وفوراً ، يكون ردّاً كافياً على صفعة الملك لنا ، وإما أن نتقهقر بما يعني من احتمال ذبول حركتنا، واحتمال اعتقالنا.

وتقدم عبد الناصر باقتراح مؤداه أن نقوم بسلسلة اغتيالات تستهدف هزَّ أركان النظام ، واقترح أن نغتال حسين سري عامر ، وحسين فريد ، وحيدر باشا،

وحسن حشمت (قائد القوة المدرعة الذي كان رأس الرمح في الهجوم علينا في مجلس إدارة النادي ، وأحد قادة الجيش المشهورين بولائهم للسراي).

واتفقنا أن يجهز كل منا مجموعته للبدء في التنفيذ ، واتفقنا على أن نجتمع في الغد بمنزلي ، وفي اليوم التالي اجتمعنا في بيتي ، وجاء جمال سالم باقتراح أن نغتال الملك ، ورفضنا جميعاً لصعوبة التنفيذ ، فحتى لو نجحنا فإن الأمير محمد علي سيتولى الحكم بصفته وصيّاً على الملك الطفل ، وسوف يبدأ في حملة إرهاب ضدنا.

وتحدثت أنا وقلت إنني فكرت طوال الليل في موضوع الاغتيالات ووجدت فيها عيوباً كثيرة منها أننا نفتح باب العنف المتبادل ، ومنها احتمال اعتقال عدد كبير منا سواء أثناء التنفيذ أو بعده ، ومع الإرهاب سوف تضعف حركتنا وتعجز عن تحقيق مهامها الأساسية .

وتحدث عبد الناصر قائلاً : الآن أنا اقتنعت بعدم جدوى الاغتيالات ، وأنا لديَّ مشروع آخر هو أن نسيطر على القوات المسلحة ، ومن خلال السيطرة على القوات المسلحة نملي شروطنا.

وأحب هنا أن أحدد أن الفكرة كانت السيطرة على القوات المسلحة ، وليس على السلطة ، ففكرة استيلائنا على السلطة لم تكن واردة بعد.

وحدد عبد الناصر الهدف بالسيطرة على المنطقة العسكرية ، وبعدها نقدم طلباتنا ووافقنا على الخطة . " [1]

وعن هذا الاجتماع يقول حمروش : " تراجعت فكرة الاغتيالات بعد وضوح صعوبة تنفيذها بصورة جماعية ، واحتمال القيام بحملة اعتقالات واسعة بعد

---

(1) خالد محي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ١٢٥ ، ١٢٦.

تنفيذ الاغتيالات .. ونبتت فكرة الانقلاب ، وأخذت تنمو مع المناقشة ، بدأت بالتفكير في الاستيلاء على قيادة القوات المسلحة دون الإذاعة أو غيرها ، ثم تطورت حتى أصبحت حركة واسعة وانقلاباً عسكريّاً حقيقيّاً . وكُلِّف زكريا محيي الدين بوضع خطة الانقلاب . "[1]

وهكذا جاء التفكير في الانقلاب العسكري للاستيلاء على الجيش ثم التقدم بالطلبات التي لم تكن تزيد عن إصلاح أحوال الجيش ، ومحاربة الفساد ، وإجلاء الإنجليز ، وإقامة الدستور لضمان حياة سياسية سليمة.

وبعد يومين من اجتماع لجنة القيادة عُقد اجتماع آخر يوم ١٩ يوليو لمناقشة كيفية الإعداد للانقلاب وتحديد الموعد.

يقول خالد محيي الدين : " وعقدنا اجتماع لجنة القيادة وقدم كل منا تقريره، وبعد مناقشات مطولة حددنا موعداً مبدئياً للحركة يوم ٢ أو ٣ أغسطس. وكان هذا هو الموعد الثاني ، أما لماذا اخترنا هذا الموعد فلأننا كنا نخشى من أية تداعيات أو فشل ، وبالتالي يكون الضباط والجنود قد قبضوا مرتباتهم وتركوها لأسرهم ، كذلك اخترنا هذا الموعد لتكون بقية الكتيبة الأولى مدافع ماكينة قد وصلت من العريش ، كانت طلائع هذه الكتيبة قد وصلت بالفعل إلى الهايكستب تحت قيادة البكباشي يوسف صديق ، هذه الكتيبة تتميز بأنها تمتلك قوة نيران كبيرة ، فقد كان لديها ٤٨ مدفعاً رشاشاً في كفاءة عالية يطلق ١٠٠٠ طلقة في الدقيقة.

---

(1) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " مرجع سابق ج١ ص ١٩٣.

وعلى موعد الثاني أو الثالث من أغسطس انتهى اجتماعنا ، وبدأنا جميعاً في تحرك واسع بين الضباط استعداداً للعمل الذي عشنا من أجله طويلاً ، وعملنا من أجله كثيراً . " [١]

درس في الشورى والعمل الجماعي:

إن الدرس الخطير الذي يجب أن نتعلمه من هـذه الاجتماعات هو أن الشورى أمر ضروري لاتخاذ قرار صحيح خاصة إذا كان القرار يتعلق بالوطن ويترتب عليه تغيير في نظام الحكم . لقد فكر ضباط لجنة القيادة في موضوع حل نادي الضباط ، واقترح عامر وجوب اتخاذ قرار حاسم يرد للضباط هيبتهم ، ويقترح عبد الناصر فكرة الاغتيالات ، ويعترض خالد محيي الدين ويقتنع عبد الناصر بعدم جدوى هذه الفكرة فيعدل عنها إلى فكرة الانقلاب العسكري وتتطور الفكرة بالنقاش الحر إلى وجوب السيطرة على الجيش وهنا يوافق الجميع على هذا الاقتراح ، ويسعى للإعداد لتحقيقه ، ويكلف زكريا محيي الدين بإعداد خطة الانقلاب.

إن أخطر القرارات التي اتخذها تنظيم الضباط الأحرار تمّ في هذا الجو الديمقراطي الحر فلا حَجْر على رأي ، ولا إصرار على خطأ ، والاستفادة من كفاءة كل فرد ، فليس هناك مصلحة إلا مصلحة الوطن فقط.

كذلك فإن العمل الجماعي هو الذي كان مسيطراً على الضباط الأحرار فكل عضو من لجنة القيادة كان مسئولاً عن مجموعة من الضباط في سلاحه يناقش معهم القرارات التي اقترحت في لجنة القيادة ويستطلع رأيهم ، ويحدد لهم دور كل واحد في التنظيم لذا جاءت القرارات في معظمها مدروسة لا عجلة فيها ولا مجازفة.

---

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ١٢٧ .

التعجيل بالانقلاب العسكري:

مضى يوم ١٩ يوليو ولجنة القيادة تحسب كل حساباتها على أوائل شهر أغسطس ولكن حدثت واقعتان غيرتا مجريات الأمور وعجلت ببدء تنفيذ الانقلاب.

الواقعة الأولى : هي لقاء سري تم بين محمد نجيب ووزير الداخلية محمد هاشم في يوم ١٨ يوليو وعن هذا اللقاء يقول محمد نجيب : " أنا الذي حددت موعد الثورة ٢٣ يوليو ، ولم أوافق على تأجيله إلى ٥ أغسطس كما اقترح عبد الناصر بعد أن تمت مقابلة سرية بيني وبين الدكتور محمد هاشم وزير الداخلية ورفضت منصب وزير الحربية الذي عرضه عليَّ وفهمت في هذه المقابلة أن الملك أصبح يعلم بنشاط الضباط المعارضين له في الجيش وأنه على وشك توجيه ضربة قاضية لهم ، وهذا يفسر ما قاله الملك وأنا أودعه على ظهر الباخرة المحروسة وهو يغادر مصر : أنتم اتغديتم بيَّه قبل ما أتعشَّى بيكم ". [1]

ويؤكد محمد نجيب في مذكراته على هذا اللقاء الحاسم فيقول : " وخلال حديثي مع محمد هاشم باشا قال لي : إن هناك قائمة من ١٢ شخصاً عرفت الجهات المسئولة أسماء ثمانية منهم، قالها الرجل بطريقة عابرة ، ولم يصرح بأكثر من ذلك. وحاولت قدر استطاعتي أن أبدو متماسكاً أمامه وكأن الأمر لا يعنيني ، وفي الطريق من الزمالك إلى بيتي في الحلمية ، أدركت أن الموقف خطير جداً.

وفي صباح اليوم التالي فوجئت بحضور جلال ندا الضابط السابق ، والذي كان يعمل محرراً عسكريّاً بدار أخبار اليوم ، ومعه محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة وقتئذ لسؤالي عما دار في مقابلتي مع محمد هاشم باشا وزير الداخلية ، ودهشت لتسرب الخبر إليها .. قبل ظهر ذلك اليوم حضر إلى بيتي جمال عبد

---

(١) سعيد أبو العينين " صفحات مجهولة يرويها حلمي سلام " مجلة آخر ساعة ص ٥٧ .

الناصر وعبد الحكيم عامر .. ووضح من حركاهما أهما يريدان أن يُسرَّا إليَّ بشيء ما ؛ فتركت هيكل وندا في الصالون وأخذهما إلى حجرة الطعام . وفي حجرة الطعام قالا : إننا وإخواننا نرغب في تقديم العملية إلى ٤ أو ٥ أغسطس لسببين : الأول اكتمال وصول الكتيبة ١٤ مشاة القاهرة ، والثاني هو أن يكون الضباط قد قبضوا مرتباهم في أول الشهر.

ورفضت السببين وقلت لهما : القوات التي معنا كافية لإنجاح مهمتنا ، وليس هناك مبرر لانتظار المرتبات ؛ فالثوار لا ينبغي أن ينظروا إلى الماديات ، ويضحوا بأسبوعين في سبيل الحصول على مرتب شهر ، لقد أصبح معروفاً أسماء ٨ من الضباط ولن يمضي أكثر من أسبوع حتى يكونوا في السجن ، وهناك ١٣ زنزانة جاهزة ، فيجب القيام بالحركة في أسرع وقت ، بعد يومين أو ثلاثة على الأكثر.

واقتنعا بما قلته . واتفقنا على أن تكون ساعة صفر الانقلاب ليلة ٢١ – ٢٢ يوليو واتفقنا على أن يعودا لي بعد الاتصال بزملائهما ليؤكدا الموعد ، اليوم أو الغد . (١)

ويؤكد حسنين هيكل وجود قائمة مكتوبة بأسماء الضباط الأحرار فيقول : "هذه التحركات بقيت سرّاً تقريباً إلى يوم ٢٠ عُرف من انتخابات نادي الضباط وعُرف من بعض التحريات أسماء بعض الضباط كثيري النشاط وبقي عند حسين سري عامر قائمة فعلاً أنا شفتها فيما بعد فيها اسم جمال عبد الناصر بالتحديد،

(١) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ١٠٩.

فيها اسم زكريا محيي الدين بالتحديد، فيها اسم صلاح سالم بالتحديد، فيها اسم جمال سالم بالتحديد وفيها آخرين غيرهم وفيها اسم ثروت عكاشة بالتحديد ." [1]

أما الواقعة الثانية : فهي إبلاغ الصحفي أحمد أبو الفتح ثروت عكاشة أن حسين سري عامر العدو اللدود للتنظيم سيكون وزيراً للحربية.

وعن هذه الواقعة يقول ثروت عكاشة في مذكراته : " في يوم ٢٠ يوليه كنت قد دعوت الأخ حسين الشافعي إلى تناول الغداء معي في منزلي ، وإذا بأحمد أبو الفتح يتصل بي تليفونيّاً من الإسكندرية لينهي إليَّ .. أن الملك طلب تعيين حسين سري عامر وزيراً للحربية .. وأن النيَّة تشريد أربعة عشر من الضباط يزج بهم في السجون ، ونصح إليَّ رمزاً بأن لا بد من تحرك سريع وإلا حاق بالضباط الأحرار ما لا يتوقعون .. ونزلت لتوي وحسين الشافعي قاصدين منزل جمال عبد الناصر فوجدنا فيه نفراً من إخواننا الضباط كما هي العادة ، فاختلينا به لأنهي له ما أفضى به إليَّ أحمد أبو الفتح ، وحين سألني جمال عن رأيي قلت له لا معدى عن أن يكون الغد موعدنا للقيام بالحركة فأبدى اقتناعه على الفور بوجهة نظري . " [2]

وعقد اجتماع للجنة القيادة يوم ٢٠ يوليو وفي هذا الاجتماع حكى جمال عبد الناصر ما قاله له اللواء محمد نجيب عن قصة قائمة الاثنى عشر ضابطاً، ثم حكى حكاية ثروت عكاشة وأحمد أبو الفتح.

وتطابقت الروايتان وعززت كل منهما الأخرى، فتولي حسين سري عامر وزارة الحربية يعني الهجوم المباشر علينا وفوراً. وقررنا أن نتحرك فوراً خلال ٤٨

(١) محمد حسنين هيكل برنامج : مع هيكل " الجزيرة نت بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢.
(١) د. ثروت عكاشة " مذكراتي في السياسة والثقافة " مرجع سابق ص ٧٨، ٧٩ بتصرف يسير .

ساعة.. وتحددت ليلة ٢٢ يوليه موعداً للعملية. وأسرعنا إلى ضباطنا لنبلغهم بالاستعداد للتحرك ليلة ٢٢ يوليه، وكم دهشت إذ تفجرت مشاعرهم بحماس دافق، وروح لا تهاب المخاطر. ولكن يأتي يوم ٢١ يوليه ليبلغنا جمال عبد الناصر أنه يرى التأجيل ليلة أخرى انتظاراً لحشد قوات أكبر. وأحسست بما انتاب الضباط من فتور عندما أبلغتهم بالتأجيل، وقررت في دخيلة نفسي أن يكون هذا هو آخر تأجيل. وتحددت ليلة ٢٣ يوليه كموعد نهائي . [(١)]

وهناك رأي آخر حول تأجيل موعد قيام الانقلاب يوماً ، هو أن عبد الناصر طلب مساعدة الإخوان للانقلاب في حالة تدخل القوات الإنجليزية ، فاستمهله الإخوان حتى يعرضوا الأمر على حسن الهضيبي المرشد العام وكان موجوداً في الإسكندرية ، واستغرق إبلاغه وموافقته يوماً وهذا الذي جعل جمال عبد الناصر يؤجل الانقلاب يوماً حتى يتأكد من مساعدة الإخوان للانقلاب إذا لزم الأمر.

وعن هذه الواقعة يقول جمال حماد : " جمال عبد الناصر راح وقال لهم عاوزين مساعدة الأخوان المسلمين في حالة لو الإنجليز هجموا علينا فقالوا له نحن ما نقدرش نعدك إلا بالرجوع إلى المرشد العام حسن الهضيبي الذي كان موجوداً في الإسكندرية فراحوا له ورجعوا في اليوم اللي هو كان حدده علشان يسمع منهم الكلام ده، قالوا له ما جاءوا لسه فأخَّر يوماً ، علشان كده جاءت السيرة أن السبب هو تأجيل من ٢١ إلى ٢٢ السبب فيه كان أو نقدر نقول إنه من ضمن الأسباب لأنه كان يهمنا جداً أن الأخوان المسلمين .. لأنهم الجهة الوحيدة اللي معها سلاح، لأنهم كانوا مشتركين في الكفاح ضد الإنجليز ومنظمين وعندهم أسلحة وجماعة منظمة وتقدر أنها تقف جنبنا في صد الإنجليز في حالة يعني إذا فكروا

---

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ١٣٣ .

أنهم يجوا علشان خاطر يجهضوا الثورة. معلوماتي أن جمال عبد الناصر لم يخطر أي أحد إلا جماعة الأخوان المسلمين وأنه كون الشيوعيون عرفوا فعرفوا من أحمد حمروش مش من جمال عبد العناصر.[1]

ويقول اللواء فؤاد علام: "كان لدى جمال عبد الناصر رغبة أكيدة في الحصول على تأييد الإخوان ومناصرتهم له في سياسته ومواقفه مدفوعاً في ذلك الوقت بالحرص على تماسك الجبهة الداخلية في مواجهة أعدائه الخارجيين وقد سعى منذ اللحظة الأولى التي فكر فيها بالقيام بالثورة على حشد وتوحيد مختلف القوى السياسية المعارضة للملك في ذلك الوقت وكان أول من سعى إليهم هم الإخوان المسلمون وكان بعض الضباط الأحرار الذين ضمهم عبد الناصر للثورة أعضاء في تنظيم الإخوان في نفس الوقت منهم عبد المنعم عبد الرءوف وأبو المكارم عبد الحي الذي كان مسئول التنظيمات العسكرية بالجيش والشرطة في حركة الإخوان المسلمين." [2]

والسؤال لماذا لم يطلب الضباط الأحرار مساعدة حزب الوفد بدلاً من الإخوان على الأقل أن حزب الوفد صاحب شعبية كبيرة في البلاد كذلك صاحب شرعية فهو حزب الأغلبية بعكس الإخوان الجماعة المنحّلة والتي لا تملك أي سلطة شرعية .

والحقيقة أن الضباط الأحرار لم يَفُتْهم الاتصال بحزب الوفد ، وكانوا في معظمهم ينتمون فكريّاً لحزب الوفد ، وكان عبد الناصر له ميول وفدية قديمة . ولكن الذي حدث أن الوفد رفض التعاون مع ضباط الجيش ولم يرد على مذكرة محمد نجيب ، التي شرح فيها ما حدث للجيش في فلسطين ، وأسباب تذمر الجيش، كما رفض الوفد

---

(١) جمال حماد برنامج " شاهد على العصر " الجزيرة نت بتاريخ ١٧ / ١١ / ٢٠٠٨ .
(٢) اللواء فؤاد علام " الإخوان .. وأنا " المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ص ١١٥، ١١٦.

التعاون مع الضباط الأحرار بعد حريق القاهرة وخروجه من الحكم ويحكي لنا جمال منصور قصة الضباط الأحرار مع النحاس باشا رئيس حزب الوفد فيقول : " اتجه الرأي إلى الاتصال بحزب الأغلبية (حزب الوفد) للوقوف على استعداده للقيام بعمل ما وما هو مطلوب من الجيش لتأييد هذا العمل من أجل مصر.

وفي تلك الليلة في حديقة الأزبكية قابلت زميلي اليوزباشي محمد محمد النحاس (ابن شقيق النحاس باشا) وقلت له : إن البلد تحترق وأن الأمور تسير بسرعة فائقة ، ولا ندري إلى أين المصير فهناك القصر عدو الشعب ، وهناك الإنجليز المحتلين لأرض الوطن ، وهناك حزب الأغلبية خارج الحكم فما رأيك أن نذهب سويّاً إلى عمك مصطفى النحاس نسأله عن موقفه إزاء ما هو حادث في البلاد وما أعده من تلك الظروف . وخرجنا معنا وتوجهنا مشيّاً على الأقدام إلى منزل عمه النحاس باشا في جاردن ستي ، وكانت القاهرة غارقة في الظلام بسبب حظر التجول ، ودخلنا القصر ، وصعد محمد النحاس إلى الدور الثاني للقاء عمه ، ومرت حوالي نصف ساعة ونزل محمد النحاس ، واصطحبني إلى خارج القصر وسألته عما تمَّ مع عمه ، ولماذا لم يرسل إليَّ لمقابلة الرجل للتعرف على ما في فكره إزاء الأحداث الجارية فأجابني أن رسالة عمه إلينا نحن الضباط أن نحافظ على أمن البلاد وهذا هو المطلوب منا وأيقنت أن الوفد لم يكن قد تفاعل مع الأحداث ، وأنه ليس لديه الاستعداد للقيام بأي عمل حتى بتأييد من الجيش.

وعدت إلى زملائي في حديقة الأزبكية لأقص عليهم ما حدث وأدركنا جميعاً أن الثورة إن جاءت فلن تأت إلا على يد الضباط دون انتظار لأي عون من أي حزب حتى وإن كان حزب الأغلبية . " [1]

***

---

(1) جمال منصور " في الثورة والدبلوماسية " مرجع سابق ص ٦٣.

يوم ٢٢ يوليو

تقرر يوم ١٩ يوليو أن تتم الحركة ليلة ٢١ ، ٢٢ يوليو ، وكان الوقت محدوداً جداً لوضع الخطة ودراسة كافة الاحتمالات وحشد كل الضباط الأحرار والتأكد من سلامة الموقف وضمان حركة المناطق الخارجية عدا القاهرة وأهمها الإسكندرية والقنال والعريش .

ورغم ضيق الوقت لم يكن من سبيل للتراجع ، ولم يكن هناك مفر من الإقدام، وتبين تحت ضغط عامل السرعة أن التنفيذ في الموعد المحدد هو أمر شديد الصعوبة لتعذر تجهيز كافة الترتيبات والانتهاء من الاتصالات تقرر تأجيل الموعد يوماً واحداً ٢٢ ، ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . [١]

كان جمال عبد الناصر قد أبلغ حسن عشماوي عضو مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين ، كما ثبت من حديث له فيما بعد ، كما ذهب جمال عبد الناصر، وكمال الدين حسين صباح يوم ٢٢ يوليو، لإبلاغ صلاح أبو رقيق عضو مكتب الإرشاد أيضا واتفقا على أن يسهم بعض الإخوان في مساندة حركة الجيش بعد انتصارها في الصباح . [٢]

وفي الساعة الثانية بعد ظهر يوم ٢٢ يوليو عقدت " لجنة القيادة " اجتماعها الأخير في بيت خالد محيي الدين الذي يقول عن هذا الاجتماع : " التقينا : جمال عبد الناصر ، حسن إبراهيم ، عبد الحكيم عامر ، كمال الدين حسين ، عبد

---

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " مرجع سابق ج١ ص ١٩٤.
(٢) نفسه ص ١٩٦.

اللطيف بغدادي ، وخالد محيي الدين . وتغيب جمال سالم ، صلاح سالم ، وأنور السادات ، وحضر معنا زكريا محيي الدين وحسين الشافعي وعبد المنعم أمين وإبراهيم الطحاوي ، وكان حضورهم مبرراً ومنطقيّاً ، وإن كان جمال قد دعاهم للحضور بمبادرة منه ، فزكريا شارك في إعداد خطة التحرك ، ومن الطبيعي أن يشرحها لنا، والطحاوي كان سيقود سلاح خدمة الجيش ، والشافعي سيقود تحرك الفرسان ، وعبد المنعم سيقود تحرك المدفعية.

عندما تحدثنا عن خطة التحرك التفت بغدادي إلى زكريا محيي الدين وقال له: اقرأ الخطة. وعرض زكريا محيي الدين الخطة، وكانت الخطة بسيطة للغاية، ويمكن القول إنها اكتسبت عناصر نجاحها من بساطتها، وكانت تنقسم إلى مرحلتين:

١ - المرحلة الأولى :

السيطرة على القوات المسلحة، وتحريك بعض القوات إلى مبنى القيادة في كوبري القبة، وأن يتم اقتحامه والاستيلاء عليه، على أن يتم في الوقت نفسه، اعتقال بعض كبار ضباط الجيش والطيران، وقادة الأسلحة المختلفة، حتى نضمن عدم تحريك أية قوات عسكرية للتصدي لنا.

٢ - المرحلة الثانية :

إنزال قوات إلى الشوارع للسيطرة على عدد من المواقع المدنية : الإذاعة ، التليفونات ، قصر عابدين ... إلخ.

وكانت الخطة منطقية فأنت لا تنزل الشارع إلا بعد التأكد من السيطرة الكاملة على القوات المسلحة ، ولا تقوم بمواجهة فعلية مع رأس النظام إلا إذا تأكدت من تجاوب الجماهير معك عبر نزولك إلى الشارع.

تحدث حسين الشافعي في الاجتماع وأعلن أن سلاح الفرسان جاهز، وأن لدينا (٣٢) ضابطاً جاهزين لتحريك قواهم، وأننا نسيطر على (٤٨) دبابة و(٤٨) سيارة مدرعة، وعلى الكتيبة الميكانيكية وآلاي الخيالة: وتحدثت أنا لأقرر أن قوات الفرسان كفيلة بإنجاح الحركة، دونما حاجة لانتظار وحدات مشاة، أو انتظار وصول بقية كتيبة يوسف صديق .

وتحدث عبد الناصر عن المدفعية والمشاة، وقال إنه مسئول عن تدبير وحدات منها. وعندما انتهى الاجتماع كانت الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر، وتقرر ألا نتصل مع بعضنا تليفونيّاً.. وأن تعد كل مجموعة نفسها للتحرك. واتفقنا أن تكون كلمة السر (نصر) .

وانصرف الزملاء الأربعة : زكريا والطحاوي وعبد المنعم أمين وحسين الشافعي وتركونا لتواصل " لجنة القيادة " أخر اجتماع لها .

وأول ما فعله جمال عبد الناصر أنه عاتب بغدادي بشدة لأنه طلب من زكريا محيي الدين أن يقرأ خطة التحرك ، وقال جمال : لقد وضعت الخطة وساعدني زكريا في ذلك فلماذا يقرأها هو . أتذكر هذه الواقعة البسيطة لأوضح أن جمال كان حساساً للغاية ، حتى في الأوقات الصعبة ، إزاء مكانته كمسئول عن الحركة . "[1]

والحقيقة أن زكريا محيي الدين هو واضع خطة الانقلاب بشهادة الضباط الأحرار وشاركه فيها عبد الحكيم عامر وأضاف إليها عبد الناصر بعض الإضافات.

([1]) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ١٣٣- ١٣٥ بتصرف .

حضر أحمد حمروش من الإسكندرية بناء على طلب جمال عبد الناصر .

ونترك حمروش يحدثنا عن أهم ما تمَّ في هذا اللقاء : " التقيت بجمال عبد الناصر أمام منزله بالقاهرة حوالي الخامسة والنصف مساء يوم ٢٢ يوليو .. وفوجئت تماماً عندما أبلغني جمال عبد الناصر بأن الجيش يتحرك الليلة لفرض مطالبه على الملك ، فإذا لم يستجب لها فسينظر في أمره .

واستفسرت من جمال عبد الناصر عن طبيعة الدور الذي يمكن أن تقوم به قوات الإسكندرية فكان الجواب هو تأمين المنطقة والسيطرة عليها دون تحريك للقوات أو حدوث تناقضات بين حامية الإسكندرية وفيها الملك والحرس الملكي والوزارة وبين حامية القاهرة ."[١]

وقبل أن تتحرك أي قوة من موقعها ، وقبل الخطوة الأولى في تنفيذ خطة الضباط الأحرار كان اللواء حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش قد استدعى قادة الأسلحة والمناطق الحرة عدا اللواء محمد نجيب مدير المشاة وقتئذ لخشيتهم منه واعتقادهم أنه العنصر الرئيسي المحرك للضباط الغاضبين إلى مؤتمر في العاشرة مساء بمبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بكبري القبة .

وقد تناسق عدم استدعاء محمد نجيب إلى المؤتمر مع خطة الضباط الأحرار التي كانت تقضي ببقائه في المنزل على أهبة الاستعداد دون أية حركة قد تثير الشبهات ضده ، إلى أن تنجح الخطة فيستدعى لتولي القيادة .

---

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " مرجع سابق ج١ ص ١٩٦.

ولكن محمد نجيب علم من شقيقه علي نجيب قائد قسم القاهرة بطبيعة موعد المؤتمر ، فأسرع بتبليغ ذلك شخصيّاً إلى عبد الحكيم عامر ، ونصحه بأن يتم اعتقال القادة المؤتمرين أثناء خروجهم حقناً للدماء . [1]

وعن هذه الواقعة يقول محمد نجيب في مذكراته : "ولقد عرفت أن هناك مؤتمراً لرئيس الأركان حسين فريد الساعة العاشرة من مساء ٢٢ يوليو في مقر القيادة ، وهذه فرصة ذهبية للقبض عليهم بسهولة . وكنت قد علمت ذلك من أخي اللواء علي نجيب الذي عرفه من اللواء حسن النجار مدير المخابرات بالنيابة. واقترحت محاصرة القيادة في كوبري القبة ، مع وضع قوات موالية على بوابات الأسلحة : الفرسان ، والطيران ، والمدفعية ، مع التنبيه على الضباط أعضاء التنظيم بالموعد وبالمهام . " [2]

ويصدق خالد محيي الدين على رواية محمد نجيب فيقول : " نجح نجيب في الاتصال بعبد الحكيم عامر ليبلغه بما حصل عليه من معلومات ، وكان نجيب صاحب فكرة الإسراع باعتقال القادة المجتمعين بكبري القبة أثناء خروجهم لشل سيطرتهم وإفشال أية خطة للتحرك المعاكس . " [3]

كان الوقت متأخراً لا يسمح بتغيير الخطة بناء على معلومات محمد نجيب عن اجتماع القادة في كبري القبة . واتصل عبد الحكيم عامر بجمال عبد الناصر وأبلغه بمعلومات محمد نجيب واقتراحه ، وخرج الاثنان معاً في عربة جمال الصغيرة بأمل أن يلتقطا أي خيط من القوات التي يحركها الضباط الأحرار ليدفعاه إلى الإسراع نحو كبري القبة واعتقال الضباط الكبار قبل إفساد الخطة .

---

(1) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " مرجع سابق ج١ ص ١٩٧.

(2) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ط٢ ص ١٠٩ ، ١١٠.

(3) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ١٤٥ .

أخذ ناصر وحكيم يراقبان حركة القوات ؛ فلم يكن الاثنان مرتبطين بوحدات عاملة في القاهرة ، كانت لحظات حرجة مؤتمر للقادة في كبري القبة ، والضباط الأحرار يتسللون لوحداتهم يجهزون أسلحتهم.

سباق مع الزمن ، القادة لا يعرفون ماذا يدور في وحداتهم ، والضباط الأحرار لا يعرف معظمهم حقيقة المؤتمر ، ولا ماذا استقر أمر المجتمعين عليه. [١]

***

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " مرجع سابق ج١ ص ١٩٨.

ليلة ٢٣ يوليو

كانت ساعة الصفر لبدء التحرك الساعة الثانية عشرة ليلة ٢٣ يوليو وحدث خطأ بسيط ولكنه كان عظيم الأثر.

تصور البكباشي يوسف صديق ساعة الصفر هي الحادية عشرة مساء وليست منتصف الليل . فحرك قواته واستطاع أن يستولي على مركز قيادة الجيش وينقذ الانقلاب من الفشل ، وينقذ الضباط الأحرار من المحاكمة العسكرية.

ولنستمع إلى يوسف صديق يروي ما جرى في هذه الليلة : " أبلغني الضابط زغلول عبد الرحمن بساعة الصفر للخطة التي أطلقنا عليها اسم نصر ، ولكن يبدو أنني أخطأت في السمع فتصورتها الساعة ٢٣٠٠ (الحادية عشرة) بدلاً من ٢٤٠٠ (الثانية عشرة) ولذا أعددت القوات للتحرك مبكراً ، جمعت العساكر وخطبت فيهم قائلاً : إنكم ستفخرون بما تعملونه هذه الليلة.

وكان معي ١٣ ضابطاً في السرية إلى جانب الضباط الذين يحصلون على فرق في مدارس القاهرة واستدعيتهم ليلتها هم وثلاثة ضباط متخرجين في الكلية الحربية وكان هذا أول يوم في خدمتهم العسكرية.

تحركت القوات وأنا في مقدمتها راكباً عربة جيب وتصادف وصول اللواء عبد الرحمن مكي إلى باب المعسكر لحظة خروجنا منه فقمت باعتقاله داخل عربته ، والمسدسات موجهة إليه من عربتي ومن عربات اللوري التي تسير خلفه ، وعند مدخل مصر الجديدة قابلنا الأميرالاي عبد الرءوف عابدين قائد ثاني الفرقة الذي

اقترب من القول المتحرك سائلاً : أنتم رايحين فين ؟ ، وأجابه الملازم أول حسن شكري : طوارئ يا فندم . وسأل عابدين مستفسراً : مع مين ؟ قال له الضابط : سعادة اللواء في الأمام يا فندم .. وعندما وصل عابدين وجهت مسدسي عليه ، وأركبته مع مكي تحت الاعتقال وقد اهتزت أعصابي قليلاً لأني لم أجد أية قوة تحاصر القاهرة ، وكانت قوتي هي الوحيدة المتحركة في الشوارع متجهة إلى القيادة، وتراءى لي في هذه اللحظة ضرورة الاتصال بجمال عبد الناصر ، وكنا قد وصلنا وقتها إلى شارع السلطان حسين حيث التف الجنود حول اثنين في ملابس مدنية ، ودهشت عندما وجدهما جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر ، وقلت لهما : إيه الصدف السعيدة دي ، رايحين فين ؟

- رايحين لك .
- خير .
- السراي أخذت خبر وهناك اجتماع في رئاسة الجيش للقيام بعمل مضاد.

وقلت عفو الخاطر ودون تردد : إذن تبقى فرصة للقبض عليهم كلهم .

وتحرك القول مرة ثانية ، وأعددت خطة سريعة تقضي بالآتي :

فصيلة تقطع الطريق عند مستشفى الجيش ، وفصيلة تقطع الطريق عند كبري السيوفي ، وفصلية تقتحم الرئاسة ، ولا داعي للاحتياطي مطلقاً ؛ فقد كان معي ٦٠ جنديّاً فقط .

وعندما وقفت بعربتي نزل الجنود ووقفوا صفوفاً منتظمة فطلبت منهم الجري خطوة سريعة من يسار الطريق ، وهنا ظهر الأميرالاي أحمد سيف اليزل خليفة فاعتقلته مع مكي أيضاً ، وتركت سائقي حرساً على الضباط الثلاثة طالباً منه إطلاق الرصاص إذا بدرت منهم أية حركة .

وخلال ذلك كله كان جمال وحكيم يقفان بملابسهما المدنية في المكان الذي أقيم فيه الجامع الآن (المسجد الذي دفن فيه جمال عبد الناصر) . قمت باقتحام الرئاسة بفصيلة وتبادلنا إطلاق النار مع الحرس الذي نفدت ذخيرته سريعاً وظهر الذعر على أفراده فناديت عليهم : أرضاً سلاح ، ثم ناديت عليهم : خَلْفاً دُرْ ؛ ليكون وجههم للحائط وتركت عليهم حرس عسكري واحد بالسلاح .

وفي هذه اللحظة التي كنت مشتبكاً فيها مع الرئاسة سمعت صوت رصاص ووجدت أن الفصيلة المتجهة لكوبري السيوفي قد قابلت ٥٠ عسكريًا بوليس حربي كانت الرئاسة قد استدعتهم فأسرهم .

ووجدت أن عساكري قد قلّت جداً بعد تعيين الحراسات وتفتيش الدور الأول ، وأنا أريد الصعود إلى الدور الثاني، وفي هذه اللحظة وجدت ٢٠ عسكريًا من مركز تدريب المشاة مع صاغ حسن الدسوقي قد وصلوا في الوقت المناسب قبل الصعود للدور الثاني .

كان هناك شاويش يقاوم على السلم ونصحته بالابتعاد فلم يستجب فضربته بطلقة في رجله ومضيت إلى أعلى السلم ، وجدت غرفة رئيس أركان الحرب مغلقة وخلف بابها مقاومة فتراجعت للخلف خطوتين وانهمر الرصاص من الجنود على الباب ، واقتحمنا الغرفة فوجدت اللواء حسين فريد ، واللواء حمدي هيبة ، وضابط أحكام واقفين وهم رافعون مناديل بيضاء.

كان اللواء حسين فريد رابط الجأش وقد بادرني بقوله : ليلتك سعيدة يا يوسف.

قلت له : ليلتك سعيدة يا فندم ، أنا طلبت مقابلة سعادتك من سنة وآسف أن تكون هذه هي فرصة اللقاء .

وطلبت منه التحرك فاستجاب في احترام وشجاعة ، وسلمته لليوزباشي عبد المجيد شديد لنقله إلى المعتقل في الكلية الحربية المواجهة لمبنى القيادة ، وبعد عودتي من توصليهم حتى الباب الخارجي وجدت شاويش من البوليس الحربي الذي أسرناه، وكنت أعرفه من السودان يقول لي : أنت يا فندم ماسكنا ليه ، هو إحننا من إسرائيل ، وأفرجت عنهم وأصبحوا من قوتنا .

وجلست بعد ذلك في مكتب اللواء حسين فريد مع الصاغ حسن الدسوقي حيث عرفت لحظتها أنني خرجت مبكراً ساعة عن الموعد المحدد في الخطة ، وكنت وقتها ثائراً لأني لم أجد مخلوقاً في الطريق (من الضباط الأحرار) .

بعد الانتهاء من احتلال القيادة جاء أحد الجنود يبلغني أن هناك ضابطاً يطلب مقابلتي اسمه جمال عبد الناصر ، ودخل هو وعبد الحكيم عامر ،ثم توافد الضباط الآخرون بعد ذلك عندما بدأت تتحرك القوات والوحدات الأخرى وهكذا مضت ليلة ٢٣ يوليو. " [1]

ورواية يوسف صديق هي الرواية المعتمدة التي أكدها كل من تكلم عن ليلة ٢٣ يوليو من المؤرخين أو من شهود العيان .

وهكذا سقطت رئاسة الجيش قبل أن تصدر قراراً باعتقال الضباط الأحرار وإجهاض انقلابهم .

وفي الوقت الذي كان يوسف صديق يستولي على رئاسة الجيش كان بعض كبار القادة قد أخذ تعليمات من حسين فريد للسيطرة على القوات وإحباط أي انقلاب عسكري مزمع قيامه ولكن تمكنت قوات الضباط الأحرار من القبض على

---

(١) راجع شهادة يوسف صديق أمام أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " مرجع سابق ج٢ ص ١١٠٩-١١١١، ومذكرات يوسف صديق " أوراق يوسف صديق " مرجع سابق ص ١١٠ – ١٢١ .

هؤلاء القادة واعتقالهم وفي ذلك يقول خالد محيي الدين : " أسرع جمال وعبد الحكيم إلى مترليهما ليلبسا ملابسهما العسكرية ، وأسرع يوسف صديق ليوزع قواته لتصبح في وضع اقتحام لمبنى قيادة الجيش .. وفي هذه الأثناء كانت قواتنا الأخرى تعتقل كبار القادة الذين أسرعوا إلى معسكراتهم بأوامر من حسين فريد للسيطرة عليها .

كمال الدين حسين وأبو الفضل الجيزاوي في المدفعية اعتقلا اللواء حافظ بكري قائد المدفعية ، والبكباشي عبد الفتاح كاظم أركان حرب سلاح المدفعية ، وثروت عكاشة قبض على اللواء حشمت قائد سلاح الفرسان ، وسيطرت أنا بقواتي على قلب المنطقة العسكرية ، والمدفعية سيطرت على ألماظة ، ومجموعة أخرى من المدفعية تحركت تحت قيادة اليوزباشية فتح الله رفعت ، وكمال لطفي ، وأحمد شهيب للتعرض لمحاولة قام بها صاغ اسمه معتز حاول تحريك قوات البوليس الحربي ضدنا ، واعتقل الصاغ معتز وأحبطت حركته ، وتمت السيطرة على مقر البوليس الحربي ، كما تحركت قوات مشاة بقيادة شمس بدران من أساس المشاة المسيطرة على مقر قسم القاهرة الذي يقوده اللواء علي نجيب ، وقام مجدي حسنين في سلاح خدمة الجيش بإرسال سيارات بترين للوحدات المتحركة ، والأهم من هذا أنه أوقف أية إمدادات لأية قوة معادية .

وهكذا تأتي الساعة الثانية بعد منتصف الليل لتجد كل المنطقة العسكرية من ألماظة إلى الهايكستب إلى العباسية تحت سيطرتنا ، ولتجدنا أيضاً وقد اعتقلنا العديد من قيادات الجيش من بكباشي فما فوق . " [1]

---

(1) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ١٤٨ .

دور محمد نجيب في ليلة الثورة:

سبق أن ذكرنا إبلاغ محمد نجيب لعبد الحكيم عامر بمؤتمر رئاسة الجيش في كبري القبة وطلبه الإسراع بالقبض على القادة المجتمعين ، وهو ما نفذه يوسف صديق كما ذكرنا ، بقي محمد نجيب في بيته وفقاً للخطة كي يمتلك حرية الاتصال والإبلاغ عن المعلومات التي يحصل عليها ، ومطمئناً للمخابرات والبوليس الحربي بأن شيئاً لن يحدث على الأقل في هذه الليلة لأنه استقر في اعتقاد قادة الجيش أن أي محاولة عسكرية ضد النظام سيكون وراءها محمد نجيب حتماً فهو رئيس نادي الضباط الثائر على حل النادي لذا كانت الخطة أن يبقى محمد نجيب في بيته لا يبرحه.

" كان عليّ أن أبقى في منزلي حتى ينتهي الجزء الأول من الخطة وهو الاستيلاء على مقر القيادة ثم انضم إلى الآخرين ." (١)

وحدث ما توقعه الضباط الأحرار فقد اتصل اللواء علي نجيب بأخيه محمد نجيب في بيته بأمر من حسين فريد ليتأكد من وجوده في البيت وعن هذا الاتصال يقول محمد نجيب في مذكراته: " عند منتصف الليل اتصلت بنا زوجة شقيقي اللواء عليّ تسأل عنه وتقول إنه ليس من عادته التأخر دون إبلاغها، وطمأنتها قائلاً إني سأبحث عنه. ولم يكن اللواء عليّ يعرف شيئاً عن الحركة، ولم أحدثه عنها مطلقاً، رغم ثقتي به، لأني خشيت أن يتعارض ذلك مع واجبه باعتباره قائداً لحامية القاهرة والمسئول عن الأمن والنظام بها، وإن كنت قد نصحته بصورة غير واضحة وغير مباشرة أن يجري بعض التدريبات لجنوده في أماكن بعيدة عن مسرح الأحداث.

---

(١) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ١١٢.

بعد دقائق طلبني عليّ على التليفون ؛ ربما ليتأكد من وجودي في البيت ، ثم أخبرني أن بعض قوات الجيش تتجه نحو قصر عابدين فطمأنته هو الآخر ، وطلبت منه أن يتجه بنفسه إلى قصر عابدين ليرى بنفسه ما يجري هناك لعلمي أن قصر عابدين كان خارج خطة التحركات في هذه الليلة . " (١)

ولم تكد تمضي بضع دقائق أخرى حتى تلقى محمد نجيب مكالمات تليفونية من مرتضى المراغي وزير الداخلية ، وفريد زعلوك وزير الدولة ، ونجيب الهلالي رئيس الوزراء.

وعن هذه المكالمات يقول محمد نجيب : " بعد قليل اتصل بي من الإسكندرية محمد مرتضى المراغي ، وزير الداخلية ، وقال لي : يا نجيب بك ، أتوسل إليك كضابط وطني أن توقف هذا العمل!

قلت له : ماذا تقصد بالضبط؟

قال : إنك تعرف ما أعني ، فأولادك بدءوا شيئاً في كبري القبة وإن لم تمنعهم فسيتدخل الإنجليز.

قلت : أنا لا أعرف ما تتحدث عنه!

... بعد أقل ربع ساعة اتصل بي فريد زعلوك ، وزير التجارة والصناعة ، وقال: أولادك يا نجيب عاملين دوشة في كبري القبة قوم شوف الحكاية !

قلت له : أنا ما عنديش ولاد.

---

(١) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ١١٣

قال : إذا لم توقف الانقلاب فسوف يعود الإنجليز لاحتلال مصر .

قلت : هذا اتهام أرفضه ! فأغلق الخط .

ثم تلقيت مكالمة من رئيس الوزراء ، نجيب الهلالي شخصياً ، قال لي : يا نجيب أنا أستاذك في مدرسة الحقوق ، ما يحدث الآن مسألة عواقبها وخيمة ، وتفتح الباب لتدخل الإنجليز ، لكني عدت للمرة الثالثة أنفي معرفتي بما يجري . وانتهت المكالمة . وتضاعف ارتباكي وقلقي ووصلت حيرتي إلى القمة ، وظللت في هذه الحالة إلى أن جاء الفرج . رن التليفون ، وعندما رفعت السماعة جاء صوت الصاغ جمال حماد يهنئني بنجاح المرحلة الأول . " [1]

وعن هذا الاتصال يقول جمال حماد : " جمال عبد الناصر شاورني قال لي كلّم محمد نجيب على طول، فَرُحْت أنا طالب محمد نجيب في التليفون، لأنه أنا أركان حربه وعارف نمرة تلفونه وعارف بيته وكل حاجة، فكلمته لقيته أنه يقظ، يعني مش مثلاً نايم ، لا .. قاعد جانب التلفون رد عليَّ على طول ، قلت له : المرحلة الأولى نجحت وإحنا دلوقت في قيادة الجيش ، دلوقت أنت مطلوب أنك أنت تيجي، حأبعث لك ثلاثة عربيات مدرعة علشان تجيبك ، قال لي : لا .. لا .. أنا جاي ، أنا جاي في عربيتي، قلت له طيب تعال على طول، فبعد شوية لقيناه جاي علينا.. كانت الساعة ٢ كده أو حاجة زي دي.. قعد هو على مكتب حسين فريد وإحنا قعدنا حواليه . " [2]

---

(١) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ١١٣، ١١٤.
(٢) جمال حماد برنامج " شاهد على العصر " الجزيرة نت بتاريخ ١٢/١ / ٢٠٠٨.

ولقد حاول بعض مجلس قيادة الثورة أثناء أزمة مارس ١٩٥٤ وما بعدها التقليل من دور محمد نجيب وأوحوا للناس أن محمد نجيب لم يدر شيئاً عن الثورة حتى أيقظوه من نومه بعد نجاحها ليتولى القيادة ، وفي ذلك يقول جمال حماد : "كان بيطلّعوا محمد نجيب ده رجل مسن ونائم في السرير ولا يدري أي شيء وبعدين صحوه وقالوا له إنه إحنا عملنا ثورة وإنه أنت تعال دلوقت بقى علشان تبقى أنت البطل ! " [١]

بعد وصول محمد نجيب إلى مركز قيادته اكتملت مظاهر حركة الضباط الأحرار ، وبعد احتلال الوحدات مراكزها التي تحاصر بها المنطقة العسكرية وتعزلها تماماً عن القاهرة ، والسيطرة على الإذاعة حققت الخطة أهدافها في القاهرة .

وجلس محمد نجيب على مكتب رئيس الأركان اللواء حسين فريد الذي كان قد أعدَّ قائمة بأسماء الضباط الأحرار تمهيداً للقبض عليهم يوم ٢٣ يوليو ويشاء القدر أن يقبضوا هم عليه ليلتها ويجلس محمد نجيب على مكتبه ويجد قائمة بأسماء الضباط الأحرار في مفكرته ، وفي ذلك يقول محمد نجيب : " وجدتُ مفكرته الخاصة ، وفي هذه المفكرة كان حسين فريد قد سجل أسماء ثمانية من أسمائنا تمهيداً للقبض علينا أو تشريدنا ، في نفس اليوم ، يوم ٢٣ يوليو .

وعلى هذا المكتب بدأتُ بعد دقائق من وصولي أرُدُّ على المكالمات التي تلقيتها من الإسكندرية ، من الفريق حيدر ومن وزير الداخلية ، ومن رئيس الوزراء وكانوا جميعاً يطلبون تأجيل إذاعة البيان الأول الذي عرفوا أنه سيذاع مع افتتاح الإذاعة . فقلت لوزير الداخلية : نحن مُصرُّون على إذاعة البيان في موعده، ونأسف لعدم إجراء أي تعديل في برنامجنا ، ثم قلت له : نحن حركة لا همَّ لها سوى

---

(١) نفسه .

إصلاح الفساد في الجيش ، فلا تنزعجوا . وبعد خمس دقائق اتصل رئيس الوزراء فكررت عليه نفس العبارات تقريباً ، وأضفت لقد استولينا على السلطة لمساعدة الحكومة في تطهير الأمة من الفساد . واتصل بي حيدر ، وقال : إن الملك سوف يعينك وزيراً للحربية ، ويغفر كل شيء إذا أوقفت الانقلاب . فقلت له سوف ندرس الأمر . لكني لم أعده بشيء " (١)

بدأت القيادة العامة تتصل بالمناطق الخارجية في القنال والعريش لإبلاغ الضباط بانتصار الحركة ، ولم تكن التعليمات للمناطق الخارجية تقضي بأكثر من محاولة عزل القيادات الكبيرة ، والسيطرة على الوحدات دون تحريكها ..

وكان الفصل في تحديد الموقف هو البيان الأول للحركة الذي أذيع على الشعب باسم اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة وقرأه بصوته البكباشي أنور السادات . (٢)

فعندما حضر محمد نجيب إلى رئاسة الجيش قبل فجر ١٩٥٢ لم تكن حركة الجيش قد تم لها السيطرة بعد على الأغلبية العظمى من وحدات الجيش ، لقد كانت هناك قوات كبيرة في قلب القاهرة لم تعلن عن انضمامها بعد ، وكانت قوات الفرقة الأولى مشاة في سيناء لا تدري شيئاً بعد عن هذه الحركة . أما قوات الإسكندرية فلم تكن قد سمعت بالمرة أية أنباء عن هذه الحركة ، وقد ثبت أنها لم تعلم بها إلا من البيان الأول ، وقد ثبت أن البيان الأول للحركة الذي صدر باسم اللواء محمد نجيب من دار الإذاعة كان هو العامل الحاسم في انضمام جميع قوات الجيش غير المشتركة في الحركة إلى القوات الثائرة .

---

(١) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ١١٦.

(٢) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " مرجع سابق ج١ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧.

إن مجرد إذاعة البيان الأول باسم محمد نجيب في السابعة والنصف صباحاً من دار الإذاعة معناه أن الرجل قد حمل على عاتقه مسئولية الحركة بأكملها تاريخياً أمام حكم التاريخ ، وجنائياً أمام الملك وحكومته ، وأصبح هو الرمز المجسد لها.[1]

وعن هذا البيان يقول كاتبه جمال حماد : " البيان رقم واحد معناه انقلاب، فأنا فوجئت أنه وإحنا قاعدين حول محمد نجيب أن جمال عبد الناصر جاء لي كده جانبي وقال لي يا جمال ؟ قلت له أيوه، قال لي أنت رجل شاعر وأديب، لأنه أنا كنت أصدرت كتب قبل الثورة .. فقال لي عبد الناصر : يعني خد بالك أن هذا البيان هو الأمل اللي عندنا لانضمام الشعب والجيش لأن الناس كلها حتسمعه، فخذ بالك من هذه العملية لأن الناس حتعرف إزاي ؟ هو بالبيان ده .

كتبت البيان وديته لجمال عبد الناصر قرأه قال لي كويس قوي، بعدين وديته لمحمد نجيب، محمد نجيب شافه غيَّر فيه، يعني أضاف إليه بخط يده، أنا كنت قايل وإني أعلن أن الجيش، فهو راح عمل شولة كده وقال إني أعلن للشعب المصري أن الجيش كله أصبح يعمل لصالح الوطن ومجرداً من أية غاية .. "[2]

وهاك هو البيان الأول الذي أذاعه السادات في السابعة والنصف صباحاً من دار الإذاعة المصرية :

" من اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة إلى الشعب المصري اجتازت مصر فترة عصيبة من تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وكان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين .

([1]) خالد بن سلطان " موسوعة مقاتل من الصحراء " مرجع سابق الفصل الثامن بعد الانقلاب.

([2]) جمال حماد برنامج " شاهد على العصر " الجزيرة نت بتاريخ ١/١٢ / ٢٠٠٨ .

وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش ، وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها ، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا في داخل الجيش رجال نثق في قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر وسيطلق سراحهم في الوقت المناسب وإني أؤكد للشعب المصري أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور مجرداً من أية غاية ، وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس في صالح مصر وأن أي عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى فاعله جزاء الخائن في الحال . وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاوناً مع البوليس ، وإني أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم والله ولي التوفيق.

القائد العام للقوت المسلحة

لواء أ . ح . محمد نجيب

ويلاحظ أن البيان الأول لم يحمل صيغة انقلاب أو تغيير نظام حكم إنما مرتبطة بتحسين أحوال الجيش من الخونة والمفسدين الذين تسببوا في هزيمة حرب فلسطين كما أنه يُطَمْئن الشعب أن الجيش سيعمل لصالح الوطن في ظل الدستور، ويُطَمْئن الأجانب على مصالحهم وأموالهم .

وإلى هذه اللحظة لم يكن لدى الحركة – كما كان يطلق عليها حينئذ – خطط لطرد الملك ، وتحويل الملكية إلى جمهورية . وفي ذلك يقول جمال حماد في حواره مع المذيع أحمد منصور :

" أحمد منصور : يعني ما كانش فيه هدف أساسي هو طرد الملك أو هذا انقلاب عسكري أو أي شيء ؟

جمال حماد: فلا يمكن أنه إحنا نكتب في بيان الثورة أنه إحنا حنطرد الملك، وندي له الفرصة ..

أحمد منصور (مقاطعاً): بس أنتم إلى هذه اللحظة يوم ٢٣ يوليو الصبح ما كانش عندكم أي مخطط كل الضباط قالوا لطرد الملك ؟

جمال حماد: خالص .

أحمد منصور: أو إلغاء الملكية بمصر؟

جمال حماد: ما فيش أبداً .

أحمد منصور: أو إعلان نظام جمهوري ؟

جمال حماد: لا، لم يحدث هذا .[1]

ويقول حسين الشافعي في حواره مع أحمد منصور:

أحمد منصور: التغييرات التي تلت بعد ذلك في نظام الحكم كانت واضحة لديكم – قبل التحرك – قبل طرد الملك،وإلغاء النظام الملكي، وتحويل النظام لجمهوري؟

حسين الشافعي: والله،الذي يقول أنه كان يوجد تخطيط بالنسبة لهذه المسائل،يكون تجاوز الحقيقة،وإنما كانت هذه مواقف تواجه أولاً بأول".[2]

---

(١) جمال حماد برنامج " شاهد على العصر " الجزيرة نت بتاريخ ١٢/١ / ٢٠٠٨.
(٢) حسين الشافعي برنامج " شاهد على العصر " الجزيرة نت بتاريخ ١٠/٩ / ١٩٩٩.

ويقول حسنين هيكل : " اللي كان موجود في ذهن كل الضباط في ذلـــك الوقت قاصر على إصلاح الجيش من الفساد الذي استشرى فيه والضعف الـــذي سرى في أوصاله وتبدى في حرب فلسطين إلى جنب ما قيل عن صفقات الـــسلاح والفساد اللي حصل فيها وما أدى إليه هذا الفساد من تأثير على القدرة القتاليـــة للقوات "[1]

***

(1) حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " الجزيرة نت بتاريخ ٢/٢/٢٠٠٦.

عوامل نجاح الثورة

ما كادت جموع الشعب تسمع البيان الأول لقادة الانقلاب حتى غمرهم الفرحة فقد كانت أحوال البلاد متردية وكانت صدور الناس تنطوي على خليط من القهر والظلم والغضب المكتوم والرغبة في التغيير لذا غمرهم فرحة مظلوم نصره الله تعالى بعد حين.

يقول هيكل : " الشعب المصري مذهول إزاي ده حصل والجماعة الضباط اللي عملوا هذا العمل واللي عبروا بحركة غريبة قوي أو بمجموعة تحركات من يوم ٢٣ إلى ٢٦ يوليو قادتها بالدرجة الأولى مش خطط موجودة ولا تصورات سابقة ولا أفكار قائدة ولا زعامة موجودة تمثل شيء لا قادتها حركة فعل ورد فعل داخل فيها الغضب وداخل فيها السخط وداخل فيها عنصر الدفاع عن النفس لكن النتيجة انتهت وقد خرج الملك فاروق وتبين هؤلاء الشباب إن اللي عملوه لم يكن يُصدق هم نفسهم كانوا أكثر ناس غير قادرين على التصديق ". [1]

ويقول البيان الذي أصدره محمد نجيب عصر يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٢ في مؤتمر صحفي، اشترك فيه مندوبو الصحف المصرية والأجنبية، ووكالات الأنباء : " هدف الجيش تطبيق الدستور، وعدم تدخل الطفيليين، لأن جميع المتاعب، التي أصابت البلاد كانت منهم .. قلناها صريحة إننا نريد تطبيق الدستور، الذي ينص على أن بلادنا ملكية دستورية . "

---

(١) نفسه .

وجاء في بيان مجلس قيادة الثورة يوم ٢٥ فبراير ١٩٥٤ لم يكن هدف الثورة التي حمل لواءها الجيش يوم ٢٣ يوليه ١٩٥٢ أن يصل فرد أو فراد إلى حكم أو سلطان أو أن يحصل كائن من كان على مغنم أو جاه ، بل يشهد الله أن هذه الثورة ما قامت إلا لتمكين المثل العليا في البلاد بعد أن افتقدتها طويلاً نتيجة لعهود الفساد والانحلال ". (١)

وبعد احتلال الإذاعة ، وإذاعة البيان الأول للحركة باسم اللواء محمد نجيب الذي لم يكن الشخصية الوحيدة المعروفة من الضباط الأحرار فحسب بل والمحبوبة من عامة الشعب بفضل بطولاته في حرب فلسطين وتحديه للملك وفوزه برئاسة نادي الضباط.

ولم يكد يذاع البيان الأول لحركة الجيش باسم محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة حتى سارعت جميع الوحدات العسكرية في القاهرة وفي المناطق الخارجية بإعلان انضمامها إلى ثورة الجيش وأصبح الجيش كله تحت السيطرة التامة لقيادة الجيش التي يمثلها اللواء محمد نجيب أمام الجيش والشعب وفي الساعة التاسعة صباحاً خرج من مبنى رئاسة الجيش اللواء محمد نجيب في عربة مكشوفة ، وعندما اخترق الموكب شوارع وسط العاصمة قابلته الجماهير المحتشدة بالتصفيق والهتاف ، وتحول انقلاب الضباط الأحرار إلى ثورة شعبية.

والسر وراء النجاح الشعبي الجارف بالإضافة إلى وجود محمد نجيب على رأس الثورة فإن الثورة رفعت الشعارات التي كان الناس ينادون بها وهي "الدستور .. الحرية .. جلاء الإنجليز عن مصر والسودان " .

---

(١) عبد الرحمن الرافعي " ثورة ٢٣ يوليه " مرجع سابق ص ١٣٧.

اتصل الملك فاروق باللواء محمد نجيب عن طريق مصطفى صادق عم الملكة ناريمان وعن هذا اللقاء يقول محمد نجيب : " وقبل أن تدق الساعة تمام الثامنة ، جاء للقيادة وسيط بيننا وبين الملك ، وكان عم الملكة ناريمان ، مصطفى صادق بك، وقال : الملك مستعد لإجابة جميع مطالب الجيش بشرط أن تتوجه إليه وتستعطفه لتلبية هذه الطلبات ، وعندما رفضت ، عاد مرة أخرى وقال : الملك موافق دون استعطاف ! وعندما رفضت ، عاد مرة ثالثة ، وقال : يمكنك أن تؤلف حكومة عسكرية والملك موافق على ذلك .ثم غادر مصطفى صادق القيادة في هذه المرة ، واستقل طائرته إلى الإسكندرية . بعد ساعة خرجتُ للجماهير في سيارة مكشوفة وطفتُ بوسط المدينة . " (١)

وفي الظهر اتصل الضباط بعلي ماهر بواسطة إحسان عبد القدوس ؛ ليشكل حكومة جديدة ، وتوجه السادات لمقابلته ، وفي نفس الوقت توجه بعض الضباط إلى بعض السياسيين الآخرين لجس نبضهم ، لتشكيل الوزارة في حالة رفض علي ماهر ، وقَبِل علي ماهر تشكيل الحكومة من حيث المبدأ ، وبشرط أن يصدر التكليف من الملك .

لكن لماذا فكَّر الضباط في علي ماهر دون سواه لتشكيل الحكومة ؟ يجيب محمد نجيب عن هذا السؤال قائلاً : " أعتقد أنه كان أصلح سياسي مصري في ذلك الوقت للقيام بما نطلبه ؛ فهو يعرف الملك منذ كان طفلاً ، ثم هو الذي وضعه على العرش، وهو قد خدم كرئيس للديوان الملكي وكرئيس للوزراء قبل ذلك .

وكنت أشعر أن على ماهر سيساعدنا في خلع الملك لأنه كان يشعر تجاهه بالاحتقار ، ولم يكن مديناً له بشيء .

---

(١) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ١١٨ ، ١١٩.

في هذه الأثناء اتصل فريد زعلوك بي تليفونياً وسألني : ما هي مطالب الجيش؟

فقلت له : نحن نطالب بتكليف علي ماهر بتشكيل الوزارة ، وبتعييني قائداً عاماً للقوات المسلحة ، وبطرد محمد حسن ، وحلمي حسين ، وأنطوان بوللي من حاشية الملك . وقد قدمت هذه الطلبات للملك لجس نبضه واختبار قوته فلو قبلها عرفت أنه في مركز ضعيف ، وأنه لا يستند إلى قوات إنجلترا في مصر كما سمعت ، وعندما شرحت مطالب الجيش لعلي ماهر ، تساءل : انتوا ناويين توصلوها لغاية فين؟

فقلت مداعباً : إلى حد أن تصبح أول رئيس جمهورية لمصر ! " (١)

كل ما قاله نجيب أكدته جميع روايات الضباط الأحرار مع فارق أساسي هو أن كل ما قاله أو فعله لم يكن رأيه منفرداً بل كان نتيجة مشاورات ديمقراطية حرة بين أعضاء اللجنة التنفيذية كلها .

ولما اطمأن قادة الثورة على التأييد الشعبي الجارف عُقِد اجتماع بمقر كوبري القبة برئاسة اللواء محمد نجيب وحضور معظم قادة الثورة وتقرر في هذا الاجتماع عزل الملك فاروق .

يقول زكريا محيي الدين : " كانت مطالبنا قليلة ولكن موافقة الملك فاروق على كل شيء أغرتنا بمزيد من المطالب حتى وصلنا إلى قرار إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية وترحيل الملك خارج البلاد . " (٢)

وسافر محمد نجيب ومعه أنور السادات وزكريا محيي الدين وجمال سالم وحسين الشافعي إلى الإسكندرية لتنفيذ خطة العزل.

---

(١) نفسه ص ١١٩.
(٢) من لقاء فاروق جويدة بزكريا محيي الدين " من يكتب تاريخ الثورة ؟ " دار غريب ص ٤٨.

ثم رسم سيناريو عزل الملك فاروق على أساس محاصرة قصري : المنتزه، ورأس التين وفي الساعة التاسعة من صباح يوم السبت ٢٦ يوليو ٥٢ ، وتوجه اللواء محمد نجيب يرافقه السادات وجمال سالم لمقابلة على ماهر رئيس الوزراء وفور دخولهم أخرج محمد نجيب ورقة أعطاها أنور السادات الذي راح يقرأ ما فيها بصوت مرتفع وقد بدأها بقوله " من الفريق أركان حرب محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله إلى جلالة الملك ... نظراً لما لاقته البلاد في العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لإرادة الشعب ... لذا فوضني الجيش الممثل لقوة الشعب التنازل عن العرش لسمو ولي عهدكم أحمد فؤاد على أن يتم ذلك في موعد غايته الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه . [١]

وذهب على ماهر بالإنذار إلى الملك فاروق ، وفي أثناء حديث على ماهر مع الملك فاروق قال فاروق لعلى ماهر إنه ليس جباناً وفي وسعه أن يقاوم وأن لديه من القوات الموالية أكثر مما لدى الضباط المتمردين ولكن على ماهر قاطعه قائلاً بأنه لا يرضيه أن يعرض بلاده لحرب أهلية لا يعلم إلا الله ماذا ستجر على الوطن من ويلات ، وقَبِل الملك التنازل ." [٢]

وغادر فاروق البلاد . " وفي يوم ٢٨ يوليو سنة ٥٢ أعلن إيدن في وزارة تشرشل أن الحكومة البريطانية أبدت عدم رغبتها في التدخل في شئون مصر. [٣]

إلى هذا الحد فإن الضباط الأحرار يؤدون عملاً عظيماً لخدمة الوطن شارك في هذا الدور خلق كثيرون من ضباط الجيش وبعض المدنيين – مثل على ماهر ، السنهوري وسليمان حافظ وغيرهم .

---

(١) كتب هذا الإنذار د. عبد الرزاق السنهوري رئيس مجلس الدولة آنذاك .

(٢) صلاح منتصر " من عرابي إلى جمال عبد الناصر " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص : ٨٤.

(٣) طارق حبيب ص : ١٠٥.

هذا رد على من ينسب لعبد الناصر دور البطولة المطلقة في قيام الثورة ونجاحها أما بقية الضباط الأحرار فلم يكن دورهم يزيد عن دور الكومبارس!!

عوامل نجاح الثورة:

كان من أهم أسباب نجاح ثورة يوليو، أنها جاءت لتحقق رغبة جموع الشعب المصري في التخلص من الظلم والإقطاع والاستعمار، والعديد من المظاهر السلبية التي ترتبت على فساد الحكم الملكي. ففي أواخر العهد الملكي، ساءت حالة البلاد واستشرى الفساد والمحسوبية والتسيب الشديد، وأصبح التخلص من الملك وحاشيته مطلباً شعبيّاً ضروريّاً لأي إصلاح .

وجاءت الظروف الدولية المواتية لتوفر مناخاً مناسباً قلّل من حدة المقاومة الدولية لنجاح الثورة، فقد خرجت الإمبراطوريات الاستعمارية من الحرب منهكة القوى وغير قادرة على السيطرة على المستعمرات مترامية الأطراف، وبرزت الولايات المتحدة كقوة عظمى، تقود وحدها المعسكر الغربي، ويعتمد حلفاؤها عليها في توفير الدعم المالي اللازم لإعادة إعمار اقتصادهم المنهار. وتاريخيّاً، لم يكن لأمريكا أطماع استعمارية مثل حلفائها، بل كان تدخلها في شئون الدول الأخرى مستتراً وبصورة أساسية مرتبطاً بمصالحها ومصالح مؤسساتها. وبرز الاتحاد السوفييتي باعتباره القوة العظمى الأخرى في العالم، وكان الاتزان بين هاتين القوتين وخوف كل منهما من الأخرى، عامل استقرار يحجمهما معاً ويحد من أطماعهما الإقليمية. (١)

(١) " ناصر " شركة الأفق للبرمجيات التفاعلية ١٩٩٩ تصحيح ومراجعة تاريخية أ.د. رءوف عباس حامد.

ويلخص حمروش عوامل نجاح الثورة في النقاط الآتية:

أولاً: تمت حركة ٢٣ يوليه، في توقيت مناسب سليم، كان الشعب قد وصل فيه إلى ذروة النقمة، على الملك، ورجال الحاشية، وحكومات الأقلية التي عطلت الدستور عمليّاً. واستندت إلى الأحكام العرفية. ولذا جاء استقبال الجماهير للحركة، معبراً عن التأييد الكامل، مشجعاً الضباط الأحرار على مواصلة الطريق.

ثانياً: كانت أحزاب الأقلية، تضم فريقاً من الإقطاعيين، وكبار الرأسماليين بعيداً عن ساحة الشعب، ولذا فإنها، مع ظهور الحركة، لم تعد أحزاباً منظمة، وإنما تحولت إلى شخصيات يسلك كل منها سبيلاً خاصاً يدافع به عن نفسه، وعن مصالحه. مما كشف للضباط مدى التفسخ والتمزق، الذي كانت تعاني منه هذه الأحزاب، وسقطت بعض الأسماء الكبيرة بسبب بتصرفات صغيرة .

ثالثاً: احتفظ الوفد بوحدته، ولم يحدث له مثل ما حدث، في أحزاب الأقلية. ومع ذلك ظل موقفه غير واضح. ولعله كان حذراً، يتحسب السير في اتجاه مضاد للتيار الشعبي المتدفق، المؤيد للحركة، الذي كان يضم بالتأكيد جماهير الوفد من القوى العاملة، التي طال بها الحرمان .

رابعاً: كان نجاح حركة ٢٣ يوليه، فرصة الإخوان المسلمين الفريدة، للسيطرة على الحكم والسلطة، فقادها ليسوا غرباء عن تنظيمهم، بل إنهم نشئوا واستمر اتصال بعضهم به، وواصل البعض الآخر علاقته الطيبة بهم. والإخوان يعتبرون أنهم شاركوا في نجاح الحركة، عندما كلفوا بعض أعضائهم المسلحين، بحراسة دور العبادة، وبعض المرافق العامة. وأرسلوا فريقاً منهم إلى طريق مصر السويس. واستنفروا قواهم، في منطقة القناة، صباح ٢٣ يوليه، بعد مقابلة جمال

عبد الناصر، وكمال الدين حسين، لحسن عشماوي، وصالح أبو رقيق، قبل يومين من الحركة. وشجع موقف الإخوان المؤيد، الذين يعد تنظيمهم ثاني التنظيمات السياسية، انضباطاً وجماهيرية، ضباط الجيش على الاستمرار في مسيرهم. وذلك قبل أن تظهر الخلافات، بينهم وبين الجيش، في محاولة التنازع على مركز السلطة.

خامساً: وقفت الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني (حدتو)، أكثر القوى التقدمية تأثيراً، موقف التأييد لحركة ٢٣ يوليه، منذ اللحظة الأولى. وكان ذلك أمراً طبيعيّاً، فالمنشورات كانت تطبع عندهم، ومعظمها يُكتب بأيدي الضباط المنضمين إليها، والمعتقلون الشيوعيون أُفرج عن معظمهم. وشجع هذا الموقف، كذلك، ضباط الحركة على التأكد من أنهم لا يجابهون معارضة، من أي اتجاه . [١]

يوسف صديق أسد ليلة ٢٣ يوليو:

لقد أجمع كل الضباط الأحرار على الدور البطولي الذي قام به يوسف صديق ، والذي أنقذ به الانقلاب من الفشل المحقق ودونك بعض ما صرح به هؤلاء الضباط في حق يوسف صديق .

يقول محمد نجيب : " وللتاريخ أذكر أن يوسف صديق كان أشجع الرجال في تلك الليلة ، وكان هو الذي نفَّذ عملية الاقتحام والسيطرة ، رغم أن دوره كان حسب الخطة حماية قوات الهجوم والوقوف كصف ثان وراءها . " [٢]

ويقول جمال حماد : " يوسف صديق لعب دوراً كبيراً جداً، اللي هو أخذ الستين عسكري دول ودخل بهم على رئاسة الجيش. " [٣]

---

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " مرجع سابق ج١ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨.
(٢) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ١١٥.
(٣) جمال حماد برنامج " شاهد على العصر " الجزيرة نت بتاريخ ٢٠٠٨/١٢/١.

ويقول حسين حمودة : " قام يوسف منصور بهذا الواجب على أتم وجه وكان له الفضل الأكبر هو والمرحوم سعد توفيق واللواء محمد نجيب في إنجاح ثورة ١٩٥٢/٧/٢٣ وكل شيء تمَّ بإرادة الله فهو الميسر لما حدث . " [١]

ويقول خالد محيي الدين : " يمكن القول إن يوسف صديق قد حقق عملاً تاريخيّاً هاماً ، وأنه قد أسهم في إنجاح حركتنا ، وقد كانت شجاعته الحاسمة والآسرة في آن واحد عاملاً من عوامل نجاحنا . [٢]

دور محمد نجيب في نجاح الثورة:

هناك دور بارز قام به محمد نجيب لإتمام نجاح الثورة ولا أظن أن أحداً غيره كان يمكن أن يقوم به فكان اختيار الضباط الأحرار له موفقاً ، فقد أثبتت الأيام بعد ذلك أنه كان يتمتع إلى جانب شجاعته الفائقة ، ونزاهته الكاملة ، بجاذبية لا تقاوم ولذلك ما كاد يقع نظر الشعب عليه وهو يلوح بقبعته العسكرية، حتى تعلق به ، ووقع في حبه ، فأصبح يجري في أعقاب مواكبه ، وهو منجذب إليه ، مشدوداً إلى شخصه ، يود أن يلمسه ، أو يقبله أو يعانقه لو استطاع ، وقد امتحن محمد نجيب امتحاناً عسيراً ذلك أنه ورث الزعامة الشعبية عن زعيم أحبه المصريون غاية الحب ، وتغنوا باسمه في المظاهرات والاحتفالات ، ذلك هو مصطفى النحاس.

الذي حدث أن الزعيم الجديد أنسى الشعب حبيبه القديم بلا أدنى جهد ، فمحمد نجيب ، لم يبذل جهداً ليغزو قلب الأمة ، وليحتل في هذا القلب مكان البطل الأول المحبوب . فمنذ اللحظة الأولى تعلم الناس ، كيف يرددون اسمه ، وكيف يشترون صوره ، وكيف يرفعون هذه الصور في المظاهرات والمواكب ، وكيف يلصقونها في الدور والأماكن العامة . [٣]

---

(١) حسين حمودة " أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين " مرجع سابق ص ٨٣.
(٢) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ١٥٠ ، ١٥١.
(٣) خالد بن سلطان " موسوعة مقاتل من الصحراء " مرجع سابق الفصل الثامن بعد الانقلاب وقبل تشكيل وزارة محمد نجيب .

يقول محمد نجيب : " تحول الانقلاب إلى ثورة من ساعة أن وضعنا عيوننا على الشعب قبل الجيش ، وعلى الصغير قبل الكبير . وهذا ما كنت أحلم به ، والجماهير تكاد تحمل سيارتي ، التي تقلني من رأس التين ، بعد وداع الملك ، إلى ثكنات الجيش في مصطفى باشا . "[1]

ويقول خالد محيي الدين : " قد حاول البعض أن يقلّل من دور محمد نجيب ، وأن يدعي أنه ظلّ في بيته حتى انتصرت الحركة فأتى لينتزعها ، والحقيقة غير ذلك لقد رغب محمد نجيب في أن يشاركنا التحرك منذ اللحظة الأولى، وعندما علم أننا وضعنا خطة التحرك طالب بالمشاركة في تنفيذها ، لكننا كنا نريد أن نبعده عن أي مشاركة فعلية ، عن عمد لنضمن سلامته ، حتى يمكنه في لحظة انتصارنا أن يتولى القيادة.

هو إذن كان يريد ويصمم أن يشاركنا المسئولية والمخاطرة ، ولم يبخل بشيء لكننا وعن عمد قررنا أن ندخره بعيداً عن المخاطرة ، وكنا على حق في ذلك . ثم أنه كان الوجه الذي قدّم للعالم وللشعب المصري ، كقائد للحركة العسكرية التي استولت على الحكم في البلاد ، وتحمل المسئولية العسكرية والسياسية ، أمام الجميع ، وأي تراجع أو نكسة للثورة في أيامها الأولى أو الساعات الأولى كان سيضع على عاتق محمد نجيب المسئولية الأولى التي لا مجال للتخلص منها ، وأن الصحف يوم ٢٤ يوليو صدرت بعناوين كبيرة تقول : محمد نجيب يقوم بحركة عسكرية . "[2]

لقد كان اسم محمد نجيب كقائد للثورة باعثاً على طمأنينة الداخل والخارج، كما كان دافعاً إلى التأييد الكاسح من ضباط الجيش والبوليس ومن أفراد الشعب ورجال الأحزاب والسياسة .

---

(1) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ١٤٦.
(2) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ١٥٥.

وهكذا توفرت، في محمد نجيب، في أوائل ١٩٥٢، أفضل الصفات، التي تؤهله لقيادة حركة عسكرية ناجحة، يقوم بها الجيش؛ فقد أصبح، إضافة إلى ما يتمتع به من سمعة وشهرة، حائزاً على ثقة الضباط، مما يضمن معه سرعة انضمام باقي الجيش إلى الحركة بمجرد الإعلان عن قيامها، تحت قيادته.

وقد عبر عن ذلك كل من عبد اللطيف بغدادي وخالد محيي الدين: "عندما بدأنا الإعداد للتحرك، ضد النظام، كان أول ما يشغلنا، نحن الضباط الشباب، ضرورة اختيار شخصية كبيرة السن، ذات احترام، نقدمها للأمة. وبشكل طبيعي، اتجهت أفكارنا نحو محمد نجيب؛ فإن شجاعته أكسبته احتراماً وثقةً".

وكان عبد الناصر يتوق إلى قائد، من هذا الطراز، المرن في معاملاته، والناجح في اجتذاب الناس، ليضمن سرعة استجابة الجيش والشعب للحركة؛ مع التأكد، في الوقت نفسه، أنه سوف يسهل عليه توجيهه، والسيطرة عليه في المستقبل، لتبقى جميع خيوط السلطة في قبضته.

حظي محمد نجيب، في بداية حركة الجيش، بما لم يحظ به أحد من قبله، من تركيز، واهتمام وسائل الإعلام، في مصر وخارجها. وأضيفت عليه من هالات البطولة، وصفات العظمة، ما لم تشهده مصر من قبل، إلى الحد الذي جعله يتحول، في نظر الشعب المصري، إلى شخصية أسطورية. وجعل الجماهير لا تتمالك نفسها، كلما رأته، من التصفيق الشديد، والهتاف المدوي باسمه، والتكالب، في شبه جنون، على سيارته. وافتتن رجال الثورة أنفسهم بالزعيم القائد، الذي صنعوه، فسايروا الشعب في حبه، والإعجاب ببطولته، إلى الحد، الذي جعلهم يخاطرون بحياتهم،

ويحيطونه بأجسادهم، فوق رفارف سيارته. وكانت خطبهم وأحـــاديثهم كلـــها، تمجيداً لعظمته، والإشادة بروعة قيادته، إلى الحد الذي جعل أحدهم، وهـــو أنـــور السادات، يضع اسم محمد نجيب على رأس أعظم عشرة رجال في العالم، في استفتاء أجرته مجلة المصور في العدد (٤٩١)، الصادر في ٨ مـــايو ١٩٥٣، أي أن محمـــد نجيب كان، في نظر السادات وقتئذ، هو أعظم رجل في العالم.[١]

وهكذا نجحت ثورة يوليو في التفاف الجماهير حولها وطرد الملك وحاشيته وإسقاط نظامه ، لكن ماذا عن علاقتها بالسلطة والحكم ، وعلاقتها بالأحزاب والسياسيين، والرأسماليين ومصالحهم ، والفلاحين والعمال ومطالبهم ؟

كل هذا وغيره تجدون الإجابة عليه في بقية سلسلة " دروس سياسية من التجربـــة الناصرية " .

***

(١) فتحي رضوان " ٧٢ شهرا مع عبد الناصر " كتاب الحرية ط ٢ ص ١٢.

كتب للمؤلف

(أ) كتب مطبوعة:

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي
٢- الدين والسياسة والنبوءة . دار الكتاب العربي

سلسلة كتب دروس سياسية من التجربة الناصرية:

١- آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
٢- العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو . "" "" "" "" ""
٣- إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي . "" "" "" "" ""
٤- نظام عبد الناصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي . "" "" "" ""
٥- أمريكا وعبد الناصر من التحالف إلى العقاب "" "" "" "" ""
٦- هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية . "" "" "" "" ""

سلسلة نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي:

١- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي . دار الإبداع للصحافة والنشر
٢- اليهود والصليبيون الجدد (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) "" "" "" "" ""
٣- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن . "" "" "" "" ""
٤- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة "" "" "" "" ""
٥- اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية . "" "" "" ""
٦- الاستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض . دار هبة النيل للنشر والتوزيع .

كتب عن ثورة يناير:

١- متى يثور المصريون . دار زهور المعرفة والبركة

٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير . " " "" "" "" ""

المؤلفات الأدبية:

١- مهاجرون . (قصص قصيرة) دار زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون . (قصص قصيرة) " " "" "" "" ""

٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة) " " "" "" "" ""

(ب) كتب تحت الطبع

١- رؤية إسلامية للحضارة المصرية القديمة .

٢- الخلاص الإلهي في آخر الزمان بين الدين والسياسة .

٣- الطبيعة العربية والصهيونية ، الزعامات المزعومة والسياسات المدروسة .

٤- معجزة إسرائيلية أم خيبة عربية .

كتب المؤلف في الجامعات الأجنبية

* عدد (٧) كتب في مكتبة جامعة هارفارد رقم ١ في الترتيب العالمي للجامعات .
* عدد (٥) كتب في مكتبة جامعة استنافورد رقم ٣ في الترتيب العالمي للجامعات.
* عدد (٤) كتب في مكتبة جامعة كاليفورنيا رقم ٤ في الترتيب العالمي للجامعات.
* عدد (٤) كتب في مكتبة جامعة كولومبيا رقم ٧ في الترتيب العالمي للجامعات .
* عدد (٤) كتب في مكتبة جامعة برينستون رقم ٨ في الترتيب العالمي للجامعات .
* عدد (٥) كتب في مكتبة جامعة ييل رقم ١١ في الترتيب العالمي للجامعات .
* عدد (١) كتاب في مكتبة جامعة دوكي رقم ٣٢ في الترتيب العالمي للجامعات .

*عدد (١) كتاب في مكتبة جامعة تكساس رقم ٣٦ في الترتيب العالمي للجامعات.

كتب للمؤلف في الجامعات العربية

* عدد (٥) كتب في مكتبة جامعة الملك فيصل – المملكة العربية السعودية .

* عدد (١) كتاب في مكتبة جامعة الملك فهد – المملكة العربية السعودية .

* عدد (١) كتاب في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود المملكة العربية السعودية

* عدد (١) كتاب في مكتبة جامعة الحسين بن طلال– الأردن .

* عدد (١) كتاب في مكتبة جامعة مؤتة – الأردن .

* عدد (١) كتاب في مكتبة الجامعة الأردنية للعلوم والتكنولوجيا .

* عدد (١) كتاب في مكتبة جامعة السلطان قابوس – سلطنة عمان .

* عدد (١) كتاب في مكتبة جامعة الإمارات – الإمارات العربية المتحدة .

* عدد (١) في مكتبة جامعة الأزهر الشريف – جمهورية مصر العربية.

* عدد (١) في مكتبة كلية دار العلوم – جمهورية مصر العربية .

* عدد (١) في مكتبة كلية التربية – جامعة المنصورة – جمهورية مصر العربية

* عدد (١) في مكتبة كلية الآداب – جامعة بني وسويف – جمهورية مصر العربية

كتب للمؤلف في المكتبات العالمية والعربية

* عدد (٦) كتب في مكتبة الكونجرس الأمريكية .

* عدد (١) كتاب في مكتبة الإسكندرية .

* عدد (٣) كتب في مكتبات مبارك العامة .

* عدد (١) كتاب في مكتبة وزارة الشباب الإماراتية .

* عدد (١) كتاب في مكتبة المجلس الوطني اليمني .
* عدد (١) كتاب في مكتبة وزارة الخارجية أبو ظبي .
* عدد (١) كتاب في مكتبة مسجد البيرة الفلسطيني .

- كتبت عن مؤلفاته عديد من الصحف العربية ، والأجنبية والمواقع الالكترونية .

* * *

التليفون المحمول : ٠١٢٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني : yuness١١٢@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت : albab.hooxs.com

محتويات الكتاب


تم بحمد الله

طبع بدار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين ت: ٧٩٤٢٠٧٩



ليس هناك أخطر على التاريخ من حاكم مستبد يخفي الحقائق وينشر الأكاذيب ؛ ليجمّل صورته القبيحة.

وفي ظل هذا الحاكم يسوّد المنافقون صفحات التاريخ فيجعلون التآمر بطولة ، والقهر عزّة ، والإخفاقات إنجازات ، والأبطال خونة ، والخونة أبطالاً ، والقرار غير المدروس إلهامًا غير مسبوق !

ولقد تعرّض تاريخ مصر المعاصر إلى كثير من التزييف والتحريف مما أثّر في وعى الناس وتفكيرهم ، وأفقدهم القدرة على الحكم على الأمور حكمًا صحيحًا .

ونحن الآن ، وقد استردّ المصريون حريتهم المسلوبة ، في أمسّ الحاجة إلى عودة الوعي ليتمكن الناس من استثمار هذه الفرصة في اختيار السياسات الرشيدة ، والقرارات السليمة ، والمسئولين الصالحين.

وفي سلسلة "دروس سياسية من التجربة الناصرية" يحاول الكاتب أن يؤرّخ لربع قرن من السنوات الحاسمة في تاريخ مصر المعاصر (١٩٤٥ - ١٩٧٠) بدقة وأمانة معتمدًا على الوثائق والحقائق وشهود الأعيان .

وسيفاجأ القارئ العزيز بحقائق جديدة ربما يقرؤها لأوّل مرة ، وفترات زمنية مجهولة يكشف لنا الكاتب خباياها ، وجنودًا مغمورين يجلّيهم لنا، وأشخاصًا مشهورين يعرّيهم لنا .

وهدف هذه السلسلة ليست محاكمة أشخاص أفضوا إلى ما قدموا والله تعالى حسيبهم ، إنما الهدف استخلاص العبرة التي تفيد في فهم الحاض وتعين على اتخاذ القرار الصحيح في المستقبل .